الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
تلمسان الجزائر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

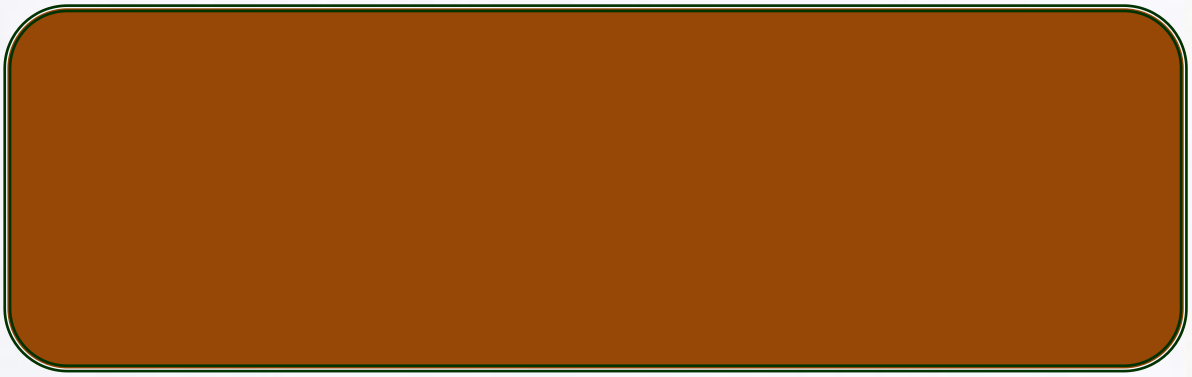

إعداد الطالبة:

عائشة بوشقيف

إشراف الأستاذ الدكتور:

مبخوت بودواية

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. زريوح عبد الحق	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
أ.د. مبخوت بودواية	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
أ.د. لخضر عبدلي	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
د. بوجلة عبد المجيد	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان

السنة الجامعية

1431هـ - 1432هـ / 2010م - 2011م

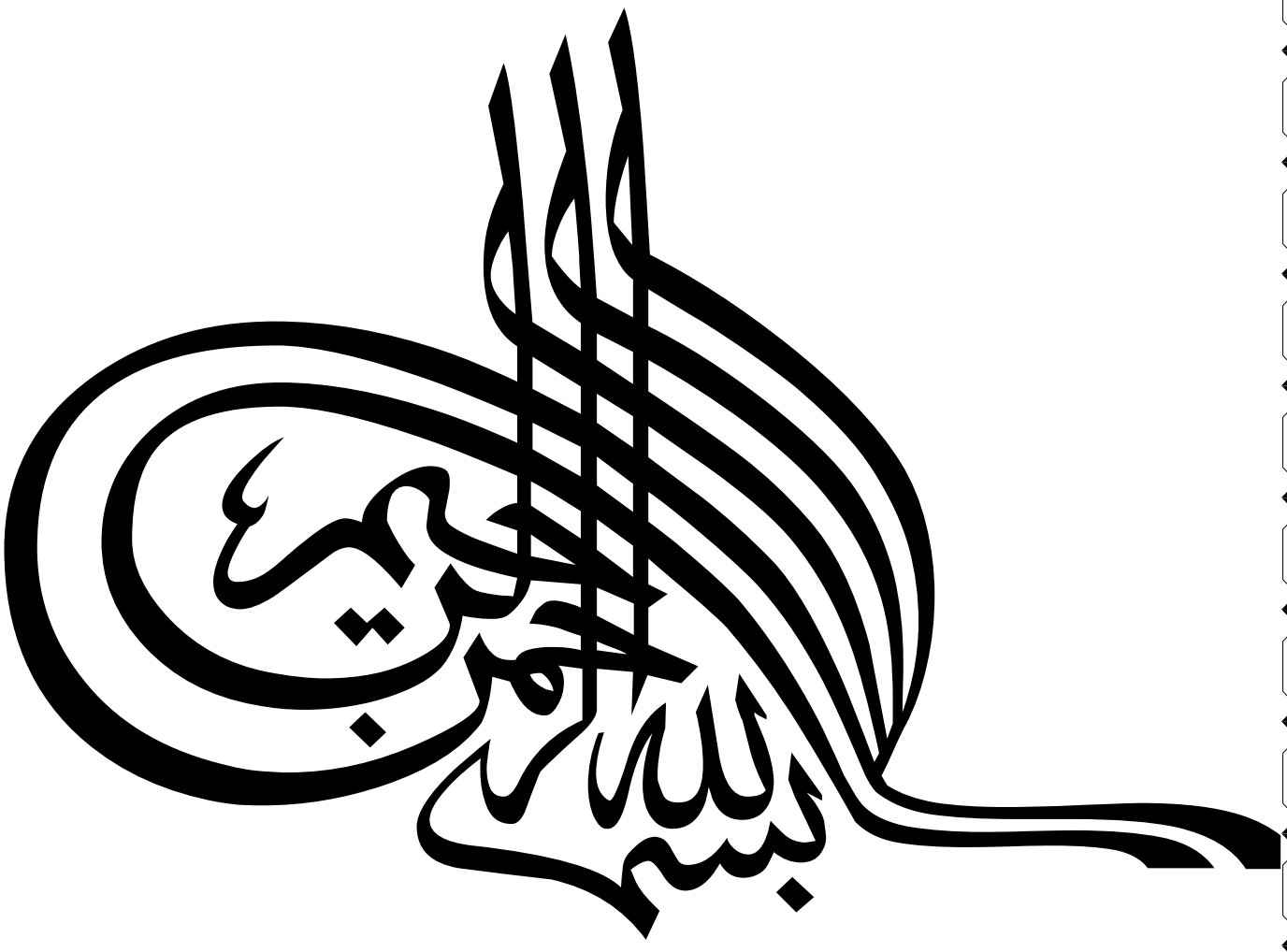
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد للّه رب العالمين الذى أنعم علينا بنعمته وأكرمنا بفضله وعطائه وبعد أهدى ثمرة عملى لكل سعى كانت غايته الجميع وإلى الجميع إذا كانت غايتهم حمل لواء اللّه والرسول (ﷺ) والوطن .

إلى أبى وأمى فليحفظهما اللّه .

إلى من عشت وترعرعت فى وسطهم إخوتى وأخواتى و أزواجهم وأبناؤهم : وليد ، محمد إلياس ، محمد ريان ، طارق نجم الدين ، محمد إسلام ، ألاء ريم، دعاء .

إلى رفيق دربى زوجى حمادى ياسين وعائلته الكريمة

وأهدى هذا العمل إلى أخى وأستاذى بوشقيف محمد الذى قدم لى كل العون، فأتمنى له النجاح والتألق الدائم.

تشكر

أشكر اللّه عز و جل الذى أنعم علينا بأن أرشدنا لطريق الهداية و دلنا على طريق العلم و سخر لنا رجالا منهم نأخذ قبس المعرفة .

إلى الذين درسونا و علمونا نشكر لهم سعيهم و نخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية الذى أشرف على هذا العمل فكان نعم المرشد و نعم المشرف .

دعاء

يا رب علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي

وأن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا فشلت

بل ذكرني بان الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح

يا رب علمني أن التسامح هو أسمى مراتب القوة، وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف

يا رب إذا جردتني من المال فاترك لي الأمل

وإذا جردتني من النجاح فاترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل

وإذا جردتني من نعمة الصحة فاترك لي نعمة الإيمان

يا رب إذا أسأت إلى الناس فأعطيني شجاعة الاعتذار

وإذا أساء إلي الناس فأعطني شجاعة العفو

وإذا أعطيتني نجاحاً فلا تأخذ تواضعي

وإذا أعطيتني تواضعاً فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي

يا رب إذا نسيتك فلا تنساني

آمين يا رب العالمين

مقدمة

شهد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري نشاطًا فكريا و حياة ثقافية مزدهرة لا مثيل لها فعجّت تلمسان بمختلف العلماء و الفقهاء، الذين نبغوا في الكثير من مختلف العلوم النقلية و العقلية، و فهموا أسس الشريعة الإسلامية فهما صحيحا، محاولين نشر قواعدها في مختلف البقاع والبلدان، كما ساهموا بقسط كبير و وافر في تطور الحركة العلمية والفكرية.

ومن بين هؤلاء العلماء الإمام الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي"، الذي أدى دورا كبيرا وبارزا في خدمة الإسلام، فأرسى دعائم الحركة الفكرية بتوات و السودان الغربي، حيث كان من معالمها انتشار المذهب المالكي و اللغة العربية في تلك الأرجاء، كما اشتهر المغيلي بعلمه و بقضيته مع يهود توات، و التي أبرزت مكانته و أذاعت صيته خلال القرن التاسع الهجري، بعد أن انتقل إليها و بالضبط إلى تمنتيط التي اتخذها مركزا لنشاطه الفكري، و منطلقا لنشر الإسلام و تصحيح العقيدة في مناطق عديدة من السودان الغربي، كما أن دراسة التراجم التاريخية تُعدّ من أكثر الأعمال التي يسعى الدّارس إلى الكشف عن أدوارها البارزة خاصة من الناحية الثقافية، لذلك وقع اختياري على إبراز شخصية المغيلي التي قدّمت الكثير لإثراء العلوم، و خدمة الشريعة الإسلامية وتثبيت قواعدها، الذي عاش في كنف الدولة الزيانيـــــة وتفاعـــــل مع معطياتهـــــا السياسية و الحضارية، و تعود أسباب اختياري للموضوع:

– إلى اِرتباطي الكبير بتلمسان، و إبراز مكانتها التاريخية الكبيرة و التّعرف على أهم علمائها.

– إضافة إلى قلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع، فنجدها عبارة عن مجموعة قليلة من المعلومات لا تعالج إلا قضية واحدة، و هي قضية نازلة يهود توات.

– إبراز شخصية محمد بن عبد الكريم المغيلي ومكانتـــه العلميـــة بين معاصريـــه، ودوره الفكري خاصة بإقليم توات و السودان الغربي.

وتتمحور الإشكالية التي يطرحها هذا الموضوع حول إبراز الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، بإقليمي توات و السودان الغربي، و التعرف على بعض الجوانب من حياته ونشاطه العلمي ومؤلفاته، و مدى تأثيره على سكان هذين الإقليمين.

ولمناقشة هذه الإشكالية، وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية وهي:

– ما هي أهم مميزات عصر الإمام المغيلي من الناحية السياسية و الثقافية؟

– ما هي أهم مؤهلاته العلمية التي مكنته من تلقيبه بالإمام و العالم في عهده؟

– كيف اِستطاع الجمع بين التأليف في الكثير من العلوم و الإسهام الفكري على الرغم من عبء الوظائف المختلفة التي تقلّدها؟

– من أين اِكتسب القدرة على المناظرة و إقحام خصومه بأسلوب علمي، يعتمد على قوة العقل و المنطق خاصة مناظرته مع جلال الدين السيوطي.

– كيف كان تأثيره على سكان إقليم توات و السودان الغربي؟

وقد سلكت في دراستي هده منهجا تاريخيا تحليليا في معالجة النصوص التاريخية مع المقارنة والنقد وإعتمدنا على المنهج الكمي بجمع قدر ممكن من مؤلفات محمد عبد الكريم المغني وهدا بمطالعة مختلف كتب التراجم والتاريخ العام.

ولدراسة هذا الموضوع قمنا بتقسيمه إلى مدخل و ثلاثة فصول، تناولنا في كل فصل مجموعة من النقاط.

ففي المدخل تطرقنا إلى دراسة الوضع العام بإقليم توات و السودان الغربي بحثنا فيه عن أصل تسمية توات، و أهم مميزات هذه المنطقة من حيث الموقع و المناخ و التضاريس، كما تناولنا الحياة السياسية لهذا الإقليم، إضافة إلى الحياة الإجتماعية، و ركّزنا في الحياة الإقتصادية على التجارة فقط، بإعتبارها محور اتصال ما بين توات و السودان الغربي و تلمسان، أما الجزء الأخير فتناولنا الوضع السياسي بالسودان الغربي مركزين على أهم الممالك مثل: سنغاي و مالي و كانو، إضافة إلى النقطة الأخيرة التي تمحورت حول الوضع الإقتصادي للسودان.

وفي الفصل الأول بحثنا فيه عن حياة محمد بن عبد الكريم المغيلي، فتحدثنا عن نسبه وتاريخ مولده الذي اختلف فيه الكثير من المؤرّخين، و أسرته التي لم نذكر إلا القليل منها، لأنّ المصادر أهملت هذا الجانب و لم تتحدّث عنها كثيرا، فلا نعرف اسم والديه و لا إخوته، ما عدى بعض أسماء أبنائه، كما تطرّقنا لأهم شيوخه الذّين أخذ عنهم مختلف العلوم، و لم نهمل تلاميذه، أما النقاط الأخرى فتمحورت حول العصر السياسي والثقافي للمغيلي فذكرنا أهم المؤسسات التعليمية و المراكز التثقيفية التي كانت منتشرة خلال القرن (9هـ-15م)، من مساجد ومدارس و زوايا ثم طرق التعليم و مراحله آنذاك، كما قمنا بإحصاء أهم العلوم التي نبغ فيها المغيلي من لغة وآدابها و تصوف و تاريخ إضافة إلى المنطق خاصة مناظرته مع جلال الدين السّيوطي.

وما أنتجه هذا العالم من مجموعة مؤلّفات في الكثير من العلوم، كما أبرزنا مكانته العلمية بين معاصريه، و أخيرا تطرقنا إلى وفاته.

أما الفصل الثاني خصّصناه لدراسة الدّور الفكري للمغيلي بإقليم توات و هذا ببنائه للزاوية المعروفة بالقادرية أين كان يقوم بتحفيظ القرآن الكريم لسكان توات، و تعليمهم مبادئ

اللغة العربية، و محاربته لنازلة اليهود الذين أذوا المسلمين كثيرا، و تحكموا في الحياة الإقتصادية لإقليم توات، كما قام بتهديم بيعهم.وركزنا كدلك عاى كيفية إنتشار الإسلام واللغة العربية بهدا الإقليم وعلاقة المسلمين باليهود أنداك.

أما الفصل الثالث فدرسنا فيه الدور الفكري للمغيلي بإقليم السودان الغربي، و تقديمه النصح والإرشاد لسلاطين السودان الغربي، و نبذ عاداتهم السيئة من سحر و شعوذة ، كما ركّزنا على إجابته على أسئلة السّلاطين في أمور الدّنيا و الدّين ووهي عبارة عن نصائح لتسيير أمور المملكة كما أشرنا إلى أهم التأتيرات الفكرية الإقليمية توات في بلاد السودان الغربي عن طريق العلماء والفقهاء والتجار والقبائل التواتية والطرق الصوفية والمتصوفون والزوايا زخصصنا كل هده الأفكار في مجموعة من العناصر، أما الخاتمة فهي مجموعة من النّتائج التي توصّلنا إليها من خلال هذا البحث وأتبعناها بمجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع، فاشتملت على بعض صور مخطوطات "محمد بن عبد الكريم المغيلي"، و أهم المساجد التي وُجِدَتْ خلال عصره، و بعض الصور التي أخذناها من المنطقة التي دُفِن بها المغيلي كالمقبرة والروضة و الزاوية، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع ولا يَخْفى على أحد أن الباحث تواجهه مجموعة من الصعوبات و العوائق المتمثلة فيما يلي:

– تفرق إنتاج المغيلي المخطوط في مختلف المكتبات كالجزائر و خار الوطن كالمغرب.

– صعوبة الحصول عليها بسهولة من قبل المشرفين عليها، كما أن مؤلفات المغيلي لا زالت مخطوطة و غير مطبوعة و لا محقّقة، و العديد منها لا يزال في حكم المفقود، و يرجع سبب ضياع مؤلفاته لاّتساع مجال تحركاته و سفره إلى الكثير من البلدان.

– أما المصادر و المراجع التّي اهتّمت بدراسة حياة المغيلي متشابهة في مجملها، حيث تطرقت في الكثير من الأحيان لحادثة واحدة و هي نازلة يهود توات، كما أهملت الحديث عن أسرته التي لا نعرف الكثير عنها إلا بعض أسماء أبنائه، وهذا ما يُعْرف بتشابه المادة التاريخية.

و إذا كان موضوع بحثنا لا يتوفر على مصادر تاريخيّة خاصّة فإنّ المادّة العلميّة مثبوتة في عدد كبير من المصادر، والّتي سوف نكتفي بعرض أهمها على النّحو التالي:

- **مصباح الأرواح في أصول الفلاح** للفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ/1503م)، و هي الرّسالة الّتي كتبها في قضية اليهود و ما آل إليه وضعهم في بلاد توات، ويعتبر هذا المصدر فريد من نوعه لما اِحتوى عليه من معلومات قّيمة عن الأوضاع الإجتماعيّة والاقتصادية ليهود توات وكذلك من تسجيل فتاوى الفُقهاء الّتي وردت على المغيلي المؤيّدة تارة والمُعارضة تارة أُخرى.

- **أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي** من تحقيق عبد القادر زبادية عام 1974م وأجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا تصوّر الحالة السياسيّة والإجتماعيّة والإقتصادية والثقافية لمملكة كاغو، وغيرها من الممالك الإسلاميّة بالسودان الغربي.

- **كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور** لمحمد بلو بن عثمان، و تظهر أهميّته في توضيح أثر المغيلي في الممالك الإسلاميّة، ببلاد التكرور، كما يُلقي الضوء على أوضاع ممالك السودان الغربي وعلاقاتها مع بعضها البعض.

ومن كتب التاريخ العام :

- **كتاب ترجمان العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر** لعبد الرّحمن بن خلدون المتوفي سنة (808هـ/1405م)، وقد اِعتمدنا على الجُزء السّادس والسّابع اللّذين بهما تعرّفنا على الأوضاع السياسيّة والثقافيّة الّتي ميّزت عصر المغيلي.

وكتب التراجم و الطّبقات:

– **الضوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع:** للمؤرّخ شمس الدّين محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي (ت902هـ/1497م)، وهو كتاب في التراجم والأعلام، جمع فيه السّخاوي أعيان القرن التّاسع الهجري من العُلماء والقضاة والصّلحاء والأدباء والمُلوك والوُزراء وأهل الذّمة من مُختلف الأقطار العربية والإسلاميّة، ورتّبه على حروف المعجم وبدأ بأسماء الرّجال في عشرة أجزاء ثمّ بالكنى والأنساب والألقاب في الجزء الحادي عشر، وذكر في المقدّمة المصادر الّتي اِعتمد عليها.

– **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:** للمؤرّخ أبي عبد الله محمّد بن مريم التلمساني (ت1014هـ/1605م)، وهو كتاب تراجم لإثنين وثمانين ومائة عالم وولي وقاضي، وُلِدُوا بتلمسان أو عاشوا فيها، وأشار إلى آثارهم الفكرية وأورد في أغلب الأحيان أسماء شيوخهم وتلاميذهم والكتب المتداولة في زمانهم، كما كان يروي بين الحين والآخر بعض الأبيات الّتي قالها المُترجم لهم أو قيلت فيهم، ورتّب ابن مريم تراجمه حسب حروف الهجاء، مبتدئًا بمن اِسمه أحمد ومنهيا تراجمه بمن اسمه يحي، وقد تفاوتت تفاوتًا كبيرًا، فبعضها لا يزيد على سطر واحد، بينما خصّص لبعض العُلماء عدّة صفحات مِنْ كتابه، بينما ذكر في تراجم أُخرى اِسم المُترجم له وأصله، وتاريخ وفاته وأسماء شيوخه وأسماء تلاميذه، وعناوين الكتب الّتي ألّفها، وأحيانًا الكتب الّتي درسها، والبُلدان الّتي زارها، وأسماء من أجازه من العلماء، ويُمكن من خلال هذه السّير اِستنتاج الحركة الفكريّة بتلمسان، وبعض الظّواهر الإجتماعيّة.

- كتاب "**نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج**" "لأحمد بابا التّنبكتي المتوفّى سنة (1036هـ/1627م)، إحتوى هذا الكتاب على تراجم وإشارات تاريخيّة ذات قيمة علميّة هامّة، الّتي تفيد الباحث في مجال التاريخ الثقافي لبلاد المغرب الأوسط، كما يعتبر العمدة في التّرجمة للمغيلي حيث أنّ الّذين جاءُوا بعد أحمد بابا نقلوا تلك الترجمة عنه دون أي زيادة، كما تضمّن السّجال الشعري الّذي دار بين المغيلي و السّيوطي حول علم المنطق، كما ألّف التُّنبكتي كتاب "**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج**" الّذي تعرّض فيه لتراجم عُلماء المالكية من المغرب والمشرق والأندلس عبر فترات التاريخ الإسلامي.

- و من كتب التّراجم الّتي إستعنّا بها كذلك "**لقط الفرائد من لفاظة حقّق الفوائد**"، لـــ "أحمد بن القاضي"، وهو كتاب هامّ يشمل فترة طويلة، ويترجم لعدد كبير من العُلماء، خاصّة علماء المغرب الأوسط من بينهم "محمد بن عبد الكريم المغيلي".

- **درّة الحجال في أسماء الرّجال** "لإبن القاضي"، المتوفّى سنة 1025هـ، بدأه من تاريخ وفاة ابن خلكان سنة 681هـ إلى أوّل المائة الحادية عشرة، وقد رتّبه على الحُروف الهجائيّة، ورغم قصر التّراجم في هذا المعجم المهمّ، فإنّ فائدته كبيرة، ولاسيما في تراجمه المغربيّة والأندلسيّة، وقد إستعمل كتبًا تاريخيّة مفقودة لحد اليوم.

- **تعريف الخلف برجال السّلف** للمؤرّخ أبو القاسم محمد الحفناوي (1825هـ/1942م)، وهذا الكتاب موسوعة شاملة للسّير الذّاتية لمشاهير أقطاب العلم في المغرب الأوسط والأدباء والفُقهاء والقُضاة ومن بينهم محمّد بن عبد الكريم المغيلي ويقدّم هذا الكتاب مُساعدات جمّة بشكل عام في توسيع دائرة المصادر، والكتاب في جزأين، رتّبه الحفناوي حسب الحروف الأبجدية وذكر تحت إسم كلّ عالم، الكتاب الّذي نقل منه ترجمته، ووضع عند تمامها لفظة "إنتهى".

- **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب** لأبي العبّاس أحمد بن محمد المقرّي التّلمساني (ت: 1041هـ/1631م)، وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس، وَ قَدْ خصّ عُلماء المغرب الأوسط بقسم وافر من كتابه، وترجم لهم تراجم وافية وذكر مصنّفاتهم وتلاميذهم.

- **شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكيّة** لمحمّد بن محمّد مخلوف المالكي، وفيه تراجم للكثير من عُلماء المغرب الأوسط ومنهم الإمام المغيلي.

إضافة إلى كتاب "**عنوان الدّراية**" فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت: 704هـ/1307م)، وكتاب "**توشيح الديباج وحلية الإبتهاج**" لبدر الدين القرافي (ت 946هـ/1533م)، الّذي تعرض فيه لتراجم علماء المغرب والأندلس، وكتاب "**تعريف الخلف برجال السلف**"، لأبي القاسم الحفناوي.

- "**وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزّمان**" لإبن خلكان (ت681هـ/1283م)، وفيه تراجم لمشاهير علماء و شخصيات العالم الإسلامي.

- "**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السّابع**" للشوكاني (ت1250هـ/1834م)، وقد اِحتوى على تراجم لأعلام المغرب والمشرق.

أما كتب الرحالة و الجغرافيين فأهمها:

- "**رحلة القلصادي**" المسمّاة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب لأبي الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (ت: 891هـ/1486م)، وتكمن أهميتها في التراجم الّتي أوردها القلصادي.

- "**رحلة ابن بطوطة**" المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمحمد بن عبد الله اللّواتي الطنجي (ت: 776هـ/1373م)، وهي رحلة حافلة بالمشاهدات والأحداث التاريخيّة، كما تضمّنت وصفا لمظاهر الحياة الثقافيّة فضلاً عن السياسيّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة للأقطار الّتي زارها ابن بطوطة، خاصّة بلاد السودان الغربي.

- "**وصف إفريقيا** للحسن بن محمّد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت957هـ/1552م)، الذي مرّ بالمغرب الأوسط.

إضافة إلى ذلك "**رحلة ابن جبير**" لأبي الحسن بن جبير (ت614هـ/1217م)، وكتاب "**نزهة المشتاق في اِختراق الآفاق**" لأبي عبد الله الشريف الإدريسي (ت548هـ/1154م) في جزئه الخاص بإفريقيا والأندلس والّذي حقّقه إسماعيل العربي، وكتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب**" لأبي عبيد الله البكري (ت: 487هـ/1094م) وقد أفادتنا في التعريف بالمواقع الجغرافية من مدن وأقاليم.

و تكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع اِستعنّا بمجموعة من المراجع والدّراسات الحديثة ومن بينها:

الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (إسهاماته في نشر الثقافة الإسلاميّة بإفريقيا الغربية في القرن (9هـ/15م) الّذي يعتبر من أهمّ المراجع الّتي اِعتمدنا عليها في هذه الدّراسة، إضافة إلى بعض الرّسائل الجامعيّة، رسالة الدّكتور لخضر عبدلي الموسومة بالحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، ورسالة الدّكتور مبخوت بودواية حول: العلاقات الثقافيّة بين المغرب الأوسط والسّودان الغربي خلال عهد بني زيان"، وكذلك رسالة إسكان الحسن الموسومة بجوانب من التعليم في المغرب الوسيط".

إضافة إلى مقالة عبد القادر زبادية المعنونة بـــ : التلمساني محمّد بن عبد الكريم المغيلي، بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السّودان ّوالمقالة هي عرض مفصّل وشامل لشخصيّة المغيلي العلميّة وآثاره وجهوده في العلم والدّعوة إلى إصلاح أحوال المسلمين ووضع حدّ لنفوذ اليهود في المنطقة.

إضافة إلى بعض المراجع باللّغة الأجنبية مثل كتابي مارتان (الواحات الصّحراوية) و(أربعة قرون من تاريخ المغرب)، وأهم شيء ميّز هده الدّراسة دقّتها في تناول الجانب الجغرافي لبعض الأقاليم.

وبهذا القدر ينتهي هذا العرض الملخّص للمصادر والمراجع، وإن لم يأت ذكر مصادر ومراجع أخرى في هذا الحيز فإنّ ذلك لا يعني إغفالها وتجاهلها.

وفي الختام، أتوجه إلى أستاذي الفاضل الدكتور بودواية مبخوت، بأسمى عبارات التقدير،وأجل معاني الإحترام، وأوفى كلمات شكر على ما أسداه لي من وافر الإهتمام، والتحفيز، وما قدّمه لي من توجيهات، ومُلاحظات دقيقة وأسأل الله الكريم أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، كما أتقدّم بشكري إلى أعضاء لجنة المُناقشة الّذين تحمّلوا عناء قراءة بحثي هذا.

والله ولي التوفيق

مدخل

الوضع العام بالإقليمين

أوّلا: إقليم توات:

1- أصل التّسميّة (توات)

2- الموقع الجغرافي

3- التّضاريس والمناخ

4- ذكر إقليم توات في كتب المؤرّخين الرّحالة

5- الحياة السيّاسيّة

6- الحياة الاقتصادية: التّجارة

7- الحياة الاجتماعية

ثانيا: السودان الغربي:

1- أهم ممالك السودان الغربي

2- الحياة الاقتصادية بالسّودان الغربي

أوّلا: إقليم توات:

1- أصل التّسميّة (توات):

اختلف الباحثون و الدّارسون حول أصل تسميّة منطقة توات،فجعلها الرّصّاعْ اِسما لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثّمين سكّان الصّحراء، حيث يقول: "والملثّمون هم قبائل الصّحراء بالجنوب عُرِفُوا بهذا الاسم لأنّهم يتلثّمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف الطّوارق ولمتونة وتوات"[1].بينما يرى عبد الرّحمن السّعدي أنّ كلمة توات من أصل تكروري[2] ، و تعني نوعًا من المرض حيث يَرِدُ قصّة مفادها أنّ السّلطان كنكان موسى[3] ، أثناء سفره إلى الحجّ و مروره بتوات أصِيب الكثير من أصحابه بوجع يدعى "توات" فسميّ هذا الموضع باسم تلك العلّة[4] ، ويرى بعض المؤرخين أنّ كلمة توات أصلها أعجمي أُطلقت على إحدى بطون قبيلة لمتونة[5] عندما التجأت للإقليم في منتصف القرن السّادس الهجري (منتصف القرن الثاني عشر الميلادي) فوجدوا المكان مناسبًا ومواتيًا لهم فقرّروا الإستقرار به[6].

هذا وأشار محمد بن عبد الكريم التّمنتيطي[7] أنّ اسم توات جاء من الإتاوات الّتي كانت تُدْفَعُ إلى الموحّدين ابتداء من عام(518هـ-1124م)[8]؛ ولمحّ بعض الأساتذة إلى أنّ كلمة توات بربريّة[1].

---

1 - محمد الأنصاري الرّصاع: فهرست الرّصاع، تونس 1967م 6 ص 127.

2- التكرور: هي الإقليم الغربي من الجنوب السّوداني و أهم المدن به كانو و كاشنة و تمبكتو. انظر: محمد بلوعثمان فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تح، بهيجة شاذلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، ط1،/ 1996، ص 47.

3- كنكان موسى: عاصر السّلطان أبو الحسن المريني و كانت بينهما علاقات ممتازة ازدهرت خلالها مملكة مالي و دولة بني مرين و كان كثيرا ما يبعث هدايا للسلطان المغربي، انظر: إبراهيم حركات: طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا المغربية في العصر الوسيط. ندوة العلاقات بين المغرب و إفريقيا الغربية منشورات عكاظ، الرّباط، 1992، ص 38.

4- عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس 1964، ص 07.

5 - محمد مبارك: تاريخ توات، زاوية تمنطيط، ص 21.

6- أحمد الحمدي: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، عصره و آثاره، (870هـ-1465م) (909هـ-1503م). رسالة ماجستير، 2000/1999 جامعة وهران، ص 05.

1- محمد بن عبد الكريم التمنتيطي و هو صاحب التقييد حول تاريخ تمنتيط و توات، و هي مخطوطة موجودة بالخزانة البكرية

2- أحمد الحمدي: المرجع نفسه، ص 05.

في حين لمّحَ آخرون إلى أنّها من أصل عربي[2] ، ويتبيّن أنّ المسألة ما زالت بحاجة إلى بحث مستفيض ليتمّ حسم الخلاف الّذي وقع بين المؤرّخين قديما و حديثا و لابدّ من تتبّع الكلمة في كتب الجغرافيا و الرّحالة.[3]

2- الموقع الجغرافي:

يقع إقليم توات جنوب صحراء (المغرب الأوسط) [4] ، ويمتدّ من قصر عريان الرأس[5] شمالا إلى زاوية الرّكاني [6] جنوبا و بذلك تضمّ عددًا هائلاً من القصور والواحات على شكل هلال حيث "تعتبر رقاب السّفر إلى بلاد السّودان"[7]، ويحدّ توات من النّاحيّة الشماليّة العرق الغربي الكبير ومنطقة تيكورارين [8] ووادي السّاورة وعرق الرّاوي، ومن النّاحيّة الغربيّة وادي مسعود [9] حيث تندثر مياهه في رمال عرق الشّاش الّذي يحدّ المنطقة من ناحيتها الجنوبيّة الغربيّة، وشرق توات هضبة تادمايت ومنطقة تيديكلت [10] ، وجنوب شرقها سبخة مكرغان

3- حاج أحمد الصديق: التاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة لولاية أدرار، ط1، 2003، ص 29.

4- أحمد جعفري، محمد بن أبي المزمري، حياته و آثاره، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2004، ص 27، عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات و أعلامها، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005، ص 15.

[3] - يُعْتَبَرُ الرحالة ابن بطوطة من أقدم الرحالة الذين ذكروا هذا الاسم في رحلته المشهورة، انظر عبد الله كروم، الرّحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية و أدبية للرّحلات المخطوطة بخزائن توات، ص 22.

[4] - بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة 2005-2006 بجامعة تلمسان، ص 238.

[5] - عريان الرأس: هو الشيخ محمد بن صالح تلميذ الولي المشهور سيدي أبي الرواين دفين مكناس بالمغرب، انظر، أبو سالم العياشي: ماء الموائذ، ج1، دار المغرب،- الرباط، 1977، ص 20.

[6] زاوية الركاني: أسسها عبد الله بن مولاي علي الشريف و تقع غرب تاوريرت بها واحة للنخيل، انظر: عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية و الحضارية، معلمة الصحراء، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، 1976، ص 112.

[7] - عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، 1992، ص 72.

[8] - تيكورارين: منطقة مأهولة بعيدة بنحو مائة ميلا شمال شرق تسابيت يوجد بها ما يقرب خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية بين حدائق النّخيل و سكّانها أغنياء لأنّهم اعتادوا الذّهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السّودان و تعني تيكورارين بالأمازيغية المعسكرات، انظر: الحسن الوزّان، وصف إفريقيا، ج1، بيروت 1983، ص 133.

[9] - وادي مسعود: يتكوّن من واد جير وزوسفانة وعندما يصل إلى الجنوب يطلق عليه اسم وادي الصاورة و بعدها يغير اتجاهه نحو الغرب في منطقة بحر زار يستقيم اتجاهه ثانية نحو الجنوب و هنا يعرف بوادي مسعود. انظر: فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن و التاسع العشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1997، ص 02.

[10] - تيديكلت: هي منطقة شاسعة بين هقار (بلاد التوارق) و تتقسم تيديكلت إلى شرقية عاصمتها عين صالح و غربية عاصمتها أولف، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 08.

وتنـــروفت؛ ومنطقة توات بهذا التّحديد تمتدّ بين خطي طول 2,30 و3,30 درجة غربا[1] ودائرتي عرض 26,7 و28,5 درجة شمالا [2].

وهذا الموقع الجغرافي و الفلكي يمثل امتدادًا طبيعيّا لمنخفض تزروفت نحو الشمال[3].

3- التّضاريس و المنـــــاخ:

أ- التضاريـــــــــس:

يتكوّن إقليم توات من ناحية تضاريسه من الهضاب وبعض الجبال المنخفضة والحمّادة [4] وفي شمال تسابيت [5] ، توجد مجموعة كبيرة من الكتل الرّمليّة تكوّن في مجملها من عرق الرّاوي الرّاوي وهناك العديد من الآثار البحريّة بين تمادنين [6] ، وبودة كالمغارات و بعض آثار الأشجار ممّا يدلّ على أنّ المياه بالمنطقة كانت كثيرة والأوديّة كانت تجري طوال أشهر السّنة [7].

واشتهرت توات بثلاثة أوديّة تصبّ مياهها الجوفيّة في الفقاقير[8]، والآبار وتتمثّل في وادي مقيدن مقيدن الّذي ينتهي بمنطقة قورارة و وادي مسعود الّذي ينتهي بمنطقة توات الحنّة [9]، ووادي

---

[1] - تنزروفت: هي الصحراء الشاسعة بلغة الأمازيغ، انظر: محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، ج1، مطبعة الفن التاسع، الدار البيضاء، 1993، ص 164

[2] - P. ؛ L. Rouire, « le Sud-Ouest Oranais et le Touat ». Revue de la Société de géographie Oran (1891), p. 362. Devors, « le Touat étude géographique et médicale ». Archives de l'Institut Pasteur T.X.XV. n° 3-4, Septembre – Décembre, Alger, (1947), p 224.

[3] - محمد حوتية: قبيلة كنتة بين إقليم توات و اللأزواد، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1992-1993م، ص 03.

[4] - الحمادة : أرض صلبة تحتوي على طبقة من الحصى .أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 04.

[5] - تسابيت: منطقة مأهولة على بعد نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة ومائة ميل من الأطلس تضم أربعة قصور وقرى عديدة وهي في الطريق المؤدية من فاس وتلمسان إلى مملكة أكدز في بلاد السودان؛الحسن الوزان:المصدر السابق، ج2، ص133.

[6] - تمادنين: إحدى قصور رقان . أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 09.

[7] - محمد باي بلعالم: التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها ، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ط 1988، ص 43.

[8] - الفقاقير : كانت منتشرة بكثرة في المناطق الصحراوية خاصة توات ويختلف الباحثون في اشتقاق هذه الكلمة فهناك من يشتقها من الفقر ، كما أن الاختلاف كان كبيرا حول من أحدثها فالبعض يرى أن اليهود هم الذين أحدثوها والبعض الآخر يرى بأنهم العرب، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص ص 68- 69.

[9] - توات الحنة : ينقسم إقليم توات إلى ثلاثة مناطق رئيسية : تيدكيلت ، قرارة ، توات الحنة (الوسطى) وتمتد من تسابيت إلى رقان - عبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات ، ص 22.

فاريت الّذي ينتهي بمنطقة تيديكلت [1]، وتنتشر بتوات مساحات شاسعة مغطّاة بالرّمال تعتبر تهديدًا خطيرًا للأراضي الزّراعيّة ومواقع المياه والقصور، كما توجد بين تمنتيط[2] و تيمي[3] بحيرة تتبخّر مياهها في فصل الصّيف و تصبح ضاية من الملح تسمّى السّبخة، إلى جانب بعض الأوديّة الصّحراويّة الجافّة الّتي تصبّ في الرّمال مثل: وادي آمقيدن [4] ووادي الصّالح [5].

أرض توات عمومًا مسطّحة تتخلّلها كتل رمليّة تحيط بالواحات بفعل الحاجز الّذي يصنعه النّاس خصيصًا منْ جريد النّخيل لوقف زحف الرّمال و يسمّى أفراك.

ب- المنـــــــاخ:

نظرا لكون توات تقع في وسط الصّحراء الكبرى فهي تتميّز بمناخ جاف شديد الحرارة صيفًا، بارد قارص شتاء هذا ما أثّر على الغطاء النباتي للمنطقة .

فانتشر بها النّخيل الّذي يتحمّل شدّة الحرارة في فصل الصّيف [6].

و إذا كانت الأمطار سرّ نجاح المواسم الفلاحيّة في العديد من المناطق فإنّها بتوات نذير شؤم على الفلاّحين والسّكان، لأنّ القصور مبنيّة من الطّين والتّراب و لذلك فإنّ الأمطار تؤدّي إلى تآكل الجدران و السّقف و سرعان ما ينهار البيت بعد خروج أشعة الشّمس مباشرة.

---

[1] - فرج محمود فرج، المرجع السابق ، ص01.

[2] - تمنتيط: معناها بالأمازيغية العين التي تصيب الإنسان فيقولون أنيط ويطلقون هذا الاسم كذلك على عين الماء ،ويصفها عبد الرحيم بابا حيدة فيقول : فاعلم أن مدينة تمنتيط إسم لمدينة في إقليم توات اجتمع فيها العلم والعمارة والديانة والرئاسة . بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنتيط، تح: محمد فرح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص - ص13-14. محمد شفيق، المعجم العربي الامازيغي، ص - ص 169- 170.

[3] - تيمي : منطقة أدرار حاليا وتعتبر عاصمة الإقليم . عباس عبد الله ، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9 و10ه/ 15 - 16 م ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر2000- 2001،

[4] - وادي أمقيدن : هو امتداد لوادي السفور الذي ينبع من المنيعة الواقعة في الشمال الغربي لمنطقة القرارة ، ويتجه غربا . محمود فرج، المرجع المرجع السابق ، ص 02.

[5] - أحمد العماري : توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب عام 1850 - 1902 م، رسالة ماجستير ، المملكة المغربية ، فاس 1988، ص - ص 18- 19.

[6] - أحمد الحمدي ، المرجع السابق، ص 10.

كما تعصف بالإقليم رياح جنوبيّة تُدْعَى الشهيلي [1]، أمّا الرّياح الّتي تنجرّ عنها زوابع رمليّة فهي رياح جنوبيّة شرقيّة تسمّى كذلك سِيرُوكُو (Sirocco) [2]، وتؤدّي إلى تساقط سنابل الحبوب ممّا دفع الفلاّحين لإقامة حواجز من الجريد وسط الحقل للتّخفيف من قوّتها.

4- ذكر إقليم توات في كتب المؤرّخين الرّحالة:

تحدّث عن توات الكثير من المؤرّخين والرّحالة مثل: ابن حوقل و الحسن الوزّان (الأسد الإفريقي) والإصطخري المعروف بالكرخي واليعقوبي وابن بطوطة (ت779) وابن خلدون (ت 808) وأبو سالم العياشي (ت ق 11ه) وعبد الرّحمن السّعدي والرّحالة ابن الدّين الأغواطي (ت، ق 13)، بالإضافة إلى الرّحالة الألماني جيرارد هارد رولف (Gérard RDE) والمؤرّخان الفرنسيان مارتان (Martin) وبرنارد (Bernard) [3].

ذكر ابن بطوطة في رحلته إقليم توات فقال:"وقصدت السّفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذْ لا يوجد الطّعام بين تكدا و توات و دخلها بودة و هي أكبر قصور توات، وأرضها رمال و سبخة، و تمرها كثير ليس بطيب لكنّ أهلها يفضّلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وأنّ أكثر أكل أهلها التّمر والجراد".

وتحدّث عنها كذلك المؤرّخ ابن خلدون فكثيرًا ما ذكر اسم توات[4]، أمّا حسن الوزّان فقد وصف في كتابه تسابيت وتيجورارين فقال عن تسابيت: "تسابيت إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، و مائة ميل من الأطلس يضمّ أربعة قصور أغلبية سكّانها فقراء، لا تنبت أرضهم غير التّمر وقليل من الشّعير، بشرتهم سمراء، إلاّ أنّ نِسّاءَهُمْ

[1] - معروفة محليا بأريفي، عبد الله كروم: المرجع السابق ، ص24.

[2] - حاج أحمد الصديق : المرجع السابق ، ص 37.

[3] - أحمد جعفري: المرجع السابق ، ص 29.

[4] - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص 123، ص 198.

جميلات سمراوات"[1]. ووصف أهل تيجورارين بالغنى فقال: "ويأكلون لحم الجمال، ويستعملون في طعامهم الشّحم المالح، الّذي يأتي به تجّار فاس وتلمسان" [2]

وتحدّث عنها أبو سالم العيّاشي في رحلته المسمّاة (ماء الموائد) قائلا: "ودخلنا أوّل عمالة توات، وهي قرى تسابيت، وزرنا أوّل قرية منها قبر الولي الصّالح سيدي محمّد بن الصّالح المعروف بعريان الرّأس، وأقمنا بها ستّة أيّام و بعنا بها خيلنا، و ما ضعف من إبلنا، واشترينا ما نحتاج إليه من التّمر، و بها من التّمر أنواع كثيرة، و وجدنا بها التّمر رخيصًا [3].

كما وصفها الرّحالة أحمد الطّاهري الإدريسي صاحب كتاب "نسيم النّفحات في ذكر جوانب من أخبار توات "، فيقول : "توات أرض ذات سباخ، كثيرة الرّمال و الرّياح، لا يحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلاّ النخيل [4]، وذكرها صاحب ذرة الاقلام الشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي فقال:" توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل واشجار بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما" [5]

[1] - الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2 ، ص ،ص 133- 134.

[2] - المصدر نفسه : ص 134.

[3] - أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، ص 20.

[4] - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط موجود بخزانة كوسام، الورقة 1.

[5] - محمد بن عبد الكريم البكراوي: درّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة تمنتيط، الورقة 1.

5- الحياة السيّاسيّـــــة:

خلال القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ازداد عدد عرب المعقل[1]بشكل كبير في توات و استغلّوا ضعف نفوذ الدّويلات الإسلاميّة بالشّمال حيث استقرّوا بالواحات التّواتيّة وأخضعوا توات تحت سيطرتهم إلاّ أنّهم كانوا مسالمين ممّا جعل السّكان يطمئنّون لهم وسرعان ما تمكّن عرب المعقل من فرض سلطتهم الكاملة على منطقة توات وكان تدبير شؤون الرّعية بأيدي رؤساء القبائل العربيّة وذكر المؤرّخ ابن خلدون بأنّ عرب المعقل كانت تنتهي رحلتهم في الشّتاء من كلّ سنة بتوات، و في ظلّ حكمهم عرف النّاس الهدوء والإرتياح والسلّم لعدّة سنوات ولم يؤدّ السّكان خلالها أي ضريبة و استمرّ هذا الوضع إلى نهاية القرن السّابع الهجري (13م).

وبعد تفرّق عرب المعقل وانتشارهم في الأصقاع تمكّن والي سجلماسة[2]، وهو أبو علي منْ إخضاع توات دون مقاومة عام (714هـ- 1314م)، وكان سكّان توات يؤدّون الضرائب أثناء حكم والده أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحقّ المريني وبذلك تمكّنت الدّولة المرينيّة[3]، من إحكام سيطرتها على كامل القصور التّواتيّة ولضمان ولاء السّكان جعلوا رؤساء القبائل يتولّون

---

[1] - ينسبون إلى جدهم معقل حيث دخلوا بالمغرب في قلّة و نزلوا المنطقة التي تلي ملوية و رمال تافيلالت و هم من أهم بطون قبائل بني هلال و بني سليم و كان نشاطهم المعتاد الرّعي حيث يجوبون الصّحراء لرعي الإبل و قد وصفهم المستشرق ريمون فيرون فيقول: "و هي قبائل التي ترسل شعورها طويلا دائما، كما أنّ ملابسهم زرقاء و لم يأتوا الغزاة مثل بني هلال و بني سليم و لكن أتوا في قوافل و قد كثر عددهم من القرن الثالث عشر الميلادي في واحات توات و جرارة... ". انظر: ريمون فيرون: الصحراء الكبرى، تر: محمد الدناصوري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م، ص 68 و للمزيد انظر: عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 59.أحمد أبو العباس السلاوي الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح : محمد جعفر الناصري ج2، دار الكتب ، الدار البيضاء ، 1954، ص 159.القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج5، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1985،ص 149. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص 231-232.

[2] - سجلماسة : مدينة تقع ناحية تافيلالت جنوب شرق مدينة فاس ، على تخوم الصحراء وكانت من أهم المراكز التجارية على طريق الذهب القادم من بلاد السودان الغربي . ابن حوقل: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 91؛ أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مقتطف عن المسالك والممالك ، تر : البارون ديسلان ، مكتبة أمريكا والشرق ، باريس ، 1965، ص 48.

[3] - بنو مرين: فرع من فروع زناتة أسقطوا مراكش عاصمة الموحدين وأسسوا دولتهم . ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ج7 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981، ص 342-345.

إدارة شؤون الرّعية و أخذت منهم الضرائب الخاصّة بالأراضي و الأسواق التّجاريّة و ممارسة المهن و الحرف اليدويّة.

وبعد سقوط الدّولة المرينيّة سنة (869هـ-1464م) أصبح الحكم بتوات للقضاة ورؤساء القبائل و كان الشّيخ يحي بن يدير هو قاضي الجماعة يتولّى إدارة شؤون البلاد بمساعدة جماعة المسلمين فحكموا بنصوص الشرع الثابتة وأسقطوا عن النّاس الضرائب و الإتاوات كما أنّ شيخ القبيلة تمتّع بالسّلطة المطلقة وكانت جميع أحكامه ملزمة ومنفّذة، وبعد وفاة الشيخ يحي بن يدير استطاع المغيلي أن يحكم كامل القصور فانتقلت عاصمة إقليم توات منْ تمنتيط إلى نواحي بوعلي[1] وعيّن المغيلي ابنه عبد الجبّار قائدًا على جيشه الّذي يسهر على حماية النّظام بتوات و خضعت لسلطته جميع النّواحي و أهمّ عمل قام به المغيلي هو إجلاء جميع اليهود من توات كان عام (882هـ - 1477م) [2]، و تجدر الإشارة أنّ المغيلي غيّر النّظام السياسيّ بتوات تغييرًا جذريًا فأصبحت توات منذ سنة (883هـ - 1478م) مستقلّة في قرارها لا تخضع لأي دولة لا من النّاحيّة السياسيّة ولا الاقتصادية [3]، لأنّ بنو عبد الواد [4] لم يكونوا بالقوّة الّتي تسمح لهم بضمّ مناطق جديدة حتّى أنّهم لم يحافظوا على ممتلكاتهم بسبب التّنافس فيما بينهم حول القيادة و ضعف سلاطينهم [5].

---

[1] - بو علي : هو القصر الذي اختاره المغيلي ، ليقيم به زاويته ويقع شرق تازولت؛ A.Selka ,Notice sur le touât , bulletin de la société géographe d'Alger et de l'Afrique du nord,3trimestre ,1922, p 543

[2] - سنتعرض لحادثة يهود توات في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

[3] - أحمد الحمدي: المرجع السابق ، ص 55.

[4] - بنو عبد الواد : هم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة واصل تسميتهم عائد إلى جدهم عابد الوادي . ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 149 محمد بن عبد الله التنسي ، تاريخ بني زيان ، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ،تح: محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 109- يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1980، ص 186.

[5] - كان سلاطين بنو عبد الواد متقلبي المزاج كثيري الشكوك، فقد غضب المتوكل على أحمد الونشريسي فطرده؛ أحمد بن القاضي: لقط الفرائد، من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات، تح: محمد حجي ،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط،1976، ص281.

فكانت غاية المغيلي من ذلك إرضاء الله تعالى ومحاربة أعداء الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ سافر بعد ذلك إلى بلاد التّكررو لمواصلة هدفه المنشود وهو نشر الإسلام والإصلاح و تثبيت قواعد الشريعة [1].

6- الحياة الإقتصاديّة:

التّجـــــــارة:

عرف إقليم توات حركة اقتصادية مزدهرة لا مثيل لها، و هذا راجع إلى موقعها الجغرافي الممتاز حيث يتوسّط الطّرق التّجاريّة الّتي تربط بلدان الشمال ببلاد السّودان الغربي[2]. بالإضافة إلى الواحات الخضراء الممتدّة على شكل هلال تتوزّع فيه القصور و المساحات المزروعة الّتي تساعد التّجار على السّفر دون خوف، كما تميّز طريق توات بوفرة المياه و من هذه الطّرق طريق طرابلس، [3] غدامس [4]، وتكمن أهميّة هذا الطّريق في أنّها منفتحة على تجارة البحر المتوسّط عبر

---

[1] - يحي بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1، الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ص 155.

[2] - السودان: كلمة السودان تعني عند المؤرّخين المسلمين بلدان إفريقيا الغربيّة جنوب الصّحراء في حين كانت مناطق الشرق الإفريقي تُعْرَفُ ببلاد الزّنج، أمّا إطلاق هذا الإسم و تحديد مدلوله على جمهورية السّودان الحديثة، إنّما ترجع بداياته إلى القرن 18 (الثامن عشر) على أبعد تقدير، و قبل هذا التاريخ كان لهذا البلد إطلاقات أخرى، و ذلك بالنّظر لنواحيه الواسعة، مثل بلاد سنّا و بلاد الفونج. و في بداية القرن التّاسع عشر اتّسع هذا المدلول على كلّ بلاد السّودان الحاليّة، خاصّة منذ حملة محمّد علي الأقسام الشماليّة من البلاد، فكان يطلق في كتابات ذلك العهد في مصر بصورة خاصّة اسم (بلاد السّودان) ليدلّ على مناطق أعالي النّيل ثمّ اتّسع هذا الإسم بعد ذلك ليشمل كلّ أقاليم السّودان.

أمّا في الكتابات السّابقة و خاصّة السّودانية منها حتّى آخر القرن الثامن عشر فلا يكاد الباحث يجد لهذا المصطلح مدلولاً آخر جغرافيا غير ما يعرف الآن ببلدان غرب إفريقيا و حسب المعنى التاريخي الأوّل يستعمل مصطلح السّودان هنا، ليتناسب مع الفترة التاريخيّة التي نحن بصددها، انظر: عبد القادر زبايدية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1971، ص 15.

و للمزيد انظر:مجهول: تذكرة النّسيان في أخبار ملوك السّودان، تح: هوداس، باريس 1961م / عبد الرحمن السّعدي، تاريخ السّودان / مكّي شبيكة، مملكة الفونج الإسلامية، القاهرة، 1964م / محمد عِوَضْ، السودان الشمالي سكّانه و قبائله، القاهرة، 1965م ؛ Marcel Devis, le - Pays des Zindjs, Paris 1883.

[3] - طرابلس: بناها الأفارقة إثر خراب طرابلس القديمة، تحيط بها أسوار عالية جملية، لكنها غير متينة و تقع في سهل رملي مغروس بنخل كثير، دورها جميلة و ليس بها سقايات و لا آبار و إنّما فيها خزانات و تعاني كثيرا من قلّة الحبوب انظر: الحسن الوزّان، وصف إفريقيا، ج2، ص 97.

[4] - غدامس: منطقة كبيرة مسكونة على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط، سكانها أغنياء و لهم بساتين نخيل و أموال لأنّهم يتاجرون مع بلاد السّودان، انظر: الحسن الوزان:المصدر نفسه، ج2، ص 146.

قابس [1] وطرابلس حيث كثرت البضائع السّودانيّة بغدامس قبل توجّهها إلى المدن الإيطاليّة و هي الطّريق الّتي دخل منها مالفانطي [2] إلى توات عام (851هـ - 1447م) [3].

و بهذا ازدادت أهميّة توات خاصّة بعد تحلّي القوافل القادمة من الشمال عن المرور بتغازي[4] وهناك طريق آخر يقع شرق العرق الغربي الكبير يربط بين إقليم توات ومنطقة الزّاب [5] ، ويتفرّع عن هذا الطّريق مسلكين، المسلك الأوّل يمرّ شرقا وصولا إلى تدكلت الشرقيّة والمسلك الثاني يتّجه غربا نحو تيكورارين [6]، حتّى يصل إلى توات، و تنتشر بالمسلك الثاني عدّة آبار أهمّها: حاسي الحاج موسى، حاسي سيد الجيلالي وحاسي الشّويلي، بالإضافة إلى مسالك أخرى وأهمّها المسلك الّذي يربط شرق وادي السّاورة بتكورارين، وهناك معابر أخرى لكنّها قليلة الاستعمال إلاّ من قِبَلِ بعض القبائل الرّحل [7].

7- الحياة الاجتماعية:

يتكوّن المجتمع التّواتي من خمسة شرائح اجتماعية استقرّوا في المنطقة في فترات مختلفة وأولى هذه الشرائح هم:

---

[1] - قابس: مدينة كبيرة بناها الرّومان على ساحل البحر المتوسّط داخل الخليج تحيط بها أسوار عالية قديمة و سكّانها سود البشرة. انظر: الحسن الوزّان: المصدر نفسه، ج2، ص 91.

[2] - مالفنطي: انطونيو مالفانطي: هو عميل لأسرة من كونتريونتي من مدينة جنوة و كان أفرادها من كبار التّجار في إيطاليا و كانت لهم مصالح تجاريّة في إسبانيا، و في عام (851 هـ- 1447م) أحدثوا إصلاحات نقدية في مدينة جنوة فلم ينجحوا فأرسلوا في نفس السّنة مالفانطي إلى توات حصول على كميّات من الذهب و في نفس الوقت ليتجسّس على الطّرق الصّحراويّة و على منابع المعدن الأصفر النّفيس. انظر: عبد العزيز العلوي:"العلاقات التجارية و الثّقافية بين المغرب المريني و إمبراطورية مالي"، ص 60.

[3] - عبد العزيز العلوي: المرجع نفسه، ص 59.

[4] - محمد أعفيف: المسالك الصحراوية توات حلقة اتّصال بين المغرب و إفريقيا الغربيّة، ندوة العلاقات بين المغرب و إفريقيا الغربيّة، منشورات عكاظ، الرّباط، ط 1992م، ص 51.

[5] - الزّاب: إقليم يقع في وسط نوميديا، يبتدئ غربا من تخوم المسيلة و يحدّه شمالاً جبال مملكة بجاية، أمّا امتداده الشرقي إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، و من جنوبه القفار التي تقطعها الطّريق المؤديّة من تقرت إلى ورجلان و هذه المنطقة شديدة الحرارة رملية. لا يوجد بها إلاّ يسير من الماء و قليل من الأراضي الصّالحة لزراعة الحبوب لكن عدد حدائق النّخيل بها لا يُحْصَى، و يشمل الإقليم خمس مدن و عددًا من المدن الكثيرة، انظر: الحسن الوزّان: المصدر السابق، ج2، ص 138.

[6] - تيكورارين: تقع شمال شرق منطقة توات و تتكوّن من ثلاثة منخفضات هي الظهراني و الشرقي و القبلي، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 57.

[7] - محمد أعفيف: المرجع السابق، ص58.

البربـــــــــر:

يُعتبر البربر السكان الأصليين لتوات لأنّ وجودهم يعود إلى ما قبل الإسلام بقرون، وأهمّ القبائل الّتي عمّرت بهذه المنطقة قبائل زناتة، [1] من بني عبد الواد و بني مرين ، وتوجد الكثير من الآثار والنقوش الدّالة على أنّ البربر أقدم السّكان [2]، وكذلك أسماء القصور أكثرها باللّغة الزناتيّة[3].

سكن البربر بهذه المنطقة نظرًا لتوفّرها على الاستقرار و السّكينة و بعيدة كذلك عن سلطة الحكّام في الشّمال [4].

واشتهر البربر بزراعة الأرض لتوفّر المنطقة على وادي كبير كانوا يسقون به واحاتهم وكذلك اشتغالهم بالتّجارة، خاصّة مع بلاد السّودان الغربي. كما مارسوا الرّعي وسكنوا الخيام حيث اعتصموا بالأماكن المنعزلة.

وبعد سقوط المرابطين بالمغرب هاجرت القبائل اللّمتونيّة إلى توات وسكنوا تمنتيط، وأسّسوا القصور و أهمّ هذه القبائل هي: أولاد يعقوب و أولاد يحي.

وقاموا بحفر ما يُعْرَفُ بالفقّارة بسبب انخفاض مشروب الوادي الكبير و مِمَّا يدلّ على انشغالهم بالزّراعة هو أسماء الوسائل الزّراعيّة، وكذلك توقيت زراعة بعض المحاصيل.

---

[1] - زناتة : من قبائل البتر البربرية ، ويرجع أصلها إلى شانا أو جانا بن يحي بن صالوت ، وكانوا عدة فروع إضافة إلى بني عبد الواد ومنهم : بنو مرين ، مغراوة ، بنو يفرن . ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تح : عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962، ص 495؛ ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ط2، ليدن (دار صادر، بيروت) 1938م، ج1، ص 160- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984ن ص 15- 21.

[2] - توجد كتابات هامّة هي عبارة عن نقوش و رسوم على الصّخور بالهضاب الموجودة بمنطقة تيديكلت الغربية (أولف) و هذه الكتابات عبارة عن رسائل متبادلة بين القوافل التجاريّة و هي مكتوبة بلغة تيفناغ، انظر: L. Vonoit. Le tidikelt, études sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du Pays.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص 72، ص 68.

[4] - موسى لقبال: البتر والبرانس و المظهر الاجتماعي لسكان المغرب، مجلة الأصالة، العدد 24، الجزائر مارس – أفريل 1975، ص ص 161-162.

كما أنّهم بنو حول القصور الأسوار و الخنادق لاستغلالها في حالة حرب.

العـــــرب:

كان وصول العرب إلى توات بقصد نشر الدّين الإسلامي الحنيف وتعاليمه السّمحاء واللّغة العربيّة [1]، وكذلك لممارسة التّجارة، فكان أوّلهم دخولا عرب المعقل، ثمّ تلتها قبيلة الكنتة الّتي كان لها أثر عظيم في إسلام الزنوج في منطقة جنوب الصّحراء والنيجر الوسطى و قبيلة أولاد علي بن موسى القرشيّة والّتي كان نزولها بتمنتط وذكرهم محمّد الطّيب بن عبد الرّحيم في قوله: "هم من أكابر النّاس، دلّت على ذلك حالتهم و سيرتهم، فهم أهل سنّة و مروءة وريّاسة[2]وكانوا متحالفين مع قبيلة أولاد الحاج. بالإضافة إلى عرب القدوية الّذين استقرّوا شرق توات بعد مجيئهم من الحجاز مرورًا بمصر، [3] و آخرون قدموا من تافيلالت. و أهم نشاطات العرب في توات الزّراعة، زرعوا الأراضي و حفروا الآبار و الفقاقير و مارسوا التّجارة حيث كانوا همزة وصل بين الأقاليم الشماليّة و ممالك السّودان الغربي في الحياة الاقتصادية.

اليهـــــــود:

يرجع وجود اليهود بتوات إلى قرون بعيدة فنزلوا بتمنتيط وتيطاف وتاوريرت وتخفيفت وتاسفاوت، وكان لهم حيّ خاص بهم، إلاّ أنّ طائفة منهم ادّعت الإسلام ليتفادوا الدخول في صراع مع المسلمين فلقّبوا بالمسلمانيين أو المهاجرية [4]، ولّما أسلمت طائفة المهاجرية أصبحت

---

[1] - L. Herbert, les foggaras du Touat, bulletin de la Société géographique d'Alger et de l'Afrique du Nord, 4éme trimestre 1934, p 561.

[2] - محمد الطيب بن عبد الرحيم: القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص 23.

[3] - مصر : سميت مصر نسبة إلى مصراييم بن حام بن نوح وحدد الجغرافيون طولها من رفح إلى أسوان وعرضها من برقة إلى أيلة في مسيرة أربعين ليلة . أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة ، المسالك والممالك ، طبعة ليدن 1989 ،ص 82- 84- المقريزي ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، ج1 ، ط2 ، المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، 1987، ص 14-18- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5 ، دار صادر ، بيروت ، 1986، ص 137.

[4] - المهاجرية: طائفة من اليهود اعتنقت الإسلام و كوّنت مجموعة على حدى و إمتنعت عن مصاهرة القبائل الأخرى أو الإمتزاج بها وهي توجد بتوات و تُوقرت و غيرهما، انظر: عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص –ص 203-204.

تتعامل مع السكّان بطريقة عاديّة لكنّها احتفظت بعاداتها وتقاليدها، ومنها عدم الزّواج من غيرهم من سكّـــان توات، فوثِقَ التّواتيون في إسلامهـــم و قرّبوهم من عيالهـــم و أهلهم و اتّخذوهم في متاجرهم و اِستأمنوهم على أموالهم فقويت شوكة اليهود بتوات و سيطروا على التّجارة لأنّهم يتقنون هذه الحرفة بشكل كبير، فقد كان بسوق توات ما يقارب "ثلاثمائة وستون صائغا يهوديا[1] بتقدير من محمد الطيب بن عبد الرّحيم.

الحرّاثيـــــــن:

هناك اِختلاف في أصل تسميتهم، فهناك من يقول أنَّ هذه التّسميّة أقتبست من نوع من التّمر يسمّى أحرطان أو أحرضان بالبربريّة و تعني عندهم المختلط [2] ، وهناك رأي آخر يقول بأنّ الحرّاثين هم من يحرثون الأرض لأنّ هذه الفئة اِشتهرت بزراعة النّخيل و الرّعي و حفر الآبار و السّقي، و في حقيقة الأمر أنَّ أصل تسميتهم من الحرّثاني لأنَّ آباءهم أحرار و أمّهاتهم جواري و لكنّ هذه الفئة كان عددها قليلاً، و السّبب راجع إلى أنَّ العربي أو البربري الحرّ لا يرغب في الإنجاب من الجواري اللاتي يملكهنّ.

العبيـــــد:

العبد هو الأسير الّذي يسقط في يد المسلمين خلال الجهاد الإسلامي أو الّذي يُحْمَلُ إلى دار الإسلام على كفره و يُبَاعُ في سوق النّخاسة [3]، ويرتبط تاريخ وجود العبيد بتوات بحركة التّجارة بين الأقاليم الشماليّة و بلاد السّودان الغربي.

---

[1] - محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 14.

[2] - عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق ، ص ـ ص 86- 87.

[3] - هاشم العلوي القاسمي: أصول الرّوابط التاريخيّة بين بلاد المغرب وغرب إفريقيا في العصور الوسطى اِستحضار أم اِستشراف، العدد5، فاس 1989، ص146.

فقد اِستغلّوا من طرف البربر في الوظائف الشّاقة و الّتي تتطلّب مجهودًا عضليًا كبيرًا كشقّ الآبار ورعي المواشي والعمل في البساتين، حيث أصبحت الحاجة إليهم كبيرة و لم تخْلُ قصور توات منهم، فقد حملت القافلة الّتي رافقها اِبن بطّوطة من تكدا إلى توات عام (745هـ-1353م) ستمائة خادم [1].

لقد عُرِفَ المجتمع التّواتي بتمسّكه بعاداته و تقاليده المنبثقة من تعاليم الدّين الإسلامي، وكانوا شديدي الحرص على تطبيقها و الالتزام بها و الّتي تدعو إلى الاحتشام و التّستّر [2].

وكانت عادات وتقاليد التّواتيين مميّزة جدّا و من هذه العادات إكرام الضّيف حيث ورثها الأبناء عن الآباء، فكان يوجد في القصور أُناسُ متخصّصين للتعرّف على الغرباء والأجانب ومرافقتهم بمَا يُعْرَفُ بدار الضيافة، و كلّ أسرة تقوم بإعطاء الضيوف الطعام لمدّة ثلاثة أيّام و هذا النّظام معروف بتوات لأنّ البيئة الصّحراويّة كانت قاسية أمام المسافر.

و لم تقتصر بيوتهم على الضيافة فقط بلْ سخّرُوا المسجد الّذي كانت به واحات خاصّة و بيوت للمسافرين و الغرباء؛ وبذلك شارك المسجد في أداء دور اِجتماعي كبير [3].

ومن التقاليد الهامّة بتوات زيارة الأقارب والمحافظة على صلة الرّحم، فكان أفراد العائلة يلتقون يوم الجمعة حول مأدبة الغذاء و يتبادلون أطراف الحديث في مختلف المواضيع الّتي تتعلّق بالقصر أو بالعائلة.

أما زواج التّواتيون فكان يتمّ بعد الخطبة وتقديم المهر وكانوا يتزوّجون بأقاربهم، فلا يجب أن يتزوّج الفرد من إمرأة أجنبيّة واِبنة عَمِّهِ موجودة، ولا يمنحون الفرصة لأولادهم سواء ذكور أو

[1] - ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلماء، بيروت 1996، ج2، ص 801..

[2] - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص44.

[3] - أحمد الحمدي: المرجع السابق ، ص 48.

إناث في اختيار الزّوج، خاصّة الفتاة، عندما يطلبها أحد، تتمّ الموافقة مباشرة بعد سماع رأي من يتولاّها.

ومن مظاهر التّكاثف الاجتماعي بتوات خلال وجود الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي بها تعاون التّواتيين فيما بينهم في حالة إصابة قصر ما بزحف الرّمال فيُدْفَنُ عدد من البيوت،حيث يقوم البرّاح بإعلام أهل القصور الأخرى لنجدة السّكان.

وفي حالة انتهاء مخزون التّمر لدى إِحْدَى الأسر تُسارِعُ الأسر الأخرى بمساعدتها،و يظهر هذا التّضامن كذلك أثناء الأعراس وفي المناسبات الأليمة كوفاة شخص ما، بالإضافة إلى التّعاون أثناء الأعياد الدّينيّة مع الأسر الفقيرة بإعطائهم زكاة عيد الفطر وبعض اللّحوم في عيد الأضحى[1].

ويتكوّن البيت التّواتي من غرف متوسّطة الحجم وغرفة كبيرة للضّيوف و بهو كبير يخزّنون فيه العَلَفْ والتّمر، وكانوا يبنون منازلهم بالطّوب الأحمر والسّطح يكون بخشب النّخيل.

كان الرّجل التّواتي يلبس العباءة البيضاء والعمامة في فصل الصّيف وذلك لكون العباءة فضفاضة لا تُبْدِي أيّ شيء من شكل الجسم، و كان لونها الأبيض يعكس أشعة الشّمس، أمّا العمامة فتحجب وتحفظ الرّأس من هذه الأشعة، وتمنعه من التّعرّض للبرد القارص في فصل الشّتاء، بالإضافة إلى البرنوس الّذي يُصْنَعُ منَ الصّوف.

أمّا المرأة فتلبس لباسًا لا يُبْدِي زينتها أبدًا و تضع فوق اللّباس إزَارًا و الدّليل على تشدّد التّواتيين في ستر المرأة هو نظام الحُجبة[2].

[1] - عبد الحميد بكري: المرجع السابق ، ص 29.

[2] - الحُجْبَة: هو منع الفتاة البالغة من الخروج من البيت إلاّ إلى بيت زوجها، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 47.

وإذا تمّ إنجاب طفل فتكون الفرحة كبيرة فيحضر جميع أفراد العائلة و يذبح والد الطّفل أجود ما لديه من الغنم و بعد أسبوع تجتمع العائلة و أعيان القصر لوضع اسم للمولود و عادة ما يُسمّى الإبن الأوّل على اسم جدّه لأبيه، و كانوا يمنعون الماء عن المولود أربعين ليلة و يكتفون بإعطائه حليب الشاة، [1] و بعدما يبلغ الطّفل سنة واحدة يُحْلقُ نصف رأسه و يبقى الشّعر في النّصف الآخر، و بعد بلوغه ثلاث سنوات يتمّ إدخاله إلى الكتاتيب، [2] لحفظ القرآن و تعليمه.

إضافة إلى الاحتفال بالزّواج والمولود اهتمّ التّواتيون بالأعياد الدّينيّة كعيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء و المولد النّبوي الشّريف، فكان التّواتيون في عيد الفطر يلبسون أحسن ما لديهم و يذهبون لصلاة العيد بالمسجد و يتمّ التّسامح فيما بينهم و يدخلوا بيوت القصر لتحيّة من يوجد بها و تبعًا لذلك اِنتشرت عادة مصافحة النّساء و الإطّلاع على بعض حُرمات النّاس، فنبّههم الإمام المغيلي عن هذه العادة السّيئة وواجهها بشدّة وبيّن فسادها وسبب تحريمها.و في عيد الأضحى يذبح السّكان الأضحيّة بعد الصّلاة و يقسّمون جزءًا منها على الفقراء و المساكين، أمّا في المولد النّبويّ الشّريف فيجتمع التّواتيون بالمسجد ويُنْشِدُون الأناشيد و القصائد الّتي تشيّد بخصال النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم لمدّة أسبوع، و في اليوم السّابع يحتفلون بختمه و تُوزَّعُ الصّدقات و إطعام الفقراء و المساكين [3].

و في شهر رمضان يتوجّه النّاس إلى المسجد لأداء صلاة التّراويح، و من عادة التواتيين في هذا الشّهر الكريم قضاء القيلولة كلّها داخل الفقارة نظرًا لبرودة الطّقس بها و تقتصر هذه العادة على الأوقات الّتي يكون فيها الجوّ حارًّا جِدًّا.و في وقت السّحور يَمُرُّ البرّاح بشوارع القصر

---

[1] - أحمد الحمدي: المرجع نفسه، ص 47.

[2] - الكتاتيب : تعتبر من اقدم أنواع المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي وهي جمع كتاب وهو مشتق من التكتيب ودخل هذا النظام إلى بلاد المغرب مع الفاتحين ،وازداد عددها بتوسع العمران . حسن عزوزي: التأليف في القراءات في المغرب والأندلس ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد الأول ، 1993، ص 241- محمد بن سحنون ، كتاب آداب المعلّمين ، تح : حسن حسني عبد الوهاب ، مراجعة : محمد العروسي المطوي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1972، ص 31 - 35.

[3] - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 49.

ويضرب على الدُّفِ ليستيقظ النّاس و يكون أجره كميّة معلومة من التّمر بعد انقضاء شهر من الصيّام، و في ليلة القدر يقوم النّاس بالمسجد حتّى صلاة الفجر ثمّ يتوجّهون لأعمالهم صباحا [1].

ثانيا: السودان الغربي:

إنّ أوّل من أطلق كلمة السّودان هم العرب على سكّان جنوب الصّحراء الكبرى، و ينقسم السّودان إلى ثلاثة أقسام: السّودان الشرقي و الأوسط و الغربي و هذا الأخير يُطْلقُ عليه، كذلك إسم إفريقيا الغربيّة حيث قامت به عدّة ممالك ساهمت في نشر الثقافة و العلم و إخراج السكّان من دائرة الجهل و طور البداوة الّتي سيطرت على غيرهم من المناطق الإفريقيّة الأخرى

1- أهم مماليك السودان الغربي:

أ- غانـــــــة:

مملكة غانة[2] ليست بدولة غانة الحاليّة لأنّ غانة القديمة كانت تقع في أرض جمهوريّة مالي الحاليّة بالقرب من الحدود مع موريتانيا [3]، وهذه المملكة ذكرها الكثير من المؤرّخين و الرّحالة العرب و منهم ابن حوقل [4] في كتابه صورة الأرض حيث قال: "غانة أيسر من على وجه الأرض".و يقول البكري [5] عن غانة: "وغانة سمة لملوكهم و إسم البلد أوكار، وإسم ملكهم اليوم و هي سنة ستّين و أربع مائة تنكامنين و ولّى سنة خمس و خمسين و كان اسم ملكهم قبله بسى

[1] - عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 32.

[2] - كلمة غانة تعني باللّغة المحليّة الساراكولة القيادة العسكرية ثمّ تحوّل الإسم إلى العاصمة مركز القيادة، ثمّ أطْلِقَ على المملكة، انظر: بودواية مبخوث: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط و السّودان الغربي، ص 35.

[3] - إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 281.

[4] - هو أبو القاسم بن حوقل النّصيبي الرّحالة العربي، صاحب كتاب صورة الأرض.

[5] - عبد الله ابن عبد العزيز البكري صاحب كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب و هو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، انظر: الصّفحة الأولى من هذا الكتاب. و كانت كتاباته في أوائل النّصف الثاني من القرن الخامس.

ووليهم و هو ابن خمس و ثمانين سنة وكان محمود السّيرة محبّا للعدل مرشدًا للمسلمين وعمى في آخر عمره، فكان يكتم ذلك عن أهل مملكته و يريهم أنّه يُبْصِر..... و بَسَى هذا خال تنكامنين وتلك سيرتهم ومذهبهم أنّ الملك لا يكون إلاّ في ابن أخت الملك لأنّه لا يشكّ فيه أنّهُ ابن أخته وهو يشكّ في ابنه و لا يقطع على صحّة اتصاله به" [1].

فكان ملوك غانة يعيّنون على الملك بعد ضعْفهمأبناء أخواتهم و ذلك لأنّ ابن الملك قد يقع التشكّك في نسبه، مثلما عيّن بَسَى إبن أخته تنكامنين [2]له و يصف البكري غانة فيقول: "و مدينة غانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة الّتي يسكنها المسلمون و هي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدًا أحدهما يجتمعون فيه و لها الأئمة والمؤذّنون والرّاتبون وفيها فقهاء وحملة علم و حولها آبار عذبة منها يشربون و عليها يعتملون الخضروات، و مدينة الملك على ستّة أميال من هذه، وتسمّى بالغابة و للملك قصر وقباب و قد أحاط بذلك كلّه حائطٌ كالسّور، و في مدينة الملك مسجد يصلّي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك و حول مدينة الملك قباب وغابات و شعراء يسكن فيها سحرتهم و هم الّذين يقيمون دينهم و فيها قبور ملوكهم ولتلك الغابات حرس و لا يمكن لأحد دخولها ولا معرفة ما فيها و هناك سجون الملك، فإذا سُجِنَ فيها أحد انقطع عن النّاس خبره..." [3]. وكانت مدينة غانة مقسّمة إلى مدينتين، مدينة يسكنها المسلمون و يوجد بها إثنا عشر مسجدًا و بها الأئمة و المؤذّنون و الرّاتبون و الفقهاء وكذلك العلماء و بهذه المدينة آبار يستغلّونها للشّرب و سقي الخضروات،و مدينة الملك تبعد عن المدينة الّتي يسكنها المسلمون ستّة أميال و تسمّى كذلك بالغابة و بيوتهم متّصلة فيما بينها مبنيّة

[1] - أبو عبيد الله ابن عبد العزيز البكري: المصدر السابق، ص 174-175.

[2] - تنكامنين هو ملك غانة عيّنه خاله بَسَى حيث كان شديد الشوكة، عظيم المملكة مهيب السلطان، انظر: البكري: المصدر نفسه، ص 175.

[3] - البكري: المصدر السابق، ص 175.

بالحجارة و خشب السنط. أمّا الملك فله قصر كبير و قباب و يحيط بها سور كبير و بهذه المدينة يوجد مسجد يتوجّه إليه المسلمون.

وحول مدينة الملك توجد الغابات أين يستقرّ الوثنيون لممارسة السّحر و طقوسهم الدّينيّة،فكانوا يدينون للملك بالولاء و يحتفظون بجميع عقائدهم و لهم مكانتهم الإجتماعيّة وحتّى في الإستقبالات الرّسميّة يقدّمون أمام الملك طبقا لرسوم خاصّة بهم [1]. و كانت هذه الغابات مقدّسة بالنّسبة لهم لأنّها تحوي قبور ملوكهم و مساجينهم فيسهرون عليها و يقيمون الحرس، فيقول البكري: "و لتلك الغابات حرس و لا يمكن أحد دخولها و لا معرفة ما فيها، فإذا سُجِنَ فيها أحد اِنقطع عن النّاس خبره" [2].

وفيما يتعلّق بهياكل دولة غانة فإنّ أعوان الملك و تراجمته و وزراؤه و من بينهم صاحب بيت ماله، كلّهم من المسلمين.

وملك غانة في العصر الّذي كتب فيه البكري كان يتولّى القضاء و يفصل في النّزاعات بين المتخاصمين، كما كان يحيط نفسه بمظاهر الجلالة و الأبهة فيقول: "و هو يجلس للنّاس و المظالم في قبّة و يكون حوالي القبّة عشرة فرسان بثياب مذهّبة و وراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الحُجُف [3] و السيوف المُحلاّة بالذّهب و عن يمينه أولاد ملوك بلده قدْ ضَفَرُوا رؤوسهم على الذّهب و عليه الثياب الرّفيعة و والي المدينة بين يدي الملك جالس في الأرض و حواليه الوزراء جلوسا على الأرض و على باب القبّة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه و في أعناقها سوا جير الذّهب و الفضّة و هم ينذرون بجلوسه بطبل يسمّونه دَبَا [4].

---

[1] - إسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص 284.

[2] - البكري: المصدر السابق، ص 175.

[3] - تروس من الجلد.

[4] - دَبَا: هو خشبة طويلة منقورة أثناء جلوس الملك فتحدث صوتًا و الحميري يقول دَبْ

ب- مالـــــــي:

لقد عُرِفتْ مملكة مالي عند البكري ببلد ممل[1] بينما ذكرها الإدريسي بلملم[2] وذكرها ابن خلدون في حديثه فيقول عنها: "و كانت تجاورهم أي غانة من جانب الشرق أمّة أخرى فيما زعم النقالون تُعرَف بصوصو... ثمّ أمّة تُعْرَفُ بمالي ثمّ بعدها أمّة تُعْرَفُ بكوكو...."[3]

و يقترن ذكر مالي بغانة لأنّها كانت من مقاطعاتها و كان سلطانها تابعا لها[4] و بعد ضعف هذه الأخيرة على إثر الهجمات المرابطيّة، سيطرت أقوام الصّوصو على جلّ منطقة السّودان الغربي[5]

وتأسّست مملكة مالي على يد قبائل الماندينغ أو الماندیغو و هي من أوائل الشّعوب الّتي إعتنقت الإسلام في غرب إفريقيا و كانوا في البداية يدينون بالولاء لمملكة غانة وعندما سقطت هذه الأخيرة على يد الصّوصو الوثنيين تَصَدَّى شعب الماندينغ لهذه الهجمات وتمكّنوا من الانتصار عليهم بقيادة "سونديانا كيتا" في معركة كيرينا[6] عام 1235م و الّذي حدّد القواعد الأولى لدولته المالي ويسمّي ابن خلدون "سونديات" "بماري جاطة"[7] و معناها أسد مالي.

ولقد حيكت على سونديانا الكثير من القصص و الروايات، فكان والده يسمّى ناري فامغان وأمّه تسمّى سوجلون كونتي الّتي ولدت سونديانا ذو بنية ضعيفة، و كان يعاني من عاهة في رجله و لّما

---

[1] - البكري: المصدر السابق، ص 178.

[2] - الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية و الصّحراويّة، المصدر السّابق، ص 04.

[3] - ابن خلدون: العبر، ج6، ص 412.

[4] - أحمد شكري: المرجع السابق، ص 166، عبد الهادي التّازي، المرجع السابق، ص 45.

[5] - بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 42.

[6] - كيرينا: تقع بين مدينة باماكو و كانكيا في جمهورية مالي الحالية.

[7] - ماري جاطة: معناها ماري يعني مالي. و جاطة: بمعنى السد (أسد مالي)، انظر: ابن خلدون، ج6، ص 413.

كبر أحسّ بأنّ الذّل و الهوان الّذي يتعرّض له وطنه لا يُحتمل فقرّر أن يحرّره و طلب أن يعطوه قضيبا من حديد ليستعمله كعصا لكنّ القضيب تكسّر تحت ثقل جسمه ثمّ مدّوه بصولجان أبيه ولّما توكّأ عليه نهض سونديانا بدون عناء، فقد كان ذلك بداية لعهد حافل من تاريخ مالي.

فَطُرِدَ سُوْدْيَاتَا من طرف أقاربه بعد أن دبّت في نفوسهم الغيرة فالتجأ إلى مملكة أخرى وأقام فترة من الزّمن [1]، فساعدوه على الرّجوع إلى مالي، و حكمها أكثر من عشرين سنة، وعرفت مالي في عهده تطوّرًا ملحوظًا ومشرقًا في كافّة المجالات، قال ابن خلدون:"أنّ المدينة واسعة وتجري فيها مياه ولها أسواق مقصودة وأنّها أصبحت في عهده محطّة للقوافل الآتيّة من المغرب الأقصى وإفريقيّة ومصر".

وقام كذلك بنقل عاصمة مملكة مالي من جيليبا إلى نياني [2] بعد أن أدرك أنّها لم تَعُدْ تتّسع لبلاطهُ و لنشاط دولته و وجّه عدة حملات من عاصمته إتّجاه الغرب و لم تلبث حتّى وسعت حدود المملكة و ضمّت إليها حقول الذّهب [3] و تواصلت العمليات و بذلك أصبحت مالي أعظم أعظم و أقوى ممالك السّودان.

ج – مملكة سنغاي:

تأسّست دولة الأسقيين سنغاي في القرن السّابع ميلادي و استمرّت بالتّوسع حتّى القرن السّادس عشر، وعُرِفَتْ هذه المملكة من خلال مراكزها الحضاريّة والإقتصاديّة والسياسيّة كمركز جني و غاو و تومبكتو، و أوّل منْ تملّك دولة سنغاي هو "زَا الأيمن" الّذي جاء من اليمن و هناك أسطورة تقول أنّ "زَا الأيمن" قتل حوتا كبيرًا كان سكّان سنغاي يعبدونه و يهابونه ومن ثمّة أصبح

[1] - إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 298.

[2] - قام فيدال وجايارد بالتنقيب في خرائب هذه العاصمة و بجمع بعض المعلومات الشفهية عنها ، شهدت عمرانا و ازدهارا كبيرا في عهد سونديانا و الملوك الذين تولو العرش من بعده، و قد تعرضت لهجوم شعب بامبرا و الفولب الذين خربوها ،أنظر: إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 299.

[3] - نعيم قداح: المرجع السابق، ص 50.

ملكا عليهم،و كان "زَا كُوسِي" أوّل ملك مسلم من أسرة "زَا" و يؤرّخ السّعدي لواحد و ثلاثين ملكا من هذه الأسرة [1].

و بعدها تأسّست أسرة "سنّي"، حَكَمَ خلالها سنّي علي الدّولة و عُرِفَ بقسوته وكراهيته للطّوارق و دخل مدينة تومبكتو و أساء إلى الفقهاء و نشر الفساد.

ثمّ خلفه ابنه "سنّي يار" على العرش سنة 1493م، وبقي سِوَى سنة واحدة، لأنّ أحد قواده العسكريين أزاحه عن الملك وهو"أسقيا"، بمعنى المغتصب لأنّه اغتصب العرش منْ أسرة سنّي علي.

وحكم ستّة وعشرين سنة، و يسمّى أبوه "بلرلوم" من قبيلة "السّلوي"[2]، وأمّه تُدْعَى كَاسَايْ، و يُعَدُّ المؤسّس الحقيقي لدولة صنغاي، كما عُرِفَ بمناقبه الحسنة [3].

ودام حكم الأسقيين أكثر من قرن، ووصلوا بالمملكة إلى درجة كبيرة من الإزدهار والتّوسّع، كما اختلفوا في تطبيق سياستهم سواء في الدّاخل كتنظيم البلاد و توسيعها أو في الخارج منْ حيث العلاقات مع الدّول الأخرى.

وأثناء حكم أسقيا محمد عمل على تقريب العلماء و منحهم الهدايا و كان يشاورهم في أموره [4].

وتمكّن من نشر بعض تعاليم الدّين الإسلامي في المملكة كإرغام النّساء على ارتداء الحجاب، كما نال الأسقيا مَدْحًا من قِبَل المؤرّخين الذين عاصروه [5].

وتعد الفترة الّتي حكَمَ فيها صنغايُ فترة مهمّة نظرًا لإنتشار الإسلام واستقرار في السّودان الغربي.

---

[1] - السعدي: تاريخ السودان، ص ص 3-4.

[2] - نسبة إلى سلا إحدى فروع قبائل السونينكي .

[3] - محمود كعت:تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، تح:هوداس، باريس،1981، ص59.

[4] - خالد شكراوي: المرجع السابق ، ص 40- عبد القادر زبايدية ، المرجع السابق ، ص 32 .

[5] - مادهو بانيكار: المرجع السابق ، ص 135.

د- تمبوكتـــــــو:

تقع هذه المدينة بالقرب منْ نهر النّيجر[1]، ويعود بناؤها إلى القرن الثّاني عشر في المكان الّذي اِرتاده الطّوارق لوجود بئر اِتّخذوه مُنْتَجَعًا لمواشيهم، وتروي بعض الأساطير أنّ الطّوارق تركوا إمرأة لحراسة البئر تسمّى "بُوكْتُو". ومنْ هنا أتّخد اسم تومبوكتو بمعنى "بئر بوكتو"[2].

وكانت هذه المدينة محطّة للقوافل التّجاريّة القادمة من الشّمال أو من الجنوب عن طريق نهر النّيجر و مُلْتقى للتّجار للإقامة و الرّاحة نظرًا لتوفّر الآبار فأصبح المكان سُوقًا للتّبادل التّجاري بين الشمال و الجنوب، فتكاثر عدد السكّان إلى 25 ألف نسمة، و كانت تومبوكتو مقسّمة إلى أحياء وكلّ حيّ يسكنه تجّار، فكان لتجّار توات و غدامس حيّ خاصّ بهم، أمّا لغة سكّان تومبوكتو فهي لغة سنغاي بينما اللّغة العربيّة فكانت تتداول بين العرب و السّودانيين [3].

هـــ - غـــــــاوْ:

مدينة قديمة تقع على ضفّة نهر النّيجر و تقع جنوب تادْماكْتْ بتسع مراحل[4]، و لقد بلغت درجة كبيرة منَ الإزدهار و الرُقيّ حيث بلغ عدد بيوتها حوالي سبع مائة بيت حسب محمود كعت[5] وتُعَدُّ منْ أجمل مدن السّودان الغربي خاصّة قصورها و مساجدها.

و- جنـــــــي:

تقع هذه المدينة في الجنوب الغربي منْ مدينة تومبوكتو، [6] واِختلف المؤرّخون في تاريخ تأسيسها فبعضهم يقول سنة (494هـ-495هـ). ويذهب الآخرون إلى أنّ سنة (435هـ- 436هـ)، هو تاريخ تأسيس جني و حسب المصادر أنَّ المدينة كانت قائمة قبل الفترة الّتي ذكرها المؤرّخون.

---

[1] - نعيم قداح: المرجع السابق ، ص 75.

[2] - عبد القادر زبادية: المرجع السابق ، ص 100.

[3] - اسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص 324.

[4] - الإدريسي أبو عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1983 ، ص 11؛ ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص 93.

[5] - محمود كعت: المصدر السابق ، ص 146.

[6] - الهادي مبروك: المرجع السابق ، ص 45- نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 78.

2- الحياة الاقتصادية بالسّودان الغربي:

أ –التجارة:

إشتهر إقليم السودان الغربي بأنه من أكبر المناطق من الناحية التجارية، لما كانت تدره من أموال على خزينة المملكة، ولكي تسير المعاملات التجارية بطريقة سليمة طلب محمد بن عبد الكريم المغيلي من السلطان أن يضبط كل المكاييل والموازين المستعملة في الأسواق حيث قال:"يجب إصلاح المكاييل كبارها وصغارها حتى تكون كلها على نسبة واحدة ولا بد من عرض الموازين والمكاييل على التغيير في كل حين فمن ظهرت عليه الخيانة في شيء من الوزن أو الكيل عاقبوه وأخرجوه من أسواق المسلمين" [1]، وعرف إقليم السودان الغربي بالذهب الذي يبذل بالملح لندرته عندهم، وبالأسواق التي يجتمع فيها العديد من التجار من مختلف البلدان المجاورة أو البعيدة، فكانت هذه البلاد مطمع كل طامع بسبب كثرة الذهب فقال القشتالي:"أرض كرم الله تربتها وأبان فضلها بما اختّصها به من معادن الذهب الذي به قوام العالم..." [2]، فأقبل عليها التجار بقوافل محملة بسلع رخيصة الثمن ويأخذون الذهب والعاج [3].

ب- أسواق السّودان الغربي:

جعل معدن الذّهب بلاد السّودان الغربي مشتهرة فإرتبطت بها معظم العواصم الإسلاميّة في تجارتها و من بينها (فاس، مراكش، القاهرة، ورجلان، القيروان، تلمسان) واتّصلت بها بطرق تجاريّة قديمة وأغلب هذه الطّرق يتّجه صوب السّودان الغربي وبعضها يتّجه صوب السّودان الأوسط المعروف ببورنوكانم، وكانت قوافل العواصم المذكورة تجول أسواق السّودان الغربي

[1] - المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص188.

[2] - عبد العزيز القشتالي: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الشؤون والأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية، الرباط، دت، ص117.

[3] - ناعمي مصطفى، الصحراء من خلال تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية منشورات عكاظ، الرباط، 1988م، ص48.

المعروفة والكبيرة محمّلة بمختلف البضائع والسّلع ومقايضتها بالذّهب والرّقيق، ومن أكثر الأسواق شهرة لدى التجّار نجد:

غـــــــاو:

تعتبر هذه المدينة من أكبر المدن تقع على نهر ينبع من الجبال و تسمّى كذلك جوجو أو كوكو و تبعد عن تادمكت بتسع مراحل حيث تقع في جنوبها و لها موقع هام [1].

جعل كلّ ممالك السّودان الغربي يخضعون لملكها، و يذكر اليعقوبي أنّ مملكة كوكو كانت منْ أعظم ممالك السّودان وأجلّها قدرًا و أعظمها أمراء و كلّ الممالك تعطي لملكها الطّاعة [2]، وكانت لها عدّة طرق والطّريق الصّاعد منها شمالاً يتفرّع إلى فرعين الأيمن يتّجه نحو وارجلان والأيسر يتّجه نحو سجلماسة. أمّا الطّريق العرضي فالمتّجه منها شرقًا يصل إلى تاكدة وكانو والمتّجه غربًا يصل إلى زاغاري و منها إلى غانة و بلاد التّكرور،فكان أهل غاو يشتغلون التّجارة في كثير من الجهات الإفريقيّة و ينعمون بالثراء و يستبدلون الذّهب ببضائع وسلع مجلوبة من بلاد البربر.

واشتهرت مدينة غاو بسوقها الأسبوعي الّذي يُبَاعُ فيه العبيد بأثمان بخسة لا يتجاوز ثمن العبد الشاب ستة عشر درهمًا [3].

تـــادمكـــــــت:

كان تجّار وارجلان و القيروان يجوبون أسواق تادمكت لأنّها من أحسن الأسواق ومدينة تادمكت مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أحسن بناء من مدينة غانة، ومدينة كوكو وأنّ إسمها تادمكت يعني هيئة مكّة، [4]. بالإضافة إلى وصف البكري لها فقد حدّد المسافة بينها و بين ورجلان فقال: "فإذا أردت من تادمكت إلى القيروان فإنّك تسير في الصّحراء خمسين يومًا إلى

---

[1] - البكري : المصدر السابق ، ص 180.

[2] - اليعقوبي: البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2002 ، ص 168.

[3] - مارمول كربخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ج3، ص 304.

[4] - البكري: المصدر السابق ، ص 180.

وارجلان و هي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمّى "أغرم أن يكامن" أي حصن العهود، و يعتبر أهم طريق يربط السودان الغربي بالشمال الإفريقي[1].

[1] - جودت عبد الكريم: المرجع السابق ، ص 182.

الفصل الأول

التعريف بحياة عبد الكريم المغيلي

أولا: نسبه وتاريخ مولده

ثانيا: نشأته وتعلمه

ثالثا: شيوخه وتلاميذه:

1. أهم شيوخه

2. أهم تلامذته

رابعا: مكانته العلمية بين معاصريه

خامسا: عصره السياسي الثقافي:

1 . السياسي

2- الثقافي

سادسا: وفاته

سابعا: مؤلفاته

أولا: نسب المغيلي و تاريخ مولدهِ:

هو محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي [122] بن عُمر بن مخلوف بن علي بن الحسين بن يحي بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبد القوي بن العبّاس بن عطية بن مناد بن السّري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الكامل بن الحسن المثنّى [123] بن فاطمة بنت الرّسول صلّى الله عليه و سلّم [124].

وُلِد بمغيلة[125]، الّتي لُقّب نسبه لها ويختلف المؤرّخون حول تاريخ ولادته، وحسب الشّجرة الجامعة لكبرى أنساب سكّان توات، فإنّه وُلِدّ عام (790هـ/1388م) [126]، لكنّ هذا التّاريخ بعيد عن الصحة، لأنّ الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي قاتل اليهود في المرّة الثّانية عام (902هـ/1496م) إذًا عُمْرُهُ قد تجاوز المائة سنة، الأرجح أنّ تاريخ مولده كان سنة (820هـ/1417م).

ورغم أنّ المصادر اِختلفت حول تاريخ ولادته فإنها تتّفق إجمالاً على أنّ وفاته كانت سنة (909 هـ/1503م) [127].

---

[122] - أبو العباس أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج – طبع على هامش الديباج لابن فرحون، مصر 1351هـ ، ص 330 – التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة منْ ليس في الديباج، تع: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت 2002م، ص 435 – ابن مريم، المصدر السابق ص 253- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي بيروت، 349 هـ ، 274 – لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2004-2005م، ص 155؛ مبحوث بودواية: "دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الإسلامية بالسودان العربي(ق 15-16م)، مجلة الواحات، ع1 غرداية، ديسمبر 2006، ص 1 – 2 – بكري البكري: تمنطيط رمز تاريخ و عنوان حضارة، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، أفريل 1993، ص 69 – عبد القادر زبادية الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية، جنوب الصحراء، دراسات و نصوص المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 153-154 – محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1968، ص 7-22 – أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة – المكتبة العتيقة، تونس 1985، ص 170-173.

[123] - الحسن المثنى: الحسن بن علي سبط (الرسول صلى الله عليه و سلم) أبو محمد التقي النقي توفي عام 49 هـ – 669م – أحمد اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي – دار صادر، بيروت، د ت، ج2، ص 225.

[124] - مبروك مقدم: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي و أثره الإصلاحي بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرن (8هـ، 9هـ ، 10هـ /15م، 16م، 17م)، ص 47.

[125] - مغيلة: تقع بالقرب من تلمسان و بها قبيلة بربرية، كما توجد مغيلة بفاس – أبو عبيد البكري، كتاب المسالك و الممالك، تح: أدريان فان ليوفن و أندري خير، الدار العربية للكتاب و بيت الحكمة قرطاس – تونس، ج2، 1992م، ص 756.

[126] - هذه الشجرة موجودة بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي بكوسام بتوات – أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 34.

[127] - أحمد بن يحيى الونشريسي: كتاب الوفيات، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات،تح: محمد حجي، مطبوعات دار الغرب، الرباط 1976، ص 241.

ولا تذكر المصادر الّتي تعرّضت لترجمته أيّ حديث عن أسرته، فهي لا تشير إطلاقًا إلى إسم والدته أو أيّة أخبار عن والده، و لا تتطرّق بتاتًا لذكر إخوانه أو أخواته [128].

غير أبنائه اشتهر منهم: عبد الجبّار الّذي قُتِلَ بتوات، [129] وعَلِي الّذي وُلِدَ و توفي بأولاد سعيد[130]. وإبنه عبد الله الّذي يُكَنَّى به المغيلي، وهو ابنه الأكبر الّذي يُرْجَعُ إليه كلّ أبناء المغيلي بتوات [131].

وأبناء المغيلي كلّهم وُلِدُوا بأولاد سعيد، هذه المنطقة الّتي شهدت وفاة زوجة المغيلي زينب بنت عبد الرّحمن الثعالبي و هي والدتهم جميعًا، و خلال رحلته إلى السّودان الغربي تزوّج المغيلي من إمرأة بكانو [132]، و خلّف ثلاثة أولاد و هم: أحمد و عيسى و السيّد الأبيض، [133] ولا يزال الغموض يحيط بنسب أسرته إذْ لا يَرِدُ لها ذكر في كلّ المصادر الّتي ترجمت له.

ثانيا: نشأتـــــــه:

---

[128] - أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 1، جامعة وهران – الجزائر حوالي 2003م، ص35.

[129] - أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ص 577.

[130] - أولاد سعيد: إحدى مقاطعات تيكورارين، و هم بطن من بني هلال و كانوا يرأسون أولاد سعيد و منهم أولاد عيسى – أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 35.

[131] -طالع مدخل هذه الدراسة.

[132] - عبد القادر زبادية: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي جهوده و شهرته خارج الجزائر، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، ص 83.

[133] - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص34.

نشأ محمّد بن عبد الكريم المغيلي بين أحضان عائلته المشهورة بالعلم و التّقوى والتّصوّف ولا تذكر المصادر الكثير عن أسرته سوى أنّها اِشتهرت بالعلم و لا اِسم والديه و لا إخوته [134].

بدأ دراسته بتلمسان [135] ،بحفظ القرآن على يد الشيخ محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي المعروف بالجلاّب وأخذ عنه كتب مذهب الإمام مالك، ثمّ اِتّصل بعبد الرحمن الثعالبي[136] (871هـ/1476م). و أخذ عنه تفسير القرآن الكريم و القراءات [137] ،و لقّنه قواعد الطريقة القادرية. ثمّ رحل إلى بجاية، [138] و أخذ عن شيوخها علم التّفسير و الحديث ثمّ رجع إلى تلمسان و اِستمرّ في طلب العلم، و بعد ذلك سافر إلى توات عام (870 هـ – 1465م)، [139]فأخذ بها عن الشّيخ يحي بن يدير علم الفقه [140].

---

134 - أحمد الحمدي: المرجع السابق ، ص 34.

135 - تلمسان قاعدة المغرب الأوسط و معظم أقاليمها الجنوبية جافة قاحلة، لكن سهولها منتجة جدا، نظرا لخصبها، بها قليل من المدن والقصور و لكنها زاهرة. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 10.

136 - عبد الرحمن الثعالبي: نشأ بناحية يصر و انتقل إلى بجاية و أخذ عن علمائها ثم انتقل إلى تونس و انتفع بشيوخها ثم سافر إلى مصر وأخذ عن ولي الدين العراقي و عبد الله البساطي و غيرهما ثم قصد الحجاز للحج ثم رجع إلى الجزائر و صار من كبار علمائها.

بدر الدين القراقي: توشيح الديباج و حلية الإبتهاج، تح: أحمد الشيتوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 120 – أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي بن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج2، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1970، ص 84 – أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، وفيات ، ص 149؛ التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 173-175؛ محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 264 – شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، دار المكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، ص 152 – عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 444 – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري، بيروت 1971، ص 88-89 – عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي و التصوف، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1978.

137 - الكنتي: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نبذة عن حياته ومآثره، المهرجان الثقافي الأوّل للتّعريف بتاريخ منطقة أدرار،1985، ص ص4 - 5.

138 - بجاية: أسّسها الفينيقيون و سمّوها صلدة ثمّ احتلّها الرّومان و خرّبها بعد ذلك الوندال و البربر ثمّ جدّدها النّاصر الحمّادي عام 468 هـ– 1076 و دعاها النّاصرية يحيط بها أسوار عالية متينة و دورها جميلة و بها جوامع و مدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم. الحسن الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص 50.

139 - محمود بلقاسم: التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية و حضارتها، أعمال المهرجان الأوّل للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، 1985م، ص 44.

140 - أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 756.

فأصبح المغيلي بفضل ذكائه المفرط وتوقد ذاكرته، متمكّنا من مختلف العلوم من فقه وحديث وعلم المواريث، و تبحّر في علوم اللّغة العربيّة من بيان و بديع و علم المنطق [141].

ثالثا:شيوخه وتلامذته:

1- أهمّ شيوخـــــــه:

نظرًا لكون المغيلي رحّالة كبير، فإنّه يصعب حصر عدد شيوخه و أسمائهم، وخاصّة أنّ فهرسته الّتي وضعها في هذا الشّأن تعتبر منْ مؤلّفاته المفقودة لحدّ اليوم، وكان منْ عادة العلماء في تلك الفترة تقييد أسماء شيوخهم، وأسماء العلوم الّتي أخذوها عنهم وأسماء الكتب بأسانيدها، و أشهرهم: يحي بن يدير و عبد الرحمن الثعالبي و محمد المغيلي المعروف بالجلاّب.

الشيخ يحي بن يدير بن عتيق التّدلسي التلمساني:

سميّ بتدلسي لأنّه من أهل دلس، [142] و درس بتلمسان على يد أحمد بن زاغو المغراوي سنة(843 هـ -1493م)،[143] ثمّ هاجر إلى توات لتولّي القضاء و أهمّ تلاميذه محمّد بن عبد الكريم المغيلي الّذي أخذ عنه الفقه و علْم المنطق.

---

[141] - أحمد بابا التنبكتي : المصدر نفسه، ص 576.

[142] - دلس: مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو أكثر من خمسين ميلا من شاطئ البحر المتوسّط، تحيط بها أسوار قديمة متينة و جلّ سكّانها صبّاغون و يملكون أراضي زراعيّة كثيرة. الحسن الوزّان: المصدر السابق، ج2، ص 42.

[143] - ابن زاغو أحمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني، فاضل إمام زاهد صوفي، قال عنه القلصادي "ذو سيق في الحديث و الأصول والمنطق و قدم راسخة في التّصوّف مع الذّوق السّليم و الفهم المستقيم"، توفي سنة 845هـ-1441م- ابن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات، تح: محمد حجّي مطبوعات دار المغرب للتأليف و التّرجمة و النّشر، الرّباط 1976م، ص 250 – ابن مريم: المصدر السابق، ص 41 – ابن القاضي، درّة الحجال، ج1، ص 63 – محمّد مخلوف: المصدر السّابق، ص 254.

حيث أعتبر من أحد كبار فقهاء المالكية، و عُرِفَ بعلمه وصلاحه واِستقامته، أمّا وفاته فكانت بتوات فيقول أحمد بابا التّنبكتي "توفي بتوات و وجدته بخطّ تلميذه ابن عبد الكريم المغيلي [144].

عبد الرّحمن الثعـــــالبي:

وُلِد سنة (786هـ - 1384م)، و رحل إلى بجاية سنة (802هـ - 1399م)، طالبًا للعلم و لقي الفقيه عبد الرّحمن الوغلسي [145] (786هـ -1384م). وغيره من الفقهاء [146]، ثمّ سافر إلى تونس عام (809هـ -1406م)، آخذا عن أصحاب ابن عرفة [147] (803هـ - 1400م)، و منهم أبو مهدي عيسى الغبريني [148]، ثمّ رحل إلى مصر و لقي الكثير من العلماء، وحضر بها مجلس أبو عبد الله البساطي،[149]كما تحصّل على إجازة في علم الحديث و بعد عودته من الحجّ هاجر إلى تونس أين لقي ابن مرزوق الحفيد، [150] فأخذ عنه الموطأ و أجازه في الإقراء [151]، ثمّ عاد إلى بلده أين تولّى القضاء

---

144 - التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 637.

145 - الوغليسي: عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجاني: عالم بجاية ومفتيها، توفي عام(786هـ/1384م) له مقدّمة معروفة بالوغليسيّة والعديد من الفتاوى، أخذ عنه جماعة منهم أبي الحسن علي بن عثمان وبلقاسم بن محمّد المشدالي، التنبكتي: نيل الإبتهاج، طبعة 1986،ص248.

146 - أحمد بابا، المصدر نفسه، ص 258.

147 -ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة التونسي، المحقّق القدوة النظار وُلِد عام (815هـ-1412م)، تولّى إمامة الجامع الأعظم سنة (750هـ-1349م) و كان باعًا في الأصول و الفروع و العربية و الحساب، توفي عام(803هـ-1400م)، أحمد بابا: نيل الإبتهاج، ص463.

148 - الغبريني: عيسى بن أحمد بن محمّد بن محمّد أبو مهدي قاضي الجماعة بتونس، قال عنه الثعالبي، "شيخنا أوحد زمانه علماً و دينًا، مجتهد في مذهب مالك، توفي عام (815هـ-1412م) – أحمد بابا، نيل الإبتهاج، ط 1986م، ص ص 297-298.

149 - البساطي: محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم قاضي القضاة بالدّيار المصريّة وُلِدَ عام (760هـ-1358م) وأهم تصانيفه، المغنى في الفقه – أحمد بابا، نيل الإبتهاج، ص ص 511-512.

150 - ابن مرزوق الحفيد: وُلِدَ بتلمسان و أخذ العلم عن والده و عمّه ثمّ رحل إلى تونس و فاس و دخل القاهرة و لقي عدّة أعلام أهمّهم: ابن خلدون، و كان متضلّعا في الفقه المالكي و الأصول و حافظًا للحديث و مفسّرًا و نحويًا و ناظمًا، و أهمّ تأليفه تفسير سورة الإخلاص، نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المُتّقين، أرجوزة الرّوضة في الحديث، المفاتيح المرزوقيّة في حلّ أقفال و خبابا الخزرجيّة، إسماع الصّم في إثبات الشّرف من قبل الأمّ – أبو الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978م، ص 97 – أبو العبّاس أحمد بن محمّد المقرّي، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج6، دار الفكر العربي، بيروت، 1998م، ص 347-358 – ابن

و هو كاره له فتخلّى عنه و إهتمّ بالآخرة بعد أن أهمل زخارف الدّنيا فاشتهر بزهده و تصوّفه [152]، فيقول عنه الشّيخ زروق الفاسي [153] "شيخنا الفقيه الصّالح و الّذي عليه أغلب من العلم" [154] ؛ وقال عنه أحمد بابا: "و هو مِمّنْ اِتّفق النّاس على صلاحه و إمامته..." [155].

و من أهمّ مؤلّفاته:

- في علم الفقه: روضة الأنوار و نزهة الأخيار،جامع الأمّهات في أحكام العبادات.
- في التصوّف: الأنوار المضيئة بين الشّريعة والحقيقة، الدّار الفائق في الأذكار والدّعوات، قطب العارفين.
- في التفسير: الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
- وفي الشروح: شرح على مختصر خليل بن إسحاق، شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي [156].

مريم، المصدر السابق،ص 201-214 – محمد بن علي بن محمد الشوكاني، البدر الطّالع بمحاسن منْ بعد القرن السّابع، ج2، مطبعة السّعادة، القاهرة، 1348ه/1929م، ص 119–120.

– شمس الدّين محمّد بن عبد الرّحمن السّخاوي، الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع، ج7، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 50–51 – القرافي، توشيح الدّيباج ص 171 – ابن القاضي، لقط الفرائد، ص 248 – ابن القاضي، درّة الحجال، ج2، ص 275 – مخلوف، المصدر السابق، ص 252–253 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 141–143 – عبد الحميد حاجيات:المقال السابق، ص 443.

[151] - أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، ص ص 257-259.

[152] - أحمد بابا: المصدر نفسه، ص 258.

[153] - زروق: أحمد بن أحمد بن محمّد بن عيسى البرنسي الفاسي، وُلِدَ عام (846 هـ– 1442م)، و توفي عام (899 هـ– 1493م) – ابن القاضي، لقط الفرائد، ص 274.

[154] - أحمد بابا: نيل الإبتهاج، ص 238.

[155] - المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[156]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، بيروت، ط2، 1980، ص ص90-91.

توفيّ الشّيخ عبد الرّحمن الثعالبي سنة (875 هـ - 1470م)، تاركا العديد من التّلاميذ، وأشهرهم: الشيّخ السّنوسي [157] (ت 895 هـ - 1490م)، محمد بن عبد الكريم المغيلي، محمّد بن محمّد بن مرزوق الكفيف [158].

الشيخ محمّد أحمد بن عيسى المغيلي (الجلاّب التّلمساني):

هو عالم و فقيه على مذهب الإمام مالك بن أنس، أخذ عنه أهم علماء و فقهاء تلمسان ومنهم: محمّد بن عبد الكريم المغيلي وأحمد الونشريسي [159] (ت 914 هـ - 1508م)، والإمام السّنوسي الذي أخد عنه علم الحديث والفقه والعقيدة.

وقال عنه الونشريسي:" الشّيخ الصّالح شيخنا المحصّل الحافظ أبو عبد الله" [160]، كما عُرِفَ بصلاحِهِ وتقواه، و يقول السّنوسي بأنّه كان حافظًا لمسائل الفقه، ووصفه المازوني [161] فقال: "صاحبنا الفقيه" [162].

---

[157] - السّنوسي: وُلد و نشأ بتلمسان و برع في المعقول و المنقول و اختصّ في علم العقائد و التّوحيد و له الكثير من التّأليف: عقيدة التوحيد الكبرى، شرح صحيح البخاري، مختصر في القراءات السّبع، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة النّاشر مَنْ كانَ بالمغرب منْ مشايخ القرن العاشر، تح: محمّد حجّي: الرّباط 1977، ص 121، أحمد بابا، نيل الإبتهاج، (مصر 1351هـ)، ص 325-329 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 266 – عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 445- جمال الدّين بوكلي حسن، الإمام ابن يوسف السّنوسي وعلم التّوحيد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 55.

[158] - ابن مرزوق الكفيف: محمّد بن محمّد بن أحمد الخطيب وُلِدَ سنة (824 هـ-1421م) و توفيّ سنة (901هـ-1495م) – أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص 154.

[159] - الونشريسي: أخذ العلم عن علماء تلمسان، ثمّ غادرها سنة (878 هـ /1474م) و إستقرّ بفاس و درّس بها حتّى وفاته وأشهر تآليفه: المعيار المغرب و الجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقيّة و الأندلس و المغرب – ابن القاضي، جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطّباعة و الوراقة، الرّباط، 1973م، ص 156 – القرافي، توشيح الدّيباج، ص 65 - الشفشاوي، دوحة النّاشر، ص 47 – ابن القاضي، درّة الحجال، ص 91 – التّنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة منْ ليس في الدّيباج، ضبط و تعليق، أبو يحي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت 2002م، ص 73 – التنبكتي، نيل الإبتهاج، (طُبع على هامش الدّيباج لإبن فرحون)، ص 87 – ابن مريم، المصدر السّابق، ص 53 – أحمد المنجور، فهرست أحمد المنجور، تح: محمّد حجّي، دار المغرب للتأليف و التّرجمة و النّشر، الرّباط، 1976م، ص 50 – محمّد مخلوف، المصدر السّابق، ص 274 – محمّد بوشقيف، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة السانية، وهران، 2003-2004، ص 181-182.

[160] - أحمد الونشريسي: وفيات الونشريسي، ص 149.

[161] - المازوني، يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى، قاضي مازونة، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد و قاسم العقباني و ابن زاغو و بن العبّاس، توفي سنة (883 هـ /1434م) – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 637.

وتوفي الجلاّب سنة (875 هـ - 1470م) و من مخلفاته فتاوى في المعيار والمازونيّة.

2- أهمّ تلاميـــــــذه:

كان الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي كثير التّرحال و الأسفار، و من خلال هذه الرّحلات يدرّس و يفتي في أمور الدّين و يعلّم و ينشر أفكاره في أي إقليم حلّ به، فكانت له حلقات علميّة كثيرة بمساجد توات والسّودان الغربي، فكثر عدد تلاميذه ومنهم محمّد عبد الجبّار الفجيجي، الذي درس على يد والده عبد الجبّار [163]، لم تعرف سنة مولده لأنّها أهملت من قبل مترجميه، و غيره من علماء المنطقة، و رحل إلى تلمسان لطلب العلم فأخذ بها عن ابن مرزوق الكفيف ثمّ إلى فاس، [164] فالتقى بمحمد بن عبد الكريم المغيلي، و لازمه كلّ هذه الفترة، ثمّ رجع محمّد الفجيجي إلى فجيج، و أصبح مدرّسًـــا لمختلف العلـــوم الشرعيّـــة كعلـــم الحديـــث، و توفيّ سنة (956هـ 1549م) [165]، بعد أن نبغ في الكثير من العلوم و منها: علم الحديث، الشّعر، خاصّة قصائده في مدح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، [166] التصوّف، الفقه، العقيدة، المنطق، و من أهم أعماله هي بناؤه بيتًا للفقراء و للمتصوّفين و الإنفاق عليهم.

الشيخ محمّد بن أحمد بن أبي محمّد التّاذختي:

---

[162] - التنبكتي: المصدر نفسه، ص 1.

[163] - عبد الجبّار: ابن أحمد البرزوزي الفجيجي أحد العلماء المشاركين في علوم القرآن و الحديث، أسّس زاوية عُرفت بإسمه، بها مكتبة غنيّة بالكتب في مختلف العلوم و ولّى القضاء بفجيج، و أشهر مؤلّفاته: تفسير القرآن، و كانت وفاته سنة (920 هـ- 1514م) – محمّد حجّي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السّعديين، الرّباط، ط 1978م.

[164] - فاس: تمتدّ من نهر أمّ الرّبيع غربًا إلى نهر ملوية شرقًا، و إختلف المؤرّخون حول مؤسّسها غير أنّ المعروف أنّ إدريس الثاني هو من أسّس فاس عام (192 هـ -808م). الحسن الوزّان، المصدر السّابق، ج1، ص 193.

[165] - ابن مريم: المصدر السابق، ص 288.

[166] - المصدر نفسه، ص 287.

لقد كان كثير التّرحال من أجل العلم، فدرس في بداية طلبه للعلم على يد أحمد بن عمر[167] وعلى خاله الفقيه علي، ثمّ رحل إلى تكدة، [168] أين التقي الإمام المغيلي فحضر دروسه وأخذ عنه الكثير من العلوم من الفقه و المنطق و العقيدة و الحديث [169].

ثمّ سافر إلى المشرق للحجّ و أخذ علم الحديث رفقة الفقيه محمود [170]، حتّى صار من المحدّثين وبعد أخذه العلم عن كثير من العلماء بالمشرق [171]، رجع و اِستقرّ بكشنة ببلاد السّودان الغربي وتولّى القضاء بها، و وصفه أحمد بابا بالفهم و الإدراك فقال: "شيخنا فقيهًا عالمًا علاّمة محقّقًا فهّامة محدثًا متفنّنًا رحّالة شهيرًا محصلاً نافذًا جيّد الخطّ والفهم، حسن الإدراك كثير النّزاع"[172].وتوفيّ محمّد بن أحمد التّاذختي سنة (936 هـ – 1529م).

عمر بن أحمد البكاي [173] بن محمّد الكنتي بن علي:

وُلِد حوالي سنة (865 هـ –1460م)، و اِرتحل من أجل العلم إلى بلاد المغرب، ثمّ إلى مصر بعد أن درس على يد والده، كما أدّى فريضة الحجّ.

ثمّ سافر إلى التكرور والتقى بمحمّد بن عبد الكريم المغيلي، ولازمه لنشر الإسلام والإصلاح، ثمّ عادَا معًا إلى المشرق و أدّيا فريضة الحجّ إلاّ أنّهم اِلتقوا بالسيوطي [174]،

---

[167] - أحمد بن عمر، أحمد بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي التّكروري التنبكتي كان محافظًا على السّنة و مُحِبًا للنّبي صلى الله عليه و سلّم و كان يعتني بالعم و حافظًا له و أخذه عن جدّه لأمّه، بينما النّحو فأخذه عن خاله الفقيه المختار و لقي السيّوطي أثناء اِتكاله للمشرق و حجّ عام (890 هـ -1485م)- أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، (مصر، 1351هـ)، ص ص 137-138.

[168] - تكدة: بلدة ببملكة أهير شمال أكذر – أحمد بلو، إنفاق الميسور، ص 74.

[169] - أحمد بلو: المصدر نفسه، ص 74.

[170] - الفقيه محمود: هو محمود بن عمر بن محمّد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصّنهاجي، قاضي تنبكتو، تولى القضاء سنة (904هـ/1498م)، و كانت سنة ولادته عام (868 هـ /1463م) و توفي سنة (955 هـ /1548م) – التّنبكتي، نبل الإبتهاج ، ص ص 607–608.

[171] - أحمد بلو: المصدر السابق، ص 75.

[172] - أحمد بابا: المصدر السابق، ص 587.

[173] -أحمد البكاي: جدّ قبيلة كنتة و هو ابن محمد الكنتي بن علي (ت 910 هـ – 1504م)- بول مارتي، كنتة الشرقيون، تر: محمد محمود، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ت، ص – ص 23-24.

عند مرورهم بمصر ثمّ عادَا إلى توات و أخذ عن الإمام المغيلي الكثير من العلوم وأهمها: علم الحديث و الفقه و المنطق والفرائض واللغة العربيّة، وعُرِفَ الشيخ بتأثُّره الكبير بشخصيّة الإمام المغيلي حتّى أنّه ترأّس الطّريقة القادريّة، [175] في بلاد التكرور بعد وفاة المغيلي و عمل على نشر أفكار المغيلي من أجل الإصلاح و تثبيت الشريعة الإسلاميّة [176].

العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي:

من أهل أكذز [177]، و تتلمذ في بداية تعلّمه بمسجد الكرامة على يد الإمام المغيلي و أخذ عنه الكثير من العلوم خاصّة علم المنطق و اللّغة العربيّة و علم التّوحيد و مختلف العلوم الشّرعيّة. و أخذ كذلك عن جلال الدّين السيّوطي ببلاد التّكرور.

و حدثت له منازعات مع الحافظ مخلوف البلبالي، [178] و له تعاليق حول بعض مسائل خليل [179] في الفقه. و وضع أجوبة عن أسئلة الأمير أسكيا الحاج محمّد، كما تأثّر

---

[174] - السيوطي: جلال الدّين وُلِدَ بمصر عام (845 هـ -1441م)، طلب العلم بالحجاز و غيرها من المدن، مكث مدّة بكشنة وأكدز وكلو ثمّ رجع إلى مصر و درّس بها حتّى سنة وفاته (911 هـ -1505م) و له العديد من المؤلفات منها: الإتقان في علوم القرآن، تكملة تفسير القرآن لجلال الدّين المحلّي، طبقات الحفّاظ، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، تاريخ الخلفاء، لبّ اللباب في تحرير الأنساب.

- السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، تح: جاد المولى بك و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، ج2، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط 1987من ص – ص 640 -646- السّيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، ج1، دار التراث، بيروت 1978 – الشيخاوي : ضوء اللاّمع، ج4، ص 65 – محمد بن احمد الحنفي بن إيّاس: بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، ج4، تح: محمد مصطفى: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983، ص 83 – ابن القاضي: لقط الفرائد، ص 279 – الشوكاني: البدر الطّالع، ج1، ص 328 – عبد الحي بن أحمد بن محمّد الحنبلي: شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، ج8، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص 51 – إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص 534.

[175] - القادرية: نسبة لعبد القادر الجيلاني من كبار الزّهاد، وُلِدَ بجيلان عام (471 هـ -1078م)، انتقل إلى بغداد و تصدّر للإفتاء بها، تُوفي عام (561 هـ- 1166م)، و من أشهر كتبه: الغنية لطالب الحق – خير الدّين الزّركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج4، ط8، 1989م، ص 47.

[176]- بول مارتي: كنتة الشرقيون، ص – ص 32-33.

[177] - أكذز: قرية من بلاد السّودان الغربي عمرها صنهاجة، دُورُها متقنة البناء على نمط دور بلاد البربر، و في جنوب أكذز يُقبلُ النّاس على تربيّة الماعز و البقر – الحسن الوزّان: المصدر السابق، ج2، ص – ص 171-172.

[178] - مخلوف البلبالي بن علي بن صالح الحافظ : اشتغل بالعلم و أخذ عن ابن غازي ثمّ دخل بلاد السّودان الغربي و درس بها و رجع إلى مراكش و توفيّ بها سنة (840 هـ -1426م) – أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج ، ط 1986م، ص 608.

بالإمام المغيلي، وكان ملازمًا له ببلاد السّودان الغربي، و قال عنه أحمد بابا: "فقيه نبيه ذكي الفهم حادّ الذّهن و قاد الخاطر، مشتغل بالعلم، في لسانه الحدّة" [180].

إبراهيم بن عبد الجبّار الفجيجي:

لا يُعْرَفُ تاريخ ولادته إلاّ أنّه أخذ العلم في البداية على أبيه عبد الجبّار، ثمّ توجّه إلى مدينة فاس أين أخذ عن ابن غازي [181]، ثمّ سافر إلى تلمسان و درس على يد السّنوسي.

ثمّ رحل إلى المشرق للحجّ و أخذ عن العالم جلال الدّين السّيوطي، و بعد عودته اشتغل بالقضاء و التّدريس و أمام تدهور الأوضاع بفجيج و قتل بعض العلماء هاجر إبراهيم بن عبد الجبّار إلى السّودان الغربي و في طريقه مرّ بتوات فصادف وجوده ثورة المغيلي على اليهود فسانده [182] وهجا بقصيدته كلّ من عارض المغيلي ، خاصّة عبد الله العصنوني وأخذ عن المغيلي الكثير من العلوم أهمّها: الحديث والعقيدة والمنطق وسافر معهُ إلى بلاد

---

[179] - خليل: هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب حامل لواء مذهب مالك في زمانه بمصر. ألّف شرح ابن الحاجب شرحًا حسنًا و مختصرًا في المذهب، توفي عام (776 هـ -1374م) – أحمد بابا: المصدر نفسه، ص – ص 168-172.

[180] - في إنفاق الميسور لمحمد بلو: "في لساه ذرابة"، ص 65.

[181] - ابن غازي: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن عازي العثماني المكناسي، شيخ الجماعة بها و خاتمة علماء المغرب، أنفق عمره في طلب العلم، ألّف في القراءات و الحديث و الفقه والعربية و الفرائض و الحساب والعروض و تخرّج على يديه عامّة طلبة فاس وغيرها وُلِدَ بمكناس الزّيتون عام (841 هـ -1437م) وتوفيّ بفاس سنة (919هـ -1513م)- أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، ط1، طرابلس 1986، ص – ص 581-583م.

[182] - عبد الله العصنوني: بن أبي بكر مارَس التّدريس و الإفتاء و القضاء بتوات لعدّة سنوات، و هو خصم المغيلي في نازلة يهود توات وتوفي عام (927 هـ -1521م) – محمّد حجّي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السّعدين، ص 631.

السّودان الغربي واستقرّ بمملكة برنو أين أرشد عدّة أقوام للإسلام إلى أن توفيّ وكان ذلك سنة(954هـ - 1574م) [183].

رابعا: مكانته العلميّة بين معاصريه:

كانت للإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي مكانة كبيرة بين معاصريه بفضل القضايا الّتي أثارها في توات، و هي قضية اليهود المتمرّدين على الأحكام الشرعيّة و إلحاق الأذى بالمسلمين و التّحكّم في النشاط التّجاري بهذه المنطقة، فقرّر المغيلي أنْ يُوقفهم عند حدّهم و أن يلزمهم حدود أهل الذّمة في دار الإسلام، و ذلك بهدم كنائسهم مستشيرًا في ذلك علماء عصره من المغرب الإسلامي فساندوه في قضيته بِاعتبارها أمر بالمعروف و نهي عن المنكر [184].

وهُناك قضيّة أخرى ذاع صيتها بين معاصريه، و تتمثّل في المناظرة الّتي جرت بينه و بين العالم "جلال الدّين السّيوطي"، الّذي رفض علم المنطق و اِعتبره علما للكفّار، و لا يجوز الإعتماد عليه في أمور الشّريعة الإسلاميّة أو التفكير في خلق الله، فوقع بينهم سجال شعري [185].

خامسا: عصـــــــــره السياسي والثقافي:

1 – السياســـــي:

---

[183] - محمد حجّي: المرجع نفسه، ص – ص 512-513.

[184] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 42-44 – عبد القادر زبايدية، التلمساني، محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره و أعماله في الجنوب الجزائري و بلاد السّودان، مجلّة الأصالة، ع26، 1975، ص 210-211.

[185] - للمزيد انظر: للفصل الأوّل من هذه الدّراسة.

عاش الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في أواخر حكم بني زيان، وكانت الأوضاع السيّاسية جدّ مزرية، فاعتبرت تلمسان ساحة للغزاة، وهدفًا للطامعين حول الملك والسّلطة، فتكاثرت حولها الغارات والهجومات، وأصبح تاريخها المجيد يعرف الانحطاط والتهلهل وعاش أهلها القلق والفزع وعرفت تكالب الحكّام على اِمتلاكها فأصبح الاستقرار، والأمن حلم سكّان تلمسان، وعمّتْ الانتفاضات والتّمرد و عدم الطّاعة [186].

فبعد سقوط الدّولة الموحديّة الّتي تأسّست على يد المهدي بن تومرت[187]، و عُرِفَتْ كذلك بالدّولة المؤمنيّة نسبة إلى عبد المؤمن بن علي[188]، بسبب ثورة بني غانية [189]، واضطربات الأندلس و موقعة العقاب سنة (609 هـ/1212م)، [190] ظهرت بوادر الإنفصال في أقاليم الدّولة فتأسّست دويلات جديـــدة بالمغـــرب الإسلامي، وهي دولة بني حفص بإفريقية سنة (625هـ-634هـ/1227م-1236م)[191]، ودولة بني مرين

---

[186] - جمال الدّين بوقلي حسن: المرجع السابق، ص 13.

[187] - ولد سنة (485 هـ /4092م)، ارتحل إلى طلب العلم بالمشرق ثمّ عاد إلى المغرب و بويع سنة(515 هـ -1121م)، توفي سنة 524 هـ /1130م – أبو بكر علي الصنهاجي، البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1975، ص 33 – لسان الدّين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام، تح: أحمد مختار العبادي، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، ص 266؛ Rachid BOUROUIBA – Ibn Tumart, Sned Alger, 1982, p.9.

[188] - عبد المؤمن بن علي: أصله من تاجرا قرب هنين، حكم من (524هـ -558هـ) (1130-1163م)- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصريّة، بيروت 2006، ص 148 – أبو عبد الله الزّركشي: تاريخ الدولتين، الموحديّة و الحفصيّة، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس 1966، ص 13.

[189] - بنو غانية: من بقايا المرابطين: قدموا من الجزائر الشرقية (البليار)، و استولوا على عدّة أقاليم بالمغرب و أحدثوا خللاً كبيرًا للدّولة الموحديّة، المراكشي، المصدر نفسه، ص 195-198 – عبد الرّحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 395 – عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلاميّة في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1969، ص 270-282.

[190] - ابن خلدون، العبر، ج6، ص 582؛ Jean BORIGNON, (et autres), histoire du Maroc, librairie Nationale, Casablanca, 1967, p.147.

[191] - نسبة إلى الشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي: أعلنوا انفصالهم بالمغرب الأدنى و عاصمته تونس، و تلقبوا بالموحدين – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 577 – محمد بن أبي القاسم الرّعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، ط3، دار المسيرة، بيروت 1993، ص 153-200.

بالمغرب الأقصى سنة (668هـ/1269م) [192]. وبينهما دولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط سنة(633هـ/1235م) وتمكّن بنو نصر من إستخلاص الحكم لأنفسهم في الجزء الجنوبي بالأندلس [193].

ولقد إتّخذ بنو عبد الواد تلمسان عاصمة لهم و مقرًّا للزّيانيين، وكان حكّام كلّ عاصمة يستهدفون ضمّ العواصم الأخرى تحت لواء حكمهم فكلّ طرف بوسائله الخاصّة وبسياسة تجعل ولاء الغير له حقّا مشروعًا [194].

فذاق سكّان تلمسان ألوانًا من المحن و الآلام، فوجدوا أنفسهم منذ أن أوشك الموحّدون على السّقوط "بين نارين" [195]، الغارات الحفصيّة تأتيهم من الشّرق و الضّربات المرينيّة الّتي كانت تباغتهم غربًا.

ويعود تأسيس الدّولة الحفصيّة إلى أبي حفص عمر بن الهنتاتي [196]، ولقد اعتزّ به المهدي بن تومرت كثيرًا في نشر دعوته إلاّ أنّه إختار عبد المؤمن بن علي لرئاسة الدّولة الموحّديّة و كان أبو حفص قائمًا بإفريقيّة تابعًا لهذه الدّعوة و ما إن أخذ الموحّدون في السّقوط حتّى

---

[192] - بنو مرين فرع من فروع زناتة: أسقطوا مراكش عاصمة الموحدين و أسّسوا دولتهم على أنقاضهم، انظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 342-345؛ Attalah Dhina, les états de l'Occident Musulman, Enal, O.P.U, Alger 1984, p.37, Brignon op.cit, p 141.

[193] - بنو نصر أو بنو الأحمر نسبة إلى الشّيخ يوسف بن نصر حكموا الأندلس حتّى سقوط غرناطة 897هـ/1492م – انظر: لسان الدّين بن الخطيب: تاريخ إسبانيا الإسلاميّة أو كتاب أعمال الأعلام، تح: ليفي بروفسال مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة 2006، ص 292 – ابن خلدون: العبر، ج4، ص 366 – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر 1901، ص 348.

[194] - عبد الله شريط و محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، ط1، 1965م، ص 89 – مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1976، ص 727.

[195] - عبد الله شريط و محمّد الميلي: المرجع نفسه، ص 73.

[196] - هو ابن يحي بن محمد جدّ ملوك الحفصين أصحاب تونس، اشتهر بموالاته للإمام المهدي بن تومرت ثمّ للخليفة عبد المؤمن الكومي ولابنه من بعده، توفي سنة(571هـ/1175م)

أعلنت إفريقيّة اِستقلالها عام(627هـ/1229م) مع أبي زكريا يحي (700هـ/1300م) وكان هذا في شرق تلمسان [197].

أمّا في غربها فقد ظهرت الدّولة المرينيّة على إثر سلسلة من الغارات ضدّ الموحّدين و قامت على يد أميرهم أبي يوسف بن عبد الحق سنة(668هـ/1269م) ، فكانت دولة متمرّدة على حكم الموحّدين و معادية على كلّ من يناصرهم و على رأسهم بنو حفص، وكان بين هذا وذاك بنو عبد الواد و هم فرع من فروع الطّبقة الثّانية من زناتة [198].

وذكرت بعض المصادر أنّ القاسم بن محمّد من نسل السّليمانيين [199]، كان حاكمًا على مدينة تلمسان من قبل الأدارسة [200]، و لّما توغلّ عليه الفاطميون دخل بنو عبد الواد الّذين كانوا يسكنون الصّحراء جنوب تلمسان.

و لم تكن الدّولة الزّيانيّة دولة شرعيّة في أعين بني حفص فاِعتبروا أنفسهم ورثة الحكم الشّرعيين للدّولة الموحّديّة، و هذا ما جعل الهجومات و الغارات تتكاثر على تلمسان الزيانيّة. و كان بين المرينيين و الزّيانيين بغض ناشئ عن الجوار في الدّولة ثمّ في الملك و عن

---

[197] - جمال الدّين بوقلي حسن: المرجع السّابق، ص 15.

[198] - زناتة من قبائل البتر البربرية و يرجع أصلها إلى شانا أو جانا بن يحيى بن صولات بن ورمال بن ضري بن زحيك بن مادغيس بن بر، و كانوا عدّة فروع إضافة إلى بني عبد الواد منهم: بنو مرين – مغراوة – توجين – مليكش – بنو يفرن، ابن حزم الأندلس، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار المعارف، مصر 1962، ص 495 – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 4- 12 – ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص 106.- محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص 15-21.

[199] - السليمانيون: من بني سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب إخوة الأدارسة، تملكوا المغرب الأوسط خلال ق 3هـ/9م وتوزّعوا على إمارات تلمسان – أرشكول، تاهرت، تنس، ابن حزم، المصدر السّابق، ص 48 – ابن خلدون: العبر، ج4، ص 39 – التّنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 65-68 – أبو عبد الله البكري: المصدر السابق، ص 77 - محمد علي الدّين الحسني النّجفي، كتاب بحر الأنساب المسمّى المشجر الكشّاف لأصول السّادة و الأشراف، مصر (د.ت)، ص 25.

[200] - الأدارسة: نسبة إلى إدريس بن عب الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه، الّذي فرّ من المشرق و قدم بلاد المغرب الأقصى و أسّس دولته و فتح تلمسان سنة(173هـ/790م) ابن خلدون: العبر، ج4، ص 23–34، التّنسي: تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدّور العقيان، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنية للكتاب: الجزائر 1984، ص 35. علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المعرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرّباط 1972م، ص 183–208 السّلاوي: المصدر السابق، ص 143–155.

المنافسة في الإستقلال بزناتة، و كان الحكّام المرينيين يقومون بشنّ هجومات على تلمسان في كلّ مرّة.

وهكذا توالت الهجومات على تلمسان سواء شرقًا أو غربًا حيث سادها التّشتّت السيّاسي وضعف سلاطينها فعمّ الإضطراب و الخوف و عدم الإطمئنان وكثرة الأخطار الخارجيّة.

وبالإضافة إلى ذلك عاش الشّيخ المغيلي في عصر انتشر فيه الخوف واللّصوصيّة وقطع الطّريق ونشأت كذلك بعض القبائل في الصّحراء و انفردت بالحكم، و لجأ بعض العصاة من القبائل إلى التعسّف و الظّلم و التّعدي على الأهل، فإنتشرت السّرقة و النّهب في الأرياف،والصّحراء وأخذت العصابات تقطع الطّريق، و تتصدّى بالعدوان على القوافل الآتيّة من بلاد السّودان أو الذّاهبة إليها. [201] و لقد فُوجِئَ عبد الباسط بن خليل باللصوص يوم حلّ بمدينة تلمسان سنة(868هـ/1463م)، وعبَّر عن تهوّر القطاع في رحلته من فاس إلى تلمسان سنة (870هـ/1465م) [202]، وكذلك بالنّسبة لأبو العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي، الّذي انتُهِبتْ دَارُهُ في الفاتح من محرّم سنة 874هـ، ففرّ إلى مدينة فاس.

فكان عصر المغيلي عصر أصيب فيه الشّعور بالإئتمان إلى أمّة واحدة، بحالة من الفتور بسبب الشّره في حبّ السيطرة الّذي تمكّن من نفوس الكثير من النّاس.

والطّامة الكبرى الّتي عاشها المغيلي في عصره و هي تجاوز اليهود الحدود الشرعيّة فاستعلوا على المسلمين و بدءوا بالتّعدي والطّغيان والتمرّد على الحكّام، و قاموا بإحداث كنائس و

[201] - بن آشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبيّة للجيش، (د.ت)، ص 12.

[202] - جمال الدّين بوقلي حسن: المرجع السابق، ص 25.

بِيَعٍ لهم[203]، كما أنّهم سيطروا على دواليب التّجارة،و قرّبهم حكّام بنو زيان ودخلوا القصور وبدءوا في تسيير الدّولة بالمكر و الحيلة و شغلوا مناصب مهمّة في الدّولة.

وهذا ما أحدث ضجّة كبيرة و قويّة و قلقًا و انشغالاً بين العلماء خاصّة الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي و الشّيخ السّنوسي و معاصريهم من الفقهاء.

وقد رأى الإمام المغيلي تأزّم الأوضاع بتلمسان، استعلاء اليهود فرحل إلى الجزائر، فنصحه شيخه عبد الرّحمن الثعالبي بالرّحيل إلى توات، و محاربة اليهود هناك ،و في هذا الصّدد يقول الإمام المغيلي[204]:

تلمسان أرض لا تليق بحالنـــــــا نسأل لطف الله في القضـــاء...

فكيف يحبّ المرء أرضًا يسوسهـــا يهود وفجّار و من ليس يرتض

و يقول الشّيخ السّنوسي عنها وهو الذي عايش هذا التدهور:

" مَا عَسَى أن يصف الواصف من شرور هذا الوقت و شرور أهله و قد أغنى فيه الخبر عن العيان، و الواجب فيه قطعًا لمن أراد النّجاة بعد تحصيله ما يلزم من العلم، أنْ يعتزل النّاس جملة و يكون جليس بيته و يبكي على نفسه و يدعو دعاء الغريق..."

أمّا الوضع العامّ بالأندلس فكانت حروب الاسترداد في هذه الفترة على أشدّها بين النّصارى ومسلمي الأندلس، فقد تمكّن الإسبان من اِحتلال سبتة[205] عام (818هـ/1415)، واِستطاع البرتغاليون عام (869هـ/1464م) الإستلاء على مناطق شمال المغرب.

---

[203] - المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص 12-14.

[204] - المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص 20.

[205] - سبتة: على ساحل البحر في برّ البربر.

بينما كان حكّام الدّويلات الإسلاميّة بالمغرب في صراع كبير منْ أجل السّلطة، فقد عرفت أسرة بنو عبد الواد تنافسًا بين أفرادها لإعتلاء العرش و هذا ما أدّى إلى ضعف وإنحطاط الدّولة و حدثت عدّة أزمات أهمّها اِنقلاب سنة (870هـ/1465م) [206].

أمّا بالنّسبة لأوضاع فاس فكانت جدّ مزريّة، فقد عمّت الاضطرابات و الفوضى في مملكة بني مرين، [207] فتأثرت توات بتلك الأحداث لأنّ رؤساء القبائل كانوا تحت وصاية بني مرين فقطعوا الضّرائب عنهم، فكان سكّان توات كلّما شعروا بضعف الدّولة قطعوا الضّرائب عنها و تولّوا أمورهم بأنفسهم في عهد محمد بن أحمد المعروف ببابا حيدة الّذي كان مشهورًا بالعلم والولاية، و له تأليف عديدة نظمًا ونثرًا [208].

2- عصره الثقافي:

أ- المؤسسات التعليمية:

- **المساجد :**

---

[206] - راح ضحية هذا الانقلاب الوزير عبد الله النّجار – محمود بوعيّاد، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع، ص 130.

[207] - قام عامّة الناس على السّلطان أبي محمّد عبد الحق بن أبي سعيد و قتلوه، و بُويعَ مزوار الشرفاء محمد بن علي بن عُمْران الجوطي عام (869هـ/1464م) و بذلك انقرضت الدّولة المرينية – أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص 148.

[208] - بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 13.

ميز الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان الدور الذي قامت به المساجد في ترسيخ العقيدة الإسلامية إضافة إلى دورها التعليمي ، حيث لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل كانت عبارة عن مؤسسات تعليمية تدرّس بها أصناف العلوم خاصة الدّينية [209].

وكانت المساجد منتشرة بالمغرب الأوسط ، وعنيت بتحفيظ القرآن والحديث ، وتدريس النحو والفقه واللغة والأدب ، أما المساجد الجامعة فكانت شبيهة بالمعاهد العليا ، وكانت تلقّن العلوم الدينية من الفقه وعلوم القرآن والحديث والعلوم اللسانية ، واشتهرت بتلمسان المساجد التالية :

مسجد أغادير :

أسس هذا المسجد حوالي سنة(174هـ/790م) من طرف الأدارسة بعد دخولهم تلمسان [210]، وكتب على حجر تأسيسه :"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[211]، وحظي هذا المسجد بعناية يغمراسن بن زيان الذي قام ببناء مئذنته [212] .

المسجد الأعظم بتاجرارت :

---

[209] - عبد الحي الفاسي: التراتيب الادارية أو كتاب نظام الحكومة النبوية، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ت)، ص217

[210] - أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، دار النصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973 ، ص40 .

[211] - لخضر عبدلي: المرجع السابق ، ص 90 .

[212] - التنسي: تاريخ بني زيان ، ص 125 صالح بن قربة ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986 ، ص 85

بناه المرابطون عند تأسيس مدينة تاجرارت سنة(473هـ/1080م)، وقام الأمير علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة (530هـ/ 1135م) بترميمه وتزيينه [213].

وفي عهد بني زيان قام يغمراسن بإضافة المئذنة والجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن [214]، كما قام خلفاؤه بتزويده بخزائن للكتب ، فصار هذا الجامع يضاهي الجامعات الكبرى بفاس وتونس، [215] وكان له دور ثقافي كبير، وأصبح معدا للتدريس منذ أن استقدم يغمراسن اليه الشيخ الفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680 هـ/1280م) لعقد مجالسه العلمية به [216] ، وكان يغمراسن يحضر هذه المجالس رفقة الفقهاء [217].

مسجد أبي الحسن :

يقع هذا المسجد قرب الجامع الأعظم ،وقد أسسه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة (696هـ/1296م) [218]، وأخذ اسم أحد الأعلام في الفقه وهو الشيخ أبو الحسن التنسي (ت 706هـ/1306م) ،الذي كان يلقي به دروسه .

---

[213] - RACHID BOUROUIBA L'ART Religious Musulman EN ALGéRIE ,SNED ,ALGER ,1973 p.71 72- ؛ رشيد بورويبة، "جولة عبر مساجد تلمسان "، مجلة الأصالة ، ع 26 ، 1975 ، ص 172 - الطمار ، المرجع السابق ، ص 44- 45 . Georges marcais Tlemcen ,op .cit ,p .19/20

[214] - التنسي: تاريخ بني زيان ، ص 125

[215] - محمد خرماش: " نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث "مجلة الحضارة الإسلامية ، ع 1 ، 1993 ، ص 119 - احسان حقي ، تونس العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، (د،ت)، ص 208 .

[216] - لخضر عبدلي: المرجع السابق ، ص 90 .

[217] - التنسي: تاريخ بني زيان ، ص 126 .

[218] - رشيد بورويبة: الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينين ، ضمن كتاب : الجزائر في التاريخ ، ج 3 ، المرجع السابق ، ص 496 _43,44. GEORGES Marçais , TLEMCEN ,OP .CIT ,P

مسجد أولاد الإمام:

أنشاه السلطان أبو حمو موسى الأول حوالي سنة(710 هـ/1310م)،ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها لإبني الإمام أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى الذين وفدا عليه من برشك [219] فأكرمهما .

مسجد إبراهيم المصمودي :

أسسه أبو حمو موسى الثاني إلى جانب قبة ومدرسة وزاوية ، وكانت هذه المجموعة المعمارية تحمل اسم المدرسة اليعقوبية ،وقد اندثرت معالم الزاوية والمدرسة وبقي المسجد [220]، وأخذ إسم الشيخ إبراهيم المصمودي (ت 804هـ/1400م) [221] .

مسجد أبي مدين بالعباد [222]:

أسسه السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق سنة (739هـ/1339م) بقرية العباد ،وأخذ اسم القطب أبي مدين شعيب الاشبيلي (ت594هـ/1197م) [223]، وتميز هذا المسجد بدقة زخارفه ، وهو من محاسن الفن المغربي الأندلسي [224].

---

219 - برشك : مدينة قديمة على الساحل الغربي للمغرب الأوسط بين شرشال وتنس كان سكانها يشتغلون بالحياكة وكانت خارجة عن سلطة بني زيان االإدريسي ، المصدر السابق ، ص 158- الوزان ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 32

220 - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى ، المرجع السابق ، ص 181 - 182 - لخضر عبدلي، المرجع السابق ، ص 119.

221 - هو ابراهيم بن موسى المصمودي ، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة ، أخذ علومه عن الآبلي وغيره ، ثم نزل تلمسان ،ولازم أبا عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبية ، وبعد وفاته أخذ عن سعيد العقباني بالمدرسة التاشفينية ، ثم انقطع للعبادة وللتدريس ، ودفن بعد وفاته بضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبية . أنظر : ابن مريم ، البستان ، ص 64 - 66 .

222 - العباد: قرية صغيرة قرب تلمسان وهي مدفن القطب أبي مدين ، الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 24 .

223 - هو أبو مدين شعيب بن حسين الأندلسي ، جال وساح واستوطن بجاية مدة ، وتوفي قرب تلمسان أين دفن بالعباد ، وهو شيخ أهل المغرب في التصوف ، أنظر ترجمته في : أبو العباس الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح :رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 55 - 65 - أبو العباس أحمد بن قنفد القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقير ، تح : محمد الفاسي - أدولف فور ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1965 ، ص 11 ، وما يليها - عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى أو لواقح الأنوار في الطبقات الأخيار ، ج 1 ، المطبعة العامرية ، مصر ، 1315 ه ، ص 131 - 132 - سراج الدين بن الملقن ، طبقات الأولياء ، تح : نورالدين شريبة ، مكتبة الخونجي ، القاهرة ، 1973 ، ص 437 - يحي بن خلدون ، المصدر السابق ن ج 1 ، ص 125 - بن مريم : البستان ، ص 108 .

224 - ابن مرزوق: المسند ، ص 403 - حاجيات ، أبو حمو ، المرجع السابق ، ص 65- بورويبة ، الحياة الفنية ، المرجع السابق ، ص 500-503.

مسجد سيدي الحلوي :

أسسه السلطان المريني أبو عنان بن أبي الحسن سنة (754هـ/353 م)، [225] بعد استيلائه على مدينة تلمسان ، وهذا المسجد يشبه في تصميمه وزخارفه مسجد أبي مدين [226]، وهو منسوب للشيخ الزاهد أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي. [227].

لم تكن إقامة المساجد وعمارتها مقتصرة على العاصمة تلمسان فقط ،بل كانت معظم مدن المغرب الأوسط تضم مساجد تؤدي وظيفة العبادة والتعليم ومن تلك المساجد: المسجد الكبير بندرومة الذي بناه المرابطون [228]، والمسجد الكبير بالجزائر، ومساجد وهران ومستغانم والمدية، ومسجد هنين الذي أسّسه المرينيون [229].

وكانت معظم المساجد التي أنشئت في عهد بني زيان متأثرة بالفن المعماري الأندلسي نظرا للتأثير الفني الكبير الذي أدخله الأندلسيون إلى المغرب الأوسط ، كما أن بعض سلاطين بني زيان كانوا يطلبون ويستقدمون الصّناع من الأندلس لإقامة مشاريعهم العمرانية كأبي تاشفين الأول [230].

- **الكتاتيب :**

---

[225] - بورويبة: المرجع السابق ، ص 503 .

[226] - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 1 ، ص 148 .

[227] - هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف با لحلوى نزيل تلمسان ، تولى قضاء اشبيلية في أواخر عهد الدولة الموحدية ثم فر من القضاء وأوى إلى تلمسان في زي المجانين ، انظر : يحي بن خلدون: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 127 - 128 - ابن مريم: البستان ، ص 68 - 70 .

[228] - البكري: المصدر السابق ، ص 80 - رشيد بورويبة ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ، تر :ابراهيم 'شوح ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص 59.

[229] - ابن رزوق: المسند ، ص 403.

[230] - التنسي: تاريخ بني زيان ، ص 140 - عبد العزيزسالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج 2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972 ، ص 60 .

تعتبر الكتاتيب من أقدم أنواع المؤسّسات التعليمية في العالم الاسلامي ، وهي جمع كتاب وهو مشتق من التكتيب و تعليم الكتابة [231] ،ودخل هذا النظام إلى بلاد المغرب مع الفاتحين،وكانت كتاتيب القرون الأولى للإسلام عبارة عن بناءات بسيطة لتعليم الصبيان القرآن الكريم وقد ازداد عددها بتوسيع العمران وكثرة إنشاء المدن الجديدة [232].

وكانت الكتاتيب منتشرة بالمدن والقرى بالمغرب الأوسط ، وكانت مخصصة لتعليم الصبيان بعض المباديء في الكتابة والقراءة وخاصة تحفيظ القرآن [233]، وكانت عبارة عن غرف بسيطة أثاثها مكون من حصير ، وكانت أدوات الكتابة عبارة عن لوح خشبي مصقول ودواة وقلم من القصب وإناء للمحو [234].

وكان إنشاء هذه المؤسسات خاصا في الغالب ، أو كانت تبنى من قبل مجموعة من أولياء الصبيان [235]، وخلال القرن 8-9 هـ / 14-15 م ازدهرت الكتاتيب من حيث التنظيم والمواد المدرسة ، وكان يشرف عليها مؤدبون ومقرءون [236].

- **المـــدارس :**

تعدّ المدارس من المنشآت الثقافية والتعليمية المستحدثة في العالم الإسلامي ، وأول مدرسة بنيت في الإسلام هي المدرسة البيهقية [237] ، بمدينة نيسابور [238] أوائل القرن 5

---

[231] - حسن عزوزي: "التأليف في القراءات في المغرب والأندلس " ، مجلة الحضار الإسلامية ، ع 1 ، 1993 ، ص 241 .

[232] - الكتاني: التراتيب الإدارية ، ج2 ،ص 293 - محمد بن سحنون ، كتاب آداب المعلمين ، تح :حسن حسني عبد لوهاب ، مراجعة : محمد العروسي المطوي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1972 ، ص 31 - 35 .

[233] - نقولا زيادة : " المعلم " ،مجلة العربي ، ع 516 ، نوفمبر 2001 ، ص 57 .

[234] - لخضر عبدلي: المرجع السابق ، ص 160 .

[235] - الونشريسي: المعيار ، ج 11 ، ص 156 .

[236] - الوزان: المصدر السابق ، ج 1 ص 261 .

[237] - نسبة إلى الشيخ الإمام أبي بكر أحمد البيهقي احد أقطاب الحديث والفقه والأصول في زمانه وبيهق بلدة في خراسان : انظر : القاضي احمد بن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، المطبعة الميمنية ، مصر 1310ه ص 20-21- القزويني ، المصدر السابق ، ص 339.

[238] - نيسابور :أشهر مدن إقليم خراسان ، كانت ذات عمارة كثيرة وفضائل جمة .القزويني ، المصدر السابق ، ص 473.

هـ/ 11 م ، وفي (457 هـ / 1065 م) قام الوزير السّلجوقي نظام الملك، [239] ببناء المدرسة النظامية ببغداد[240].

أما في بلاد المغرب فقد أسست أول مدرسة في مدينة سبتة [241] سنة (635 هـ/ 1237م)[242]، وفي تونس أسس السلطان أبو زكرياء الحفصي المدرسة الشماعية والتي تسمى أم المدارس فيما بين(633 و 647 هـ / 1235 ـ 1249 م)، [243] وانتشرت حركة بناء المدارس بالمغربين الأدنى والأقصى ، أما بالمغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية مطلع القرن الثامن من الهجري الرابع عشر ميلادي (8ه/14 م) ، وقّلد ملوك بني زيان ملوك المغرب والمشرق في بناء المدارس والاعتناء بها والإشراف الشخصي عليها وتعيين طاقم للتدريس[244] .

ثم أضيفت المدرسة سنة(747 هـ / 1347 م) غرب الجامع ، وكانت مكوّنة من طابقين سفلي وعلوي ، كان بهما غرف للطلبة وحجرات للتدريس ، وتميزت بزخارفها الفنية ومرافقها المتعدّدة ، التي كانت مسّخرة لخدمة المدّرسين والوافدين من الطلبة [245].

مدرسة سيدي الحلوي :

---

[239] - هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي ، كان محبا للعلماء ورجال التصوف وبنى المدارس ببغداد واقتدى به الناس في ذلك ، توفي سنة 485 ه / 1102 م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ،ص 143 - 144.

[240] - تقي الدين ابن زيد الجراعي ، تحفة الراكع والساجد في أحكام المسجد ،تح : طه الولي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، 1981، ص 196 - 197 - المقريزي: الخطط ، ج 62 ، ص 363 .

[241] - سبتة : مدينة على البحر الرومي أو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط ، وكانت مدينة كبيرة مسورة يجاز منها ألى الأندلس . البكري المصدر السابق ، ص 102 - 104 .

[242] - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج2 ، ص 325 . - إسكان الحسن ، جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق 7 ه/ 13م إلى ق 9 هـ / 15م ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1987 -1988،

[243] - ابن أبي دينار: المصدر السابق ، ص 156 - 157 .ابراهيم بلحسن ، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأنى من ق 7-9ه/ 13-15 م، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ، 2005، ص 87.

[244] - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 325.

[245] - ابن مرزوق: المسند ، ص 403- حاجيات ، أبو حمو، المرجع السابق ، ص 64-69-بورويبة ، الحياة الفنية ، المرجع السابق ، ص 503 - فيلالي: المرجع السابق ، ج1 ، ص 143- 73 .P, Cit .OP ,Tlemcen , Marcais

بناها السلطان أبو عنان فارس المريني إلى جانب مسجد وزاوية وضريح الولي أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي ، سنة (754 هـ/ 1354م) ، ولم تكن لها شهرة مثل باقي المدارس [246].

المدرسة اليعقوبية :

أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني ، وسّميت باليعقوبية نسبة إلى أبيه يعقوب الذي كان حاكما بمدينة الجزائر وتوفي سنة(763 هـ / 1362 م) واستغرق بناء هذه المدرسة حوالي السنة ونصف السنة وانتهى من إنجازها في(765هـ/ 1364م) ، وأوكل للتدريس بها الشيخ أبو عبد الله الشريف (ت771هـ /1370م) ، وكانت ملحقة بزاوية ومقبرة مخصصة للأسرة الحاكمة من بني زيان [247].

وقد وصفها أحد المؤرخين بقوله :"و انشأ مدرسة القرآن والعلوم ،وأنفق فيها من الحلال المعلوم ،فأقيمت مدرسة مليحة البناء ، واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات ووضع في أبدع الموضوعات ،سمكها بالصبغة مرقوم ، وبساط أرضها بالزليج مرسوم ،غرس بإزائها بستانين يكتنفها ،وصنع فيها صهريج مستطيل وعلى طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسينا، فيا لها من بنية ما أبهجها [248].

---

[246] - حاجيات: أبو حمو ، المرجع السابق ، ص 65- 75

[247] - التنسي: تاريخ بن زيان ، ص 179-180 - حاجيات ، أبو حمو ، المرجع السابق ، ص 182 - 316 , Dhina ,les Etats OP.Cit ,Pعبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ،ص 144.

[248] - حاجيات: أبو حمو ، المرجع السابق ، ص 182 - عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ، ج1،ص 144.

مدرسة الحسن بن مخلوف الراشدي :

أنشأها السلطان الزياني أبو لعباس أحمد الملقّب بالعاقل فيما بين عامي (834ـ865هـ/1431ـ1462م)، للولي الحسن بن مخلوف أبركان ، وذكرها التنسي بقوله :"وبنى بزاويته المدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافا جليلة ، ووجد كثيرا من ربع الأحباس قد دثر والوظائف بها انقطعت فأحي رسمها وجّرد ما دثر،وأجرى الوظائف على أزيد مما كانت عليه قبل ....."، [249] لكن الغموض يكتنف هذه المدرسة وربّما كان التنّسي يقصد بالمدرسة الجديدة المدرسة التاشفينية [250].

- **الزوايـــــــــا:**

عبارة عن مؤسّسة ذات طابع ديني وثقافي واجتماعي ،تقام فيها العبادات ومختلف الدّروس،وإطعام عابري السبيل، وذكرها ابن مرزوق الخطيب بقوله :" والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي مواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين " [251]، فهي مختلفة عن الرباط الذي كان يتخذ للمرابطة والجهاد [252].

وكان يشرف عليها شيخ ، يتولّى التّعليم بها أو الإشراف على أساتذتها ، وكان يساعده في إدارتها وكيل ، أما مواردها المالية فكانت من مدا خيل وغلاة الأوقاف التي كانت تّتبعها، ومن الزكاة والهدايا والتبرعات [253].

---

[249] - التنسي: تاريخ بني زيان ، ص 248.

[250] - التنسي : المصدر نفسه ، ص 248(هامش 680).

[251] - ابن مرزوق: المسند ،ص 413.

[252] - فيلالي مختار الطاهر: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الزائر خلال العهد العثماني ،دار الفن الغرافيكي ،باتنة ،(د.ت)، ص 27-28.

[253] - المرجع نفسه : ص 27.

وقد انتشرت االزوايا بالمغرب الأوسط ، واشتهرت منها بتلمسان :

ـــ الزاوية اليعقوبية التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني إضافة إلى المدرسة على ضريح والده أبي يعقوب [254].

ـــ زاوية سيدي أبي مدين بالعباد، والتي كانت تّهتم بالتّعليم واستقبال الطّلبة الوافدين وكان لها عدة أوقاف من البساتين والضياع.

- **المكتبـــــات:**

اهتمّ ملوك بني زيان بإنشاء المكتبات العامة وتزويدها بنفائس الكتب لإقامة النشاط التعليمي والعلمي ، ومن تلك المكتبات :

ـــ المكتبة التي أنشأها السّلطان أبو حمو موسى الثاني سنة(760 هـــ / 1359 م) بالجامع الأعظم بتلمسان وكانت تزخر بالكتب [255].

ـــ المكتبة التي أنشأها السلطان أبوزيان بن أبي حمو موسى الثاني سنة(796 هـــ / 1394م) بالجامع نفسه كما اهتم بنسخ الكتب ، وكانت المكتبة تضم عدة كتب كالقرآن الكريم ، وصحيح البخاري ، وكتاب الشفاء للقاضي عّياض [256].

ووجدت كذلك المكتبات الخاصة التي كان يملكها العلماء في بيوتهم ، خاصة لدى الأسر وبيوتات العلم المشهورة بتلمسان ، كما اهتم الورّاقون بجمع الكتب ونسخها ، وكان لأبي عبد الله بن مرزوق الخطيب دكان بالقيصرية يبيع فيه السلع وينسخ به

---

[254] - عبد الحميد حاجيات : أبو حمو، ص 183.

[255] - محمد بن رمضن شاوش: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بني زيان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1995 ، ص 400.

[256] - التنسي: تاريخ بني زيان ، ص 211.

المصاحف في بيته [257]، واشتهر الشيخ محمد السنوسي بنسخ الكتب ، فنسخ نحو ثلاثين كتابا بخطه [258]. وكان الخطّاطون والورّاقون المموّل الرّئيسي لسوق الكتب بتلمسان والمغرب الأوسط ، فكثر تداول الكتب المغاربية والأندلسية والمشرقية ، وامتلأت بها المكتبات التلمسانية ، ما مكّن الطّلاب والعلماء من مزاولة نشاطهم العلمي والتّعليمي ، وساعدهم في تأليف مصنّفاتهم في مختلف التخصصات العلمية.

وكان ملوك بني زيان ينفقون الأموال الجزيلة على المؤسّسات التّعليمية وطاقمها من المدرسين والموظّفين وطلبتها المحليين والوافدين ، وكانت الأوقاف المحبسة على هذه المؤسسات هي المصدر الرئيسي لتلك الأموال ، لذلك عينت الدولة بالأوقاف وجعلت لها ناظرا يشرف عليها قد يكون من القضاة أو ناظر للمدرسة ، وكانت مداخليها تسير حسب حاجات المؤسّسة التعليمية ، وكانت هناك جملة من القواعد والشروط تنظم بموجبها تسيير الوقف وعادة يحددها صاحب الوقف حتى يتسنى للطلبة والعلماء الإستفادة بشكل جيد من المداخيل المحصّلة [259].

ب- التـــــــعليـــم:

يعدّ التعليم من العوامل المؤثّرة في نموّ الحياة الثقافية والحركة العلمية ، وفي الوقت نفسه مظهرا من مظاهر الإزدهار الثقافي والعلمي ، وكان يتّم في المؤسّسات التّعليمية التي أنشأت بتلمسان ومدن المغرب الأوسط من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا ، وكان يمرّ

---

[257] - ابن مرزوق : المجموع ، ورقة 3.

[258] - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 243.

[259] - الونشريسي: المعيار ، ج7 ، ص 3 وما يليها ـ محمد بن عبد الله ، الوقف في الفكر الإسلامي ، ج1، المغرب ، 1996 ، ص 131 - ابراهيم بلحسن ، المرجع السابق ، ص 96 - 69؛ Brosselard (CH),Habous des Mosquées _Sidi _Senouci , in: Revu Africaine , n 29 , Septembre 1861 , p,321 _Berbrugger (M) , Note Historique sur les mosques et autres édifier religieux d'alger ; revu Africaine , n °4 , 1859_1860 , p ; 467 ,

عبر مراحل تدريجية يتمّ فيها تحصيل مختلف المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف ، ثم التعمّق في المسائل الفرعية.

1ــ مراحل التعليم:

المرحلة الابتدائية :

في هذه المرحلة ، كان يتم تعليم و تحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة والحساب والخطّ [260]، وكان يتم في الكتاتيب ، حيث كان الصبيان يدخلون الكتّاب في سنّ محدّدة بين الخامسة والسّابعة ، ويتّبعون برنامجا منظّما عبر أيام الأسبوع ، وكانوا يفتتحون يومهم بحفظ القرآن منذ الصباح حتى وقت الضحى إلى الظهر وكانت حصة المساء مخصّصة لتدّريس بقية المواد حسب المقرر الدّراسي [261].

وكان يقوم بالتعليم في هذه المرحلة المعلّم أو المؤدّب ، وقد قرّر العلماء والفقهاء جملة من القواعد كان على المؤدين التزامها عند قيامهم بوظيفتهم ، منها أن يحتمل أخلاق الصبيان بالصبر والاحتمال ، وان يكون على علم بأحوالهم من النباهة والبلادة ، وأن يتصف بالأخلاق الحميدة والخبرة بالقرآن وعلومه.

وكان المؤدّبون يعلمون القرآن للصبيان من تلقاء أنفسهم ، وعملا بنصوص القرآن والحديث في الحث على تعليم القرآن وتعلمه ،وكانوا يلقون مشقة في ذلك ، وكان البعض منهم يأخذ أجرة على ذلك.

كما اعتنى المؤدّبون بتعليم أخلاق الدين الإسلامي من الحياء والسّخاء والتّواضع، وكانوا يلجئون أحيانا إلى حكايات العباد والصالحين والعلماء لتحبيبهم عند الصبيان، كم

[260] - ابن خلدون: المقدمة، ص 1038.

[261] - لخضر عبدلي: المرجع السابق ، ص 91 - 92 .

كان يجوز لهم تنبيههم إلى كيفيات الوضوء والصلاة ونحو ذلك من الأعمال المتعلقة ببعض الفرائض.[262]

ونبّه العلماء على ضرورة عدم تعنيف الصبيان بشدّة حتى لا ينعكس ذلك سلبا على تحصيلهم الدراسي ، وحتى لا ينفروا من الكتاب فيضيعون بذلك فرصة حفظ القرآن في صباهم وهي الفترة التي يكون فيها الطفل أكثر استعدادا لاستقبال المعلومات وحفظها وترسيخها[263].

ـ مرحلـــــة التعليم العـــــــالي:

بعدما يتمكّن الطلاّب من حفظ القرآن والإلمام بمبادئ الخط والكتابة واللغة العربية والقراءات في المرحلة الإبتدائية ، ينتقلون إلى مرحلة التّعليم العالي ، وكانت تتم في المساجد والمدارس ، وفيها كان الطلبة يتوجهون لدراسة مختلف التّخصصات العلمية وأصناف العلوم[264].

وتميزت الدراسة في هذه المرحلة بحرية اختيار الطلاب للمواد التي يريدون دراستها ، وعدم التقيد بالمقررات الدراسية [265]، وكانت العلوم الدّينية والاجتماعية والعقلية والآداب تدرّس بعمق وتفصيل[266].

---

[262] - ابن عباد: المصدر السابق ، ص 221 - 222 .

[263] - ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 1042 - ابن سحنون ، المصدر السابق ، ص 88 -93 - ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 242.

[264] - لخضر عبدلي: المرجع السابق ، ص 94 .

[265] - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 343 .

[266] - عبد الحميد حاجيات : المقال السابق ، ص 138

وكان يقوم بتدريس الطلاب في المساجد والمدارس أساتذة متخصّصون في مختلف المواد العلمية النّقلية والعقلية ، وكان سلاطين بني زيان يشرفون شخصيا على تعيينهم ودفع أجورهم وكان هؤلاء المدّرسون يمتازون بغزارة العلم والمعارف ، وغالبا ما كانوا من العلماء الرّحالة الذين جابوا الأقطار في سبيل تحصيل علومهم [267].

ـــ طرق التدريس :

اختلفت طرق التدريس من مرحلة إلى أخرى، ومن مدرّس إلى آخر ويمكن تحديدها كالتالي:

1ـــ الإلقاء والإملاء : كانت هذه الطريقة معتمدة في الكتاتيب ، حيث كان المعلّم يجلس في وسط الكتّاب والصبيان حوله ، وكان يكتب القرآن على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة والقلم ، ويتم تحفيظ السور القرآنية واستظهارها ، وعند إكمال كل القرآن حفظا يمتحن الطفل فيما يسمى بالختمة، وخلالها كان التلميذ يخير بين الانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع [268].

2ـــ اختيار كتاب معّين في احد أصناف العلوم وشرحه : وكانت هذه الطريقة تستعمل للمراحل العليا من التعليم ، وكان الأستاذ يتولّى بالشّرح والتّبسيط مفردات النّصوص بعد ما يتم قراءتها من طرف أحد الطلاّب [269].

3ـــ السؤال والجواب أو المحاورة : وقد انتقلت هذه الطريقة من إفريقية إلى المغرب الأوسط عن طريق بني الإمام وعمران المشدالي [270]، وكانت طريقة شيوخ تلمسان تعتمد

---

[267] - عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 343 .

[268] - لخضر عبدلي : المرجع السابق ، ص 97 .

[269] - اسكان الحسن : المرجع السابق ، ص 114 .

[270] - ابن خلدون:، المقدمة ، ص 772 - 773 .

على البحث وإعمال الفكر في المسائل العلمية إضافة إلى الحفظ ، وكان الطالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات ، وكان الأساتذة يقومون بالتوجيه ، وإدارة المناقشات والمناظرات[271]، وقد شاع استخدام المختصرات في التدريس لتسهيل تلقين العلوم لكن بعض علماء هذه الفترة أبدوا معارضتهم الصريحة لهذه الطريقة واعتبروها مخلة بالتعليم[272].

ج- أهم العلوم :

- اللغة وآدابها:

لقد كان الصّبيان في بداية طلبهم للعلم يتعلمون اللغة العربية، حيث تعتبر من بين المواد ولا يتجاوزها الطلاّب لعلم آخر ما لم يتقنوها، فكانوا مكلّفين بحفظ قصائد شعرية تعود إلى العصر الجاهلي، وصدر الإسلام ليعتادوا على اللغة الفصحى، ثم يتطّرقون إلى الجانب الجمالي كالشّعر ويفهمون معانيه، وقد وضع المغيلي لتلاميذه مقدّمة في العربية أثناء وجوده بتوات[273].

لأنّ معرفتها فرض واجب،قال ابن تيمية:"فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[274].

وبذّلك فإنّ اللّغة العربية هي أوّل المواد الواجب على الطلاّب إتقانها معتمدين في ذلك على بعض المتون ليسهّل عليهم حفظ قواعد اللغة ويداولونها بطريقتهم .

---

271 - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 2 ، ص 353 .

272 - ابن خلدون: المقدمة، ص 1028 -1029 .

273 - لا تزال هذه المقدمة من مؤلفات المغيلي المفقودة.

274 - ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تح،محمد حامد الفقي ،دار الكتب العلمية بيروت ،دت،ص207

– الخطابة:

كان المخاطب بتوات عادة ما يكون عالما أو خطيب مسجد أو مدرسا للقرآن الكريم،فالخطابة أداة قوية للتأثير على النّاس، أو على القبيلة مجاورة لكلام الله ورسوله الكريم وأكثرها الوعظ والنّصح فكان لمحمد بن عبد الكريم المغيلي مهارة كبيرة في الخطابة والدليل على ذلك تمكّنه من إقناع الناس لتغيير الأوضاع بتوات وتحذيرهم من مناصرتهم لليهود وإبقائهم على بيعهم فيقول :"لا يفتي بتقريرها إلا دجّال وتهدّم وإن أدّى إلى قطع الرؤوس ومن مات يريد هدمها فهو من أهل الجنة ومن لم يرد فهو من أهل النّار ، هذه الجنّة وهذه النّار يشير إلى مكانين من الأرض ،من هدمها فله الجنّة ومن حماها فله النار ،هذه محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذه محبة اليهود فاختاروا أيها شئتم "[275] .

فتلاحظ من خلال خطاب الإمام المغيلي وضوح الأفكار وبساطتها واستعمال أسلوب الترغيب والترهيب [276].

– الأمثال والحكم:

لقد اشتهر المغيلي باستعماله للأمثال والحكم بهدف تقريب المعنى للسّامعين فكانت ألفاظه جزلة وقوّية وجمله متناسقة ومن أشهر حكمه "الفكرة سراج القلب " [277]، ومعناها أن الفكرة كالمصباح المنير بالنسبة للقلب المهموم .

[275] - الونشريسي: المعيار ،ج2 ،ص216

[276] - أحمد الحمدي: المرجع السابق ،ص 186

[277] - المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، ص 5

ويقول أيضا:" الكرم روح السّلطنة والبخل نفس الشيطنة "، [278] وشّبه المغيلي الأمير الغافل عن عمّاله ويتركهم يظلمون الرعية ويختلسون أموال بيت المال بأنه :" كماسك قرون البقرة لحالبها وكسلم الدار لأربابها "، [279] ويقول كذلك "أكتم سرك عن غيرك حتى تتمكن من أمرك" [280]، فهو يوصي بكتمان السر خاصة بالنسبة للأمراء الذين يحيطون بهم العديد من العمال وقد يكون فيهم من لا يحب الخير للملكة وحفظ السّر تحدث عنه العرب كثيرا لقول الخوارزمي "الأسرار عند الأحرار " [281].

– الشعر :

برع الإمام المغيلي في الشعر السياسي وكذلك الشعر الاجتماعي ونجده في شعره السياسي لا يكاد يخرج عن حادثة يهود توات التي كان لها صدى كبير في حياته ويعتبرها نصحا للسلاطين والحكام المسلمين .

ولما دخل في صراع مع يهود توات وجد بعض التّواتيين يناصرونهم فقال من الطويل [282]:

تنبَّهْ فـــــإن الله منَّكَ بحرصـــــه ولي لأنصـــار النّبي محمـــــــــد

تنبَّهْ لما ترضى وتكره في العـــــدى ترى حكم من يحمي عدو محمـــد

عدوّك من يحمي عدوّك في الـــورى فيا ويـــل من يحمي عدوّ محمـــد

عدوك من يرضي عدوّك في الـــورى فيا ويل من يرضي عدو محمـــــد

أترضون أن يحمي خبيث عدوكـــم كمـــا أنتم تحموا عدو محمـــــد

---

[278] - أحمد العلمي حمدان : إستنصاح السودان ، ص 105

[279] - أحمد الحمدي: المرجع السابق ، نقلا عن المغيلي ، رسالة الإمارة ، ص 7

[280] - أحمد العلمي حمدان ، نفسه ، ص 101

[281] - محمد الخوارزمي: الأمثال ، تح ، محمد حسين الأعرج ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1994 ، ص 24

[282] - المغيلي: قصيدة في يهود توات وأنصارهم ، مخطوطة ضمن مجموع بالخزانة العامة بال رباط ، رقم 683.

أترضون أن يأوي خبيث عدوكـــم كمـــا أنتم تأووا عدو محمـــــد

أترضون أن يرضي خبيث عدوكـــم كما أنتم ترضون عدو محمـــــد [283]

وعلى الرغم من خلوّ القصيدة من براعة الصياغة الشّعرية وتكرار نفس الكلمة في القافية إلا أنّها تملك قدرة في تمثيل العدو و تصوير عاطفة المغيلي الصادقة والجياشة المتمثلة في كره اليهود وحبّه للنّبي – صلى الله عليه وسلم –

ويواصل المغيلي وصف أنصار اليهود الذين يقطعون من دينهم ويكرمون دين اليهود فقال من البسيط [284]:

برئت للـــرب الـــودود من قرب أنصـــــار اليهـــود

قوما أهـــــــانوا دينهم وأكرمـــــوا دين اليهـــــود

يكفـــي الفتى من شينّهم وخبث أصـــل صـــــــنعهم

إن قطـــعوا من دينهـــم ورفعوا دين اليهـــــــــــود

يا لـــيتهم لو دبـــــروا واسترجعوا واستغفـــــــروا

وستـــروا ما أظهـــــروا من نصـــرهم رهط اليهـــود

ألم تروا كيـــف قضـــى رب الورى فيـــمـــا مـــضى

أنّى يفوز بالـــــــــرضى من رضيت عنه اليهـــــود [285]

[283] - المغيلي: قصيدة في يهود توات وأنصارهم ، ص 17

[284] - أحمد الحمدي ،المرجع السابق ، ص191 .

[285] - أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، نقلا عن المغيلي ، رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ، ص 17.

وللقصيدة قيمة أدبية كبيرة تتمثل في براعة مطلعها وحسن الابتداء وسهولة الألفاظ ووضوح المعنى وتجب الحشو، ونلاحظ بأن المغيلي إعتمد على المقابلة [286]، حيث أتى بأشياء متعددة في صدر البيت ثم يقابل كل شيء منها بضدّه في العجز على الترتيب.

والقصيدة احتوت على الطّباق في لفظي (ستروا) و(أظهروا) والجناس في لفظي (قضى) و(مضى) وتوجد كناية في قوله "قطعوا من دينهم "فلا يقطع من دينه إلا ضعيف الإيمان ،ويبين المغيلي أن الإنسان لا يستطيع أن يجمع في قلبه حب النبي وحب اليهود فإذا أحبت واحدا منهما بغض الآخر وكرهه، ويحاول إخبار مناصري اليهود بأن باب التوبة مفتوحا بعد ندمهم على ما فات ويذكرهم بأنه من يتولى أعداء الله فسيكون عقابه شديدا في القبر ثم في الحشر اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ولن ينال شفاعة النبي (ص) قال المغيلي من الطويل :

في حب النبي يقتضي بغض اليهود فاندم على ما قد مضى لا تعـــود

كيف يا من قرب أعـــــداء النبي في القبر والحشر إلى نار الوقـــــود

من ذا الذي يشـــفع فيه إذا دنت من وجهه الذي أرضى به اليهود [287]

ففي البيت الأول يشير المغيلي إلى (حب النبي) و(كره اليهود) وهذا يعرف بالمقابلة كما أشرنا[288]، ويتساءل في البيت الثالث من يشفع في الذي يقرب اليهود؟ لا أحد ما دام النبي (ص) صاحب الشفاعة . وهذه الأبيات تتميز ببراعة التركيب الشعري .

[286] - صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ،تح ، نسيب نشاوي ، ص20

[287] - أحمد الحمدي: المرجع نفسه، ص 192 نقلا عن المغيلي رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ص 5

[288] - صفي الدين الحلي: شرح الكافية ،ص 74

وبالإضافة إلى شعر المغيلي السياسي نجد شعره الاجتماعي الذي يتطرق لبعض المظاهر الاجتماعية حيث ينتقدها محاولة منه إصلاح المجتمع من خلال إصلاح الفرد ويوصي المرء باختيار الصديق المثالي والابتعاد عن الأشرار ، لأن الصديق له تأثير جليّ على الشّخصية فقال المغيلي من الطويل :

إذا قرب الإنسان أخيـــار قومه وأعرض عن أشرارهم فهو صالح

وإن قرب الإنسان أشرار قومه وأعرض عن أخيارهم فهو طـــالح

وكل امرئ ينبئك عنه قرينـــه وذلك أمر في البرية واضـــح [289]

فهذه الأبيات متتالية ومتلاحمة فالجمل متناسقة والمفردات متوالية وفي هذه الأبيات طباق بين (أخيار) و(أشرار) وجناس بين مفردين (صالح)و(طالح) .

وقد تأثر المغيلي في هذه الأبيات بمقطوعات عدي بن زيد التميمي [290] فيقول :

كفا واعظا للمرء أيـــــــام دهره تروح له بالواعظـــــــات وتغتدي

فنفسك فاحفظها من الغي والردى متى تغوها يغو الذي بك يقتـــــدي

عن المرء لا تسأل وابصر قـــــرينه فإن القرين بالمقـــــــارن مقتـــــد

وظلم ذوي القربى أشد مضاضـــة على المرء من وقع الحسام المهنـــد [291]

---

[289] - المغيلي ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، ص 30- 39 .

[290] - شاعر نصراني سكن العراق ، أنظر : محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي،عيار الشعر ، تح ،محمد زغلول سالم ، المعارف ، الاسكندرية ، ط3، دت،ص102.

[291] - هذا البيت يوجد في معلقة طرفة بن العبد قال :يوم سرقت نوقه ويليه:ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

أنظر جورج غريب من التراث العربي ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 1980 ،ص 60.

وإذا ما رأيت الشر يبعث أهـــلـــه وقام جناة الشـــر للشر فاقعـــــد [292]

ويظهر بأن المغيلي أخذ بعض أجزاء البيت الثلث من مقطوعة عدي بن زيد التميمي فهذا البيت يشبه المثل كما قال الخوارزمي: " لا يصبر على الخلّ إلا دوده" [293] أي لا يقيم مع الإنسان الحقير إلا من كان مثله .

وقال المغيلي كذلك من الهزج:

حبيبي من يعادي من نعـــادي ويشفي ما بقلبي من الأعـــادي.

ويعلي رايتي بين البرايـــــــا ويفـــــني عن هواه في مرادي [294]

فالمغيلي يبين في هذه الأبيات بأن الحبيب الفعلي هو الذي يعادي أعداءك فكلامه يجمع بين الحكمة والموعظة والتنبيه فشعره يقع في النفوس موقعا حسنا فيكون له تأثير كبير ومن المحسنات البديعية في هذه الأبيات نجد الطباق ويتمثل في لفظي (حبيبي) و(الأعادي) والتصريع وهو استواء آخر جزء في صدر البيت و آخر جزء في عجزه في الوزن والإعراب ويظهر التصريع بين لفظي (نعادي) و(الأعادي) .

وقد قيلت العديد من الأبيات في الصديق والحبيب منها ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه :

هموم رجال في أمور كثيـــــــرة وهمي من الدنيا صديق مســـــاعد

يكون كروح بين جسمين قسمت فجسمهما جسمان والروح واحد [295]

---

[292] - ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، ص 102- 103.

[293] - الخوارزمي: المصدر السابق، ص 32.

[294] - المغيلي: مصباح الأرواح ، ص 31 .

ويقول المثقب العبدي [296] :

وإمـــــا أن تكون أخي بحـــــق فـــأعرف منـــك غثي من سمينـــي

وإلا فـــــــاطرحني واتّخـــــذني عـــدوا أتقيك وتّتقيـــــــــني [297]

ويوصي المغيلي في أبيات أخرى على طاعة الله والرسول وإتباع أولي الأمر وطاعة أولي الأمر من طاعة الله ورسوله ويجب على أولي الأمر أن يكونوا طائعين لله متّبعين لأوامره مجانبين لنواهيه فقال من الطويل :

أطع إله العـــــالمين والرّســـول ثم أولـــي الأمر ودع رأي الجهـــول

طاعة ذي الأمر أمان وقبـــــول في الدّين والدّنيا وعزّ ووصـــــــول [298]

ومن المظاهر السّلبية في المجتمع التّواتي النميمة التي تعثو في الأرض فسادا فحاول المغيلي نبذها فقال:

كم خرب النمام من قصر مشيـــده بشفتيه لأنفاس من حديـــــــــد

فابعد النّمام عنك من بعيـــــــده كم سفه النمام من عقل رشيـــد [299]

فالمغيلي عندما ذكر تخريب القصور لم يقصد القصور المشيدّة بالحجارة وإنّما قصور الأعمال الصالحة الذي يبنيه بحسناته ونصح بالابتعاد عن النمام وعدم مصاحبته فهو محتال

---

[295] - عبود أحمد ألخزرجي،روائع الحكم في أشعار الإمام علي بن أبي طالب ، المكتبة العالمية بغداد ، ط1988 ، ص 159.

[296] - المثقب العبدي ، شاعر جاهلي أنظر ابن طباطبا ، معيار الشعر ، ص 101.

[297] - المغيلي ، مصباح الأرواح ، ص 21

[298] - المصدر نفسه، ص 21 .

[299] - نفسه ، ص 15 .

وكاذب وقادر على تسفيه عقول الناس وجاء في المثل " من أطاع الواشي ضيّع الصديق "[300].

عواطف المغيلي في هذه القصيدة صادقة حيث كان مهموم بسبب قتل ولده عبد الجبار بتوات فقد سمع الخبر وهو بمدينة كاغو ومع ذلك فضّل أداء فريضة الحج قبل التوجه إلى توات كما نلمس معاناته بسبب أهل زمانه واستنكر كيف أن الناس تهجر محبة رسول الله بتقريب أعدائه وللمغيلي قصيدة وصف فيها الزمن الذي كثرت فيه البدع وابتعد فيه الناس عن السنة واتبعوا أهواءهم ولا يستمعون لأهل العلم والانتفاع بهم بل يهرولون لأهل الجهل والبدع فقال :

صفة أهل الجهل في هذا الزمـــــان الترك للحق وقلة الأمـــــــان

إذا دعـــوا للحق والعبـــــــــادة قالوا بلى طريقنا بالعـــــــادة

والأمر بالمعروف عندهم غريـــب واتباع السنة عندهم معيـــب

ويسمح الجور من أهل الفضـــــل ويبغض الحق من أهل العلـــم [301]

كان للمغيلي أسلوب بارع في الإقناع وهذا ما تدلّ عليه آثاره فقد تمكن في وقت وجيز أن يغير مجريات الأمور بتوات فبعدما كان الناس يخضعون للجماعة وبكل ما تحتويه من متناقضات وأضداد ، أصبح ولاؤهم للحق وإعطاء تعاليم الشريعة الإسلامية المجال الأوسع للحكم بين الناس[302] و لم يتمكّن الإمام المغيلي من الوصول إلى هذه النتائج إلا بعد إثبات شخصيته القوية القادرة على الإقناع من خلال طريقته المؤثرة وأسلوبه السهل .

---

[300] - ابن مرزوق التلمساني : المسند الصحيح الحسن ، 299 .

[301] الكنتي " الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي " ، ص 10

[302] - أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص198.

فصاحته :

في كتابات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي نجد كلاما خالصا وجمل متناسقة وكلمات سهلة النطق خفيفة على اللسان، فيقول المغيلي : " لو أنك أطلعت على حبيب من أحبابك قد قرب عدوا من أعدائك لكرهت ذلك منه ونفر قلبك عنه ولا تقبل منه عذرا حتى يبعد عنه أعداءك "[303].

نلاحظ بساطة الألفاظ وسهولة فهم معانيها، وأثناء قراءة هذه الألفاظ لا نحتاج إلى قواميس اللغة أما حديثه فهو غير مبتذل لأنه يستعمل الكلمة في مواضعها، ولا يتناول سخيف المعنى للكلمة فهو يشير إلى الشيئ مما يجعل السامع يفهم مقصوده دون التصريح به .

التصوف :

ذكر ابن خلدون في المقدمة التصوف ، وعرّفه بأنه " العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيها أقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والإنفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة"[304]، والتصوف [305] قديم في المجتمع الإسلامي ،ظهر حوالي القرن الثاني الهجري على شكل زهد وورع ، وكان عبارة عن إحتجاج على الإنحراف على المبادئ الإسلامية ، ثم تطور وأصبح نظاما للعبادة وإتجاها نفسيا وعقليا[306] واستند في أصوله ومبادئه إلى الإسلام ، واقتبس من

---

[303] - المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، ص 31

[304] - ابن خلدون: المقدمة ، ص 863

[305] - هناك اختلاف في اشتقاق الكلمة ، انظر : عبد الرحمن بن خلدون: شفاء السائل لتهذيب المسائل ، تح ، الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1959 ، ص 27 ، عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1966 ، ص 470 .

[306] - مختار فيلالي: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر ، خلال العهد العثماني ، دار الفن الغرافيكي ، باتنة ، (د-ت) .

الكتاب والسنة، [307] وتعدّ ظاهرة إنشار التصوف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني من أبرز المظاهر الثقافية ، وأهم ماميز التصوف خلال هذه الفترة خروجه من صبغته الدينية وأخذه لصبغة اجتماعية خاصة بعد تأسيس الطرق الصوفية وانتساب عامة المجتمع إليها .

واشتهر المغرب الأوسط بتياران للتصوف ، التيار الأول يسمى بتيار التصوف الفلسفي والتيار الثاني يسمى بتيار التصوف السني حيث تزعم هذا الأخير القطب أبي مدين شعيب الأشبيلي (ت595هـ/1198م)[308]، الذّي أخذ التصوف عن عبد القادر الجيلاني (ت561هـ /1166م)، [309] ببغداد وكان متأثرا بفكر الغزالي كذلك .

خلال العهد الزياني شهد المغرب الأوسط خاصة تلمسان ازدهار تيار التصوف الذي انتشر بها بقوة منذ نهاية القرن 6 هـ / 12 م،بعد انتقاله من ظاهرة دينية الى ظاهرة اجتماعية واعتقد الكثير من السلاطين في رجال الصوفية[310]. كما اصطبغت الحياة الدينية والعلمية بهذه الظاهرة [311]وظهر الكثير من المتصوفين والزهاد والعلماء الذين صنفوا في هذا المجال وأهميتهم : محمد عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1503م)، الذّي أخذ علم التصوف على يد عبد الرحمن الثعالبي، ثم أكمل تمرّسه ببجاية على يد أصحاب أبي العباس الوغليسي، [312] فكان تصوفه من طابع خاص التزم فيه بالكتاب والسنة ،

---

[307] - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 2 ، ص 384 .

[308] - ابن مريم: البستان ، ص 108، الغبريني ، المصدر السابق ، ص 55- 65 ، عبد الوهاب الشعراني الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، ج1، المطبعة العامرية ، مصر ، 1315ه، ص 131.

[309] - أبو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوى في الإسلام ، ج1، دار القلم ، دمشق ، 2002، ص 319- 350.

[310] - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج 2 ، ص 387 .

[311] - Abdelhamid ben ridouan ; etude sur le soufisme ; t .m arnaud , in (4) revue africaine , n 32 , 1898 ,p 338-383

[312] - الكنتي: "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي " ، ص 04

فألف كتابا بعنوان " تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، [313] وهو نقد لأدعياء التصوف، [314] كما اعتبره سكان بلاد التكرور وباقي بلاد السودان الغربي، شيخهم في التصوف بعد أن أسس زاويته التي تعدّ مركز لنشر الإسلام وتصحيح العقيدة .

وقد ركّز المغيلي في تصوّفه على تهذيب الأخلاق وإصلاحها ، وتربية النفس وانتقاد العزلة المؤدّية إلى إغفال المسؤوليات الدنّيوية والجمع بين العلم والعمل ومحاربة علماء السوء والدّفاع عن الإسلام وبعض أعداء الله .

المنطق :

ذكره ابن خلدون بقوله : "هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة . للتّصديقات وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس [315].

وكان علم المنطق منذ القديم محل الرفض من بعض العلماء المسلمين الذين طعنوا فيه وحظروا الخوض في مسائله وأباحه بعضهم وبّينوا فوائده وفضائله [316].

وقد اعترف بعض علماء المغرب الأوسط بهذا العلم وألفوا فيه عدة مصنفات خاصة الشروح على جمل الخونجي، فكانت عبارة عن طلاسم يصعب فهمها وحفظها فعكف علماء تلمسان على تبسيطها ومنها شرح محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد، [317] شرح

---

[313] - لا يزال هذا الكتاب من كتب المغيلي المفقودة .

[314] - الوفد المالي "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي " ، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار ، ص 33

[315] - ابن خلدون: المقدمة ، ص 908؛ أبو العباس أحمد بن محمد: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام ، تح ، محند أو ادير مشنان ، ج 1 ،دار التراث ، دار ابن حرم الجزائر ، 2005 ، ص 337 .

[316] - ابن خلدون: المقدمة ، ص 913 .

[317] - هو محمد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي الشافعي نزيل مصر (ت 646ه -1247م) من مؤلفاته أدوار الحميات في الطب ، الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق ، شرح مقامة ابن سينا في النبض ، الموجز في المنطق ، كشف الأسرار عن غوامض

سعيد العقباني[318] شرح الإمام المغربي الجد، [319] كما ألّف محمد بن يوسف السّنوسي عدة مصنفات في المنطق ومنها : شرح مختصر إبن عرفة وغيرها [320].

وألف محمد بن عبد الكريم المغيلي مؤلفات في شرح جمل الخونجي ومقدّمة في علم المنطق ومنظومة فيه سماها "منح الوهاب " ثم كتب ثلاثة شروح عليها [321].

وجعل المنطق من العلوم المساعدة على فهم الكثير من المسائل.هذا ما أدى إلى وقوع خلاف بينه وبين حلال الدين السيوطي، الذي اعتبر المنطق كفر لأنه علم من علوم الكفار ، ولا يجوز الاستعانة به في فهم أمور الشريعة ، فقامت بينهما مناظرة، وهي عبارة عن سجال شعري،فالمغيلي مثّل علماء المغرب والأندلس الذين يمدون للعقل الأولوية لفهم الأمور ، ومثّل السيوطي علماء المشرق الملتزمين بالنصوص وتقليد الأوائل ، فجاء في القصيدة ما يلي :

سمعت بأمر مـــا سمعت بمثلـــــه كل حديث حكمه حكم أصلـــــه

أيمكن أن المر في العـــلم حجـــــة وينهي عن الفرقان في بعض قولـــه

هل المنطق المعني إلا عبـــــــــارة عن الحق أو تحقيقه حين جهـــله ؟

معانيه في كل الكلام فهل تـــرى دليلا صحيحا لا يرد لشكـــلـــه ؟

أرني هداك الله منه قضيـــــــــة على غير هذا تنفها عن محلـــــــه

ودع عنك ما أبدى كفور وذمـــه رجال و إن أثبت صحة نقلـــــــه

الأوكار في المنطق شمس التين محمد بن أحمد الدهبي ،تسير الأعلام ، ج 16، تح ، خيري سعيد ، المكتبة التوفقية ، القاهرة ، (د ت) ، ص 469 .

[318] - ابن مريم : السبتان ، ص 211 ..

[319] المقري: نفح الطيب ، ج 6، ص 254 .

[320] - التنكبتي: المصدر السابق ، ص 329 ،ابن مريم ،المصدر نفسه ، ص 246

[321] - ابن مريم : المصدر السابق ، ص 255-256 – محمد مخلوف ، المصدر السابق ، ص 274 .

خذ الحق حتى من كفور ولا تـــقم دليلا على شخص بمذهب مثلـــــه

عرفناهم بالحق لا العكس فـــاستبن به لا بهم إذ هم هداة لاجلـــــــه

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عالم بالشرع باح بفضـــــله

فأجابه السيوطي بقصيدة أخرى من خلالها أبدى تعجبه من ميل كثير من العلماء بما فيهم المغيلي لدراسة علم المنطق، وتحجّج بأنه من علوم الكفرة وأنه لا يجوز للمسلمين الاشتغال به، ودافع عن كتابه الذي صنّفه في تحريم علم المنطق ، وختم قصيدته بالثناء والتقدير للمغيلي وجاء في رده :

حمدت إله العرش شكرا لفضـــــله وأهدي صـــلاة للنبي وأهلـــــه

عجبت لنظم ما سمعت بمثلـــــــه أتـــاني عن حبر أقر بفضلـــــه

تعجب مني حين الفت مبدعـــــا كتابا جموعا فيه جم بنقلـــــــه

أقرر فيه النهي عن علم المنطـــــق وما قاله من قال من ذم شكلـــه

وسماه بالفرقان ياليت لم يقـــــــل فذا وصف قرآن كريم لفضلـــه

وقد قال محتجّا بغير روايـــــــــة مقالا عجيبا نائيا عن محلّـــــــه

ودع عنك ما أبداه كفور وبعد ذا خذ الحق حتى من كفور بختلـــة

وقد جاءت الآثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصارى لأهلـــــه

يجوز به علما لديه و إنّـــــــــه يعذب تعذيبا يليق بفعلـــــــــه

وقد منع المختار فاروق صحبـــه وقد خط لوحا بعد توراة أهلـــه

وما جـــاء من نهي اتباع لكـــافر وإن كان ذاك الأمر حقا بأصله

أقمت دليلا بالحديث أقـــــــم دليلا على شخص بمذهب مثله [322]

التاريخ والسير :

احتوت مؤلّفات المغيلي على معلومات تاريخية هامة ، تتعلّق بتاريخ منطقة توات الدالة على وجود العلم بها ،منذ أمد طويل بالإضافة إلى بلاد السودان الغربي والتكرور، فقد وصفها المغيلي في كتبه خاصة مملكة صنغاي في عهد سني علي، وخلفه الأسكيا محمد الحاج ودوره في نبذ العادات السيئة بهذه المناطق أما بالنسبة للسير، وضع المغيلي فهرسة يذكر فيها أهم شيوخه الذين أخذ عنهم مختلف العلوم ،وما قرأ عليهم عن مؤلفات[323] ، وصفاتهم وأخلاقهم وذكر من كان يدرس معه من نجباء الطلاب، وذكر عادات شيوخه في التدريس ، وأهم القصص التي حدثت أثناء الحلقات العلمية ،والوقت المناسب للحفظ والتحصيل الذي يلتزم به الطالب للنجاح والأخلاق التي يجب أن تتوفر فيه، ومدى احترامه وتقديره لشيخه ، فيجب أن لا يقاطعه ولا يتكلم إلا بإذنه ويقوم بخدمته بغية إرضائه [324].

هذا بالنسبة للفهارس، أما عن التاريخ كما أشرنا سابقا فيعتبر مصدر المعرفة أخبار الأمم السابقة فيقول ابن الأحمر "فن عزيز المذهب جم الفوائد ، شريف الغاية ، محتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبها إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط " [325]

---

[322] - التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 332 - ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 257 - المغيلي ، مصباح الأرواح ، ص 17

[323] - عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات ، تح: احسان عباسي ، ج 2، ط2 ،دار العرب الإسلامي، بيروت ، 1982، ص 573 .

[324] - محمد المنوني: المرجع السابق، ص ص 136-137 .

[325] - إسماعيل بن الأحمر: روضة النسرين في دولة بنى مرين ،تح ، عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، المطبعة المالكية ، ص 15 .

وتوجد في مؤلفات المغيلي الكثير من الأحداث التاريخية نظرا لكثرة رحلاته وأسفاره، وأهم هذه الأحداث اليهود بالمغرب الإسلامي وخبثهم المعروفين به ، وتكاثر عددهم بعد حروب الاسترداد التي سنها النصارى في الأندلسي،و كيدهم للإسلام والمسلمين على الرغم من المعاملة الحسنة التي عاملوهم بها ، ووصولهم إلى المناصب العليا ، وبصدد الحديث عن خبث اليهود فقد أخبر المغيلي أنه شاهد امرأة يهودية تعجن خبز مسلم وتأخذ القمل من رأسها وتقتله بين أظافرها قبل أن تغسل يديها، [326] وأورد حادثة أخرى مفادها أن قاضيا بالمغرب أشغل عنده يهوديا وظن القاضي أن استخدام اليهودي إذلال له وفي إحدى الأيام أعطى لليهودي ثيابه ليغسلها له ، فعاب القاضي ثم رجع بسرعة فوجد اليهودي يبول فوق ثيابه ، فعاقبه القاضي بربطه وضربه وتاب عن تقريب جميع أعداء الله [327].

وهناك حادثة أخرى تدل على حرص اليهود على تحريضهم للقران الكريم وايذاء المسلمين وتدبير المكائد للإطاحة بالدين الإسلامي، أنّ أحد الصبيان كان يستقم في قوله :"ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه" [328]، فقال اليهودي "ومن يبتغ الإسلام دينا فلن يقبل منه"[329]، فأسقط الصبي لفظ غير وبالتالي أنكر عليه المعلم لكن الصبي لم تستقم له [330].

سادسا: وفاة الإمام الشيخ المغيلي:

326 - المغيلي: مصباح الأرواح ، ص 38

327 - نفسه ، ص 38.

328 - سورة آل عمران ، الآية 85 .

329 - المغيلي : المصدر نفسه ، ص 58 .

330 - المصدر نفسه ، ص 59

لقد أثّرت حادثة مقتل ابن محمّد بن عبد الكريم المغيلي،عليه فأعطته حافزًا له على الرّجوع إلى توات، حيث كان بحضرة ملك كانو فسمع الخبر، فتأثّر تأثرًا كبيرًا، و طلب من ملك كانو القبض على كلّ التواتيين الموجودين بعاصمة بلاده و إدخالهم السّجن، غير أنّ محمّد بن عمر خالف الإمام المغيلي في ذلك، و أوضح له أنّ هؤلاء لم يرتكبوا أي إثم يعاقبون عليه، فعدل الملك عن قراره، وأمر بإطلاق سراحهم فحزم الإمام المغيلي أمتعته متّجها لقصور توات، فلمّا وصل وجد اليهود قد أعيدوا إلى أماكنهم وديارهم وصنائعهم فأقام الثّورة فيهم وأتباعهم، فقامت المعركة بينه و بين الشيخ عمر بن عبد الرّحمن،فكانت الغلبة لعمربن عبد الرحمن[331]، فأوت البرامكة الإمام المغيلي وبقي في بوعلي يدرّس و يعلّم، و يؤلّف إلى أن جاءته المنية في غزّة رمضان من سنة 909ه الموافق لـــــ 1503م [332].

ورغم الاختلافات الحاصلة بين الكتّاب والمؤرخين لحياة الإمام المغيلي حول تاريخ وفاته وتحديد تاريخ رحلاته، إلاّ أنّهم أجمعوا على أنّه كان رحالة أوقف فترة من حياته بقصور توات، وكانت كلّها مليئة بالعطاء، وعاش فترة بتلمسان، أيام الصبى، و بالمعنى الكامل قسم فترات حياته إلى:

1. فترة الصبى و قضاها بتلمسان مع الأهل و الأحبّة. [333]
2. فترة طلب العلم و المعرفة و كانت بتلمسان، و بجاية و الجزائر.

---

[331] - عبد الحميد بكري:نبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14ه، دار الهدى للطباعة والنّشر والتوزيع، عين مليلة، ص58.

[332]- مبروك مقدّم، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي و أثره الإصلاحي بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرن 8 و9 و10ه ، ص 35.

[333] - المهدي البوعبدلي: أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط و دور الإمام المغيلي بها في قضية يهودا توات، مجلة الثقافة، العدد 94، أغسطس 1986م، ص 87.

3. فترة العلم و التصوّف و الزّواج و كانت بمدينة الجزائر مع سيدي عبد الرّحمن الثعالبي[334].

4. فترة بناء الأسرة و تربية الأولاد و بداية منهج المغيلي، و قضاها بتوات متحسّسًا، ملتمسًا، مستنهضًا للأتباع.

5. فترة الرحلات و تجسيد الأفكار و القضايا بين توات و فاس والسودان الغربي يرتحل بين ممالكها لنشر الإسلام و العقيدة السمحاء.

6. فترة المعارك و الثورة على اليهود و من ناصرهم بتوات وبالذات بقصر تمنتيط وكانت على مرحلتين، في كلّ مرّة كان يهجم على اليهود و يهدم أديرتهم و يطردهم من البلاد و يشتتهم مستعينًا في ذلك بأتباعه و مناصريه[335].

سابعا: مؤلفاته.

لقد خلّف الشيخ العلاّمة محمّد بن عبد الكريم المغيلي العديد من الآثار العلميّة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف:

1. الآثار المتعلّقة بالإتجاه الإصلاحي للإمام المغيلي.

2. الآثار العلميّة المتعلّقة بالإتجاه الروحي لدعوته و منهجه العلمي.

3. الآثار العلميّة و العمليّة المتعلّقة بالإتجاه المتمثّل في المقالات والكتب الّتي خلّفها بعد وفاته،

و قد صنّفت هذه الآثار المغيليّة إلى:

1. كتب شرعيّة و دينيّة تهتم بإبراز العلوم الشّرعيّة.

---

[334] - عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص 30.

[335] - مبروك مقدم: أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير، ج2، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2002م، ص – ص 98-99.

2. كتب فكريّة تدور في علم الكلام و تنظيم الحكم.

3. كتب سياسيّة ترتكز على حسن المعاملة و كيفية تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم[336].

و يمكن للقارئ استخلاص روح و منهج الإمام المغيلي من خلال تصفح كتبه وآثاره العلميّة، و من هذه الآثار العلميّة:

1. مخطوط: (البدر المنير في علوم تفسير القرآن الكريم)، و هو كتاب ضخم يوجد بمكتبة الإمام المغيلي بزاوية الكنتة.

2. مخطوط: (سراج الأرواح أو أسس السعادة)، ألّفَهُ و وَجّهَهُ إلى الشّيخ السنوسي والشّيخ ابن غازي يدور حول المعاملات و العلاقات الإنسانيّة، و قد أثنيا عليه بعد قراءته وهو لا يزال مخطوطًا يوجد بمكتبة الإمام المغيلي بزاوية الكنتة.

3. مخطوط: (تفسير تأويلي للسّور الأولى من القرآن)، مكتوب على صفحات مزدوجة لا يزال يوجد بمكتبته بزاوية كنتة[337].

4. مخطوط: (منهج الوهاب في ردّ الكفر إلى الصواب) و هو عبارة عن أرجوزة تدور حول المنطق و قد كان يُدرسها لتلاميذه و قد حظيت باهتمام كبير من طرف المتتبعين لأفكار الإمام توجد بمكتبة تمنتيط و بمركز أحمد التنبكتي بمالي.

5. شرح خليل و هو بعنوان (الوجيز الكافي للرّجل الزكي) مخطوط، لقد نسخت عدّة مرّات لما تحتويه من الهوامش و الإضافات توجد بمكتبة مركز الأبحاث بأدرار.

---

[336] - أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 331.

[337] - أمين الطيبي: مراجعة كتاب أجوبة المغيلي عن أسئلة الحاج الأسقيا، مجلة كلية الدعوة الإسلاميّة، العدد3، ليبيا، 1986م، ص 337.

6. مخطوط بعنوان (ما يُلغي الوضُوء و السُّبل الّتي تُؤدّي إلى البيع على حدّ خليل) وهو مخطوط مختصر توجد بمكتبة تمنتيط.

7. مخطوط بعنوان (شرح على البيع على حدّ ابن الحاجب) تحدّث فيها عن آراء ابن عبد السّلام و خليل توجد المخطوطة بمركز الأبحاث و الدّراسات التاريخيّة أدرار [338].

8. مخطوط بعنوان (إتباع الشّرع و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر) رسالة وجّهها إلى أمير كَانُو (أبو عبيد الله محمّد).

9. مخطوط بعنوان (ملخّص تلخيص المفتاح) مرفوق بتعليق في البلاغة يوجد بالخزانات التواتيّة و بمكتبة بزاوية الكنتة.

10. مخطوط بعنوان (علوم السنّة) تحدث فيها عن آراء و أفكار مطروحة في مؤلّف النووي (التقريب).

11. مخطوط بعنوان (شرح على جمل الخونجي) بعنوان (الفهرس في المنطق) توجد بخزانة تمنتيط و بمكتبة الشيخ باي بلعالم.

12. مخطوط بعنوان (مدخل شرح الفهرس) [339].

13. مجموعة قصائد شعريّة تحتوي على عدّة فصول لجمل الخونجي جمع فيها كلّ التوضيحات المرغوبة.

14. مخطوط (تنبيه الغافلين من التصرفات للمنافقين الطامعين في التمتّع من اِمتياز المتأملين)، يوجد بمكتبة مركز الأبحاث والدّراسات التاريخيّة.

---

[338] - أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 340.

[339] - عزّ الدين العلام: السلطان بين السياسة و العمران، مجلّة الوحدة، شهريّة تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب، العددان 46-47، يوليو أغسطس 1988م، ذو القعدة ذو الحجة 1408 هـ، ص 102، 1909.

15. شروح لقصائده، و قد ألّف هذه القصائد و جمع فيها كلّ التوضيحات المرغوبة توجد في مكتبته بزاوية الكنتة.

16. (شرح مدخل لخليل) مخطوط بمكتبة تمنتيط.

17. (مقدّمة في اللّغة العربيّة) مخطوط بمكتبة تمنتيط.

18. فهرس نوه فيه بشيوخه و العلوم الّتي درسها عليهم، و يعالج فيه طرق الدّراسة [340].

19. مخطوط بعنوان (أجوبة المغيلي عن أسئلة محمد أسكيا الكبير) .

20. صورة من النسخة المتواجدة بالمكتبة الوطنية بباريس و المسجّلة تحت رمق 5259 تحتوي على 47 ورقة حقّقها الأستاذ عبد القادر زبيادية.

21. مجموعة أشعار أهمها الّتي مدح فيها النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم عندما وقف على قبره، قافيتها (الميم) و زنها و ميميتها على شكل البردة للبصري [341].

22. مخطوط بعنوان (مغني النبيل شرح مختصر خليل) لم ينته منه حيث وصل فيه إلى القيم بين الزوجات، و له حاشية عليه سماها (إكليل معنى النبيل) بمكتبة أقبلي.

23. مخطوط بعنوان (مفتاح النظر في علم الحديث) كتاب الفتح المبين يوجد بمكتبته بزاوية كنتة.

24. كتاب (رسائل مصباح الأرواح في أصول الفلاح) و قد حقّقها الأستاذ رابح بونار.

---

[340] - أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 330.

[341] - أحمد بابا التنبكتي: نيل الانتهاج، ص330.

25. مخطوط بعنوان (جزية أهل الذّمة)، توجد بالخزانة العامّة بالرّباط مسجّلة تحت رقم: 20./30

26. مخطوط بعنوان (رسالة في الرّد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة) و قد حقّقها الدكتور عمار طالبي توجد نسخة منها بمركز الأبحاث التاريخيّة بأدرار [342].

27. مخطوط بعنوان (هدية الأسرار بلسّان الأنوار) تدور حول أحوال النّاس ببلاد السودان توجد بمكتبة تمنتيط.

28. مخطوط لجواب عن سؤال (حول قبائل في آخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء يتّخذهم اليهود أخلاء و يلّقبونه بالغلائف) توجد بمكتبة تمنتيط، و تدور حول الجزية و ما يجب على المسلم مع الكفار.

29. مخطوطة بعنوان (المفروض من علم الفروض) يدور حول علم الميراث و الورثة من الذكور، و الإناث، توجد بمكتبة الشّيخ باي بأولف.

30. مخطوط بعنوان (المختصر في علم الفرائض) تدور حول بيان من يرث و من لا يرث، و ما لكلّ من الورثة و في كيفية فتح التركة بمكتبة بزاوية الكنتة [343].

31. مخطوطة بعنوان (ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، و عما يلزم أهل الذّمة من الجزية و الصغار) تحتوي على ثلاثة فصول و هي:

- الفصل الأوّل: بعنوان ما يجب على المسلمين من اِجتناب الكفار.
- الفصل الثاني: بعنوان فيما يلزم أهل الذّمّة من الجزية و الصغار.
- الفصل الثالث: بعنوان فيما عليه يهود هذا الزمان [344].

---

[342] - يحي بوعزيز: طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، مجلة الثقافة، (سبتمبر، أكتوبر)، 1986م، ص – ص 13-14.

[343] - مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، من خلال المصادر و الوثائق التاريخيّة، ص 125.

[344] - نفس المرجع، ص 126.

الفصل الثاني

الدور الفكري للمغيلي بإقليم توات

أولا: انتشار الإسلام واللّغة العربية بإقليم توات:

1- انتشار الإسلام

2- انتشار اللغة العربية

3- علاقة المسلمين باليهود بإقليم توات

ثانيا: نازلة يهود توات:

1- أراء العلماء التي أقرّت بِيَعْ يهود توات

2- آراء العلماء القائلة بوجوب هدم بِيَعْ يهود توات

ثالثا: ثورات الإمام المغيلي مع يهود توات وأسبابها:

1- ثورة المغيلي الأولى على يهود توات

2- - ثورة المغيلي الثانية على يهود توات

رابعا: رحلاته:

1- رحلته إلى فاس

2- رحلته إلى السّودان الغربي

خامسا: أثر المغيلي الفكري والعمراني بإقليم توات

أوّلاً: انتشار الإسلام و اللّغة العربية بإقليم توات:

1. انتشار الإســــــــــلام:

لم يعرف إقليم توات الإسلام إلاّ في مُنتصف القرن الرّابع الهجري (العاشر الميلادي)[345] وذلك بعد فتح قائد الجُيوش الإسلاميّة ووالي إفريقيّة، الصحابي الجليل عُقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري القريشي، المتوفّى سنة (63هـ-638م) للمغرب الإسلامي في الحملة الثّانية سنة (51هـ-671م).

حيث قام بتشييد مدينة القيروان بإفريقيّة خلال مُنتصف القرن الأوّل الهجري[346]، والّتي اُعتُبِرت نُقطة اِنطلاق في مُواصلة نشر الإسلام[347]، وتابع بعد ذلك عُقبة بن نافع فُتوحاته بفتح بلاد السّوس الأقصى، حتّى إلى غاية صحراء درعة الّتي بنى فيها مسجدًا[348]، وبعض مناطق أهل اللّثام من بطون قبيلة صنهاجة البربريّة ومنطقة ولاتة[349].

ثمّ اِتّجه إلى الشّمال، ومن الأقوام الّتي تقطن هذه المناطق واِلتقى بها عُقبة في طريقه نحو الشّمال، كما يذكر المؤرّخ عبد الرحمن بن عبد الحكم في كتابه "فتوح إفريقيا والأندلس"، "فقبيلتي لواتة وهوّارة"، وهما أصل الكثير من القبائل التّواتيّة[350]، ويُكمن أن يكون الإسلام قد اِنتشر بين هذه القبائل التواتيّة عن طريق الجيش الّذي أرسله حكّام المغرب

345- : Echalier (J.C) villages désertes et structure agraires anciennes du Touat, Gourara - Algérie, Paris, AMG, S.D 1972, p16.

346 - ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 13.

347 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص 35.

348 - البكري: المصدر السابق، ص 160.

349 - وهي الآن إحدى المناطق التابعة منطقته بشار بالجزائر.

350 - ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، تح: عبد المنعم عام، القاهرة، 1961م، ص 191.

الأوائل[351]، أو عن طريق التجّار المسلمين الّذين كانوا يمرّون عبر تلك المناطق السّالف ذكرها، في اِتّجاه بلاد السّودان[352].

وبذلك فإنّ الإسلام وصل إلى إقليم توات عن طريق الفُتوحات الّتي قادها قائد الجُيوش الإسلاميّة "عُتبة بن نافع"، ومن أعقبه فيما بعد من القادة، وكذلك عن طريق تجارة القوافل الّتي مارسها التجّار المُسلمون القادمون من شمال المغرب الإسلامي، نحو جنُوبه في اِتّجاه بلاد السّودان.

ومنذ ذلك الحين أصبح إقليم توات مركز تأثير على بلدان إفريقيا الغربية الوثنية، حيث أخذ الإسلام ينتشر رويدًا رويدًا في هذه البُلدان اِنطلاقا من قصور توات نفسها، عبر الأقاليم الصحراويّة في اتّجاه أقصى الجنوب، بفضل التجارة التي كانت مُزدهرة بتوات-[353].

2 – انتشار اللّغة العربيّة:

لقد اِجتمعت عدّة عوامل ساعدت على انتشار اللّغة العربيّة بإقليم توات، وفي مُجملها لا يمكن فصلها عن تلك الّتي ساعدت على اِنتشار الدّين الإسلامي وأهمها ما أدّاه قادة الفتح الإسلامي وأهمهم عقبة بن نافع الفهري الّذي أدّى دورًا فعّالا في نشر الإسلام

[351] - ابن عبد الحكم: المصدر نفسه، ص 75.

[352] - ابن عبد الحكم: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[353] - Echalier : op.cit, p7

واللّغة العربية بعد تأسيسه مدينة القيروان[354]، وبذلك أصبحت هذه المدينة عاملاً أساسيًا في نشر الإسلام.

فإنتشرت المساجد، وأصبحت سمة من السمات الّتي تميّز المدينة المُسلمة، فلعب هذا الأخير دورًا هامًّا في إقليم توات، فاعتبر مجمع العلماء والفقهاء ومُلتقى طلاّب العلم خاصّة البربر، بتقديم لهم حلقات، ودُروس علميّة مُرتبطة بالعُلوم الدينيّة واللّسانيّة، كالفقه، وقراءة القرآن الكريم والتّفسير والحديث، واللّغة العربية بفنونها من نحو وأدب بنوعيه النّثري و الشّعري، وبذلك اُعتبر المسجد عاملاً أساسيًا من عوامل انتشار الإسلام من جهة، واللّغة العربيّة من جهة أُخرى بين سكان توات[355]، لحاجتهم الماسّة لقراءة القرآن، وتأديبه الصلاة، وفهم تعاليم الإسلام وبهذه الكيفية عرفا سكان توات اللّغة العربية، واكتسبوا أداة تفكير وتعبير، سمحت لهم بمعرفة الفكر العربي، ممّا نتج عن ذلك ظهور فقهاء وخطباء وأدباء، وغير ذلك من أهل العلم والدّين واللّغة[356].

كما كان لقائد الجيوش الإسلاميّة بالمغرب الإسلامي، حسّان بن النعمان الّذي يعتبر من أكبر قادة الفتح في بلاد المغرب ؛ دور فعّال في نشر اللّغة العربيّة ما بين سكّان البربر، وذلك بإدخال الجنس البربري في الجيش العربي[357]، حيث تطلّبت الخدمة في الجيش الإسلامي الدخول في الدّين الإسلامي، وبالتّالي تعلّم اللّغة العربيّة وانتشارها بين قبائل البربر، بما فيها إقليم توات.

---

354 - موسى لبقال: المرجع السابق، ص 35 ؛ مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص 39.

355 - عباس عبد الله: المرجع السابق، ص 64.

356 - مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، لبنان (د.ت)، ص 47.

357 - مختار العبادي: المرجع نفسه، ص 45.

ومن بين العوامل الأُخرى الّتي أدّت إلى اِنتشار اللّغة العربيّة هُمْ دُعاة المُسلمين، الّذين أرسلهم الخليفة الأُموي عُمر بن عبد العزيز (ت 101هـ-719م) خلال نهاية القرن الأوّل الهجري وبداية القرن الثاني الهجري (السّابع والثّامن عشر الميلاديين)، وهذا ما يشير إليه المؤرّخ الأندلسي أبو الوليد بن محمد بن الفرضي الأزدي (ت 403هـ-1012م) ، في كتابه "تاريخ عُلماء الأندلس": "... أنّ عُمر بن عبد العزيز أرسل عشر من التّابعين يفقهون أهل إفريقيا..."[358].

فأثمرت عن هذه السياسة المنتهجة من قبل الخليفة عمر إقبال سكّان المغرب على اِعتناق الإسلام و تعلّم اللّغة العربيّة بصفة صحيحة ومتقنة وتسهيل الاتصال بين المسلمين، والتّعامل فيما بينهم في شتّى الميادين الحضاريّة، وكسب ثقافة جديدة ذات طابع عربي إسلامي[359].

فأصبح البربر يميلون نحو اِستيعاب الثقافة العربيّة الوافدة من المشرق الإسلامي[360]، فواصلت هذه الحركة الثقافية الإسلاميّة التوسّع، واِنتشرت بشكل سريع بين المغاربة، رغم وفاة صاحب هذه الحركة، الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (ت 101هـ-719م)، عن طريق الدعاة المسلمين الّذين استمرّوا في نشاطهم التّثقيفي و التّعليمي في المغرب الإسلامي، ثمّ تركوا من بعدهم أحفادهم وأصحابهم يُواصلون المهام نفسها مثل عائلة الأنصاري وعائلة عُقبة بن نافع الفهري، الّذين اِستقرّوا بإقليم توات، وبعدها اِنتقلت إلى

[358] - ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989، ص 225-226.

[359] - مختار العبادي: المرجع نفسه، ص 47.

[360] - إسماعيل سامعي: دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994م، ص 18.

بلاد السودان الغربي، فكان لها دور كبير في تعريب سكان جنوب المغرب الصحراوي خاصّة توات[361].

كما كان للقبائل العربيّة دور فعّال في نشر الإسلام واللّغة العربيّة بإقليم توات عن طريق تداخل وانصهار الأجناس العِرقية بواسطة الزّواج، وهذا ما خدم العربية والإسلام في جنوب الصحراوي للمغرب وبلاد السودان عامّة وإقليم توات خاصّة، وتشير المصادر التاريخيّة إلى هجرة الكثير من القبائل العربيّة الشماليّة نحو إقليم توات، وأهمّها:

قبيلة كنتة الّتي كان لها الأثر الكبير في نشر الإسلام[362].

ولقد لعبت الزوايا كذلك دورًا لا مثيل له في نشر اللّغة العربيّة نظرًا لكثرة عددها، والّتي أنشأها رجال الطّرق الصوفيّة والفُقهاء.

كما اِشتهر عُلماء توات، ورجالها ببنائهم للزوايا متعدّدة الخدمات والمهام من عبادة وتربية للأولاد، وهذا ما عجّل في انتشار الإسلام واللّغة العربيّة، ويوجد داخل هذه الزوايا كتاتيب قرآنية تُلقّنُ للأولاد الصّغار مبادئ اللّغة العربيّة وتحفيظ القرآن الكريم.

3- علاقة المُسلمين باليهود بإقليم توات:

يُعْرَفُ تاريخيا أنّ اليهود اِحترفوا التجارة منذ العُصور القديمة، ويذكر المؤرّخ المغربي حسن الوزّان أنّ عددًا من اليهود نزلوا بعد طردهم من بلاد الأندلس وصقلية في مناطق جنوب المغرب الإسلامي، خاصّة في منطقتي القورارة وتوات حيث كانت القورارة آنذاك مفترق الطّرق التجاريّة بين مُدُن فاس و تلمسان والصّحراء، فأصبح اليهود أثرياء فيها

[361] - عباس عبد الله: المرجع السابق، ص 71.

[362] - محمد بن مبارك: المصدر السابق، ص 02.

بفضل الوساطة التجارية الّتي كانوا يقومون بها مع مُختلف التجّار القادمين من الشمال والجنوب[363].

كما كانت تعيش في حاضرة المغرب الأوسط، وفي بعض مدنه الأخرى، وفي أقصى الجنوب منه، كإقليم توات نازلة يهودية، يرجع وُجودها إلى ما قبل الفتح الإسلامي، وقد اِزداد عددهم في عهد الزيانيين بتروح عدد من اليهود اللاّجئين والفارّين من الاِضطهاد والمسيحي بالأندلس.

ولقد كان لهم دور جلّي في النشاطات الاقتصادية بإقليم توات لأنّهم أدخلوا لهذه المنطقة أنواعًا من الصناعات، كصياغة الحُليّ من الذّهب والفضّة داخل القصور التواتيّة، حيث كانوا يشترون الذّهب الخام من القوافل التجاريّة القادمة من أسواق السودان، ثمّ يقومون بصناعتها على شكل أنواع مُختلفة من الحليّ ليتمّ بيعها داخل الأسواق التواتيّة للسكّان من جهة ولتجّار الشمال من جهة أخرى، ممّا جعلهم يكسبون من وراء ذلك أرباحًا طائلة وثروة ضخمة، زادتهم قوّة ونفوذا داخل إقليم توات، وهذا ما أثار تخوّفات عُلمائهم الّذين أعلنوا رفضهم لليهود والوقوف في وجه نفوذهم المتزايد[364]، الّذي كان يشكّل خطرًا على كيان المسلمين، وهذا ما أشار إليه حسن الوزّان في كتابه "وصف إفريقية" :".... كان بعض اليهود الأغنياء يُقيمون بتيقورارين ثمّ تدخّل أحد فُقهاء تلمسان، المغيلي فأدّى ذلك إلى نهب أموالهم وتقتيل بعضهم من طرف السكّان، حدث ذلك في العام الّذي طرد الملك الكاثوليكي اليهود من إسبانيا وصقليّة..."[365].

---

[363] - حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص 436.

[364] - عباس عبد الله: المرجع السابق، ص 77.

[365] - حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 133-134.

وقد بعث سُلطان بورنو سنة (ت 844هـ-1440م)، إلى عُلماء توات يشتكي لهم فيها من حال بلاده، الّتي لم يعُدْ يقصدها الكثير من التجّارة، كما كانوا يفعلون سابقًا، أي الفترة الّتي اِزدهرت فيها التجارة بين السودان الغربي وشمال إفريقيا، بسبب سيطرة الجالية اليهودية على مرافق التجارة في توات، هذا ما دفع بالتوارق الّذين تقع بلادهم بين توات وبورنو إلى قطع الطريق أمام القوافل التجاريّة الّتي تمرّ على أراضيهم[366]، ممّا أثّر كثيرًا على التبادل التجاري بين إقليم توات وبلاد السودان الغربي[367].

و لم يكتف اليهود بالسيطرة على التجارة، بل وصلت بهم الجراءة إلى بناء بيعٍ ذات مساحات كبيرة، فهذا ما أثار غضب محمد بن عبد الكريم المغيلي فَدَعَى إلى مُحاربتهم، فاِجتمع حوله النّاس، حيث عملوا على طرد اليهود وهدم عددًا من بِيَعِهِمْ بتوات ونواحيها[368].

وهذا بسبب ما رآه المغيلي في اليهود من تجاوزهم للحدود الشرعية واستغلاء على المسلمين، ولقد تمرّدَ اليهود في توات على كلّ ما يلزم أهل الذمّة من الجزية والصغار، مثل إحداث الكنائس والبيع، وتعليم أولادهم القرآن وتحريفه، والتشبّه بالمسلمين، ورمي النّجاسات في طريقهم، و لم يحترموا شروط أهل الذمّة، بل تمرَّدُوا على الأحكام الشرعيّة، والواقع أنّ غاية المغيلي في يهود توات هي الإصلاح[369].

---

[366] - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية و التأثير الأوروبي، ص 28.

[367] - عباس عبد الله: المرجع السابق، ص 78.

[368] - عبد القادر زبادية: المرجع نفسه، ص 154.

[369] - Echalier : op.cit, p.16.

ثانيا: نازلة يهود توات:

لما دخل المغيلي إلى توات سنة (870هـ - 1465م)، وجد الشيخ(يحيى بن يدير) هو القاضي الشرعي بالمنطقة وأبرز وجه علمي بها، فأخذ عنه العلم مدة من الزمن ثم دخل إلى أولاد سعيد.ورجع إلى تمنتيط بعد وفاة شيخه،فوجد القبائل التواتية قد عينت في خطة القضاء (عبد الله بن أبي بكر العصنوني. وكان المغيلي قد لاحظ في حياة شيخه،نفوذ اليهود التجاري واشتغالهم بأغلب الحرف المربحة كصياغة الذهب والفضة،و لم يعجبه الاستعلاء الذي كانت عليه الجالية اليهودية بتوات، وكان اليهود يدخلون القتال الذي يكون بين القبائل التواتية،كما أنهم ملكوا الرقيق الذي ثبت إسلامهم.و لم تكن لهم علامة تميّزهم عن بقية السكان المسلمين،بالإضافة إلى أنهم لم يلتزموا بأحكام أهل الذمة.فقد كانوا يَرْكَبُونَ بين المسلمين وتجارتهم ضايقت تجارة المسلمين [370]. وكان السّبب الذي أدّى إلى إختلاف العلماء هو:هل تهدم كنائس يهود توات أم لا؟

وقد قسم الفقهاء أرض الإسلام إلى ثلاثة أصناف أرض الصلح وأرض العنوة ،وأرض مختّطة.وخلاصة أقوال المالكية في إحداث كنيسة للذّميين في أرض الإسلام هي قول ابن القاسم أن تترك القديمة في العنوية،ويمنع الإحداث في المختطة والعنوية إلا مع الإعطاء.أما الرأي الثاني فهو قول غيره،وهو يماثل قول ابن قاسم. إلا أن أصحاب هذا الرأي لا يشترطون في الأحداث في العنوية الإعطاء.والرأي الثالث لعبد المالك [371]الذي قال :"تهدم القديمة ويمنع الإحداث في المختطة والعنوية مطلقا أعطوه أو لم يعطوه ".[372]

---

[370]- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص107.

[371] - عبد المالك بن حبيب القرطبي الأندلسي ،توفي عام 232هـ - 846م ، أنظر:أحمد الونشريسي ،المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء الأندلس والمغرب،تح: جماعة من علماء تحت إشراف محمد حجي، ج2، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 981 ،ص 245.

[372] - نفس المصدر، ص 246.

وقد أدرج قاضي توات عبد الله العصنوني مسألة يهود توات،في قسم البلد الـــذي اختطه المسلمون،حيث قال:"إن معنى الاختطاط عندي البناء والتأسيس . وشرط المـــأمور به أن يكون واجبا بالإجماع، وشرط التّغيير أن يكون المنهي عنـــه محرمـــا بالإجمـــاع، والصّواب عندي تقريرها إتباعا لقول الغير تجري العمل به في كثير من مدن المغـــرب ."[373]ويبين العصنوني أنّ يهود توات في غاية الذلة والصغار ، كمـــا أن كنيســـتهم بـــين ديارهم لا تلاصق دار أي مسلم.

1- أراء العلماء التي أقرّت بِيَعْ يهود توات:

بالإضافة إلى رأي العصنوني السابق، أفتى بتقرير كنائس يهود توات الشيخ ابن زكري التلمساني، الذي رأى بأن المحققين في المذهب المالكي لا يقولون بهدم هـــذه الكنـــائس . ورأى ابن زكري حول هذه القضية أن الذميين المذكورين :"لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حيث نزلوا فيه لساغ لهم ذلك، ولا يسوغ منعهم علـــى أي وجـــه فرضت من اختطاط أو إحياء إذ هم أهل الذمة ."وان زكري بعد هذا يدرج آراء عـــدد من فقهاء المالكية خاصة ابن القاسم، الذي لا يقر بالكنائس إلا إذا كانـــت داخلـــة في شروط عقد الذّمة،وكذلك آراء غير الذين أفتوا بأن لأهل الذمة الحق في اتخـــاذ مكـــان للعبادة في أرض العنوة إذا أقروا فيها، قال ابن زكري :"وظاهر قوليهما أن القديم يترك."[374]

---

[373] - الونشريسي: المصدر السابق ،ص:215.

[374] - الونشريسي: المصدر السابق ،ج2، ص211.

ودُعِمَ رأي العصنوني وابن كثير بفتوى الشيخ أبي زكريا بن أبي البركـــات [375] الذي رأى بأن تلك الكنائس لا تهدم قال: " لإن درء المفاسد أولى من جلـــب المصـــالح ولاسيما إذا بدت لذلك أمارات وقامت عليه دلالات تقضي تحريم الخوض في ذلك،كما هو المقرر في تغيير المنكر إذا كان مؤديا إلى المنكر أعظم منه ، ولو كان المنكر الذي أريد تغييره مجمعا عليه".

و بذلك بيّن بعض العلماء أنّه لا سبيل إلى هدم الكنائس ، لأنّه حرام لا يســـوغ شرعا. و قد طالب بمعاقبة و محاربة كلّ الّذين يُريدون حسب رأيهم الإفساد [376].

ويتّضح أنّهم اعتمدوا في فتواهم على شروط تغيير المنكر، وأدركوا أنّ هذه القضية ستؤدي – بدون شك – إلى الفتنة و بذلك كان رأيهم حازما، و درء المفاسد معدم على جلب المصالح [377].

2- آراء العلماء القائلة بوجوب هدم بِيَعْ يهود توات :

هناك بعض العلماء رفضوا وجود كنائس اليهود، و يتزعّم هـــذه **الآراء** المغيلـــي، حيث قال: "إنّ هدمها واجب، و لا أعلم فيها خلافا، و لا يفتي بتقريرها إلاّ دجـــال، و تهدّم و إن أدّى إلى قطع الرؤوس".

و قد يبدو رأي المغيلي على رأي فقهاء المالكيّة في ذلك، وبخاصّة رأي الونشريسي الّذي قال بوجوب هدم الكنائس [378].

2- ابن أبي البركات: يحي بن عبد الله الفقيه القاضي على الجماعة توفي عام 910 هـ - 1504م، انظر: الونشريسي،تامصدر السابق ص154.

376 - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 108.

377 - الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 231.

ويوضّح المغيلي بأنّ اليهود مطالبون بدفع الجزية ، وفي مسألة يهود توات يقــوم بمقابلة محبّة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، بعداوة اليهود، قال: "فما أكذب قوما يزعمون أنّهم يؤمنون بالنّبيّ و يحبونه، و هم مع ذلك يقربّون مــن أنفســهم و أهلــهم أعداءه". و يجب أن يلتزموا بجميع أحكام أهل الذمة، وقد كان رأي العبدوسي،[379] لّمــا سئل عن أهل الذمة إذا برزت من بعضهم إِذاية للمسلمين ممّا يكون نقضا لذمتــه، هــل يكون ذلك نقضا لذمة جميعهم أم لا ؟ فكان جوابه رحمه الله بأنّه نقض لذمة جمــيعهم و أيّد فقيه فجيج الشيخ إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي رأي المغيلي، وصبّ جام نقمتــه على سكان توات، الّذين عارَضُوا المغيلي و خاصّة القاضي الشّرعي بها، الشيخ عبــد الله العصنوني، ورأى الفجيجي أنّ موضع تلك الكنائس لا يليــق بتلــك الأرض ، وأنشــد الفجيجي أبيات شعريّة في ذلك:

أيا قــــاطني توات أصغُوا قولــي فقد آن أن أَبوُح بالبعــــض والكــلّ

أأنتم علــــى دين النــبيّ محمّــد أم القوم واليهود شكل على شــكــل

فما بــــالكم شرفتموهم عليكــم والإســلام أولــــى أن يشــرف في الأصــل

فإن كــــان هذا الرأي فغيهكــم فما الظــن بالســفيه والنــــاقص العقــل[380].

---

[378] - مبروك مقدّم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، إسهاماته في نشر الثقافة إسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9ه - 15م، دار الغرب للنشر و التوزيع، ص 72.

[379] - العبدوسي: الفقيه الشيخ الحافظ أبو عمران موسى بن محمّد بن معطي، ت(776ه - 1374م)، أنظر: الونشريسي، نفس المصدر، ص232.

[380] - محمد حجي: الصلات بين شمال المغرب الشرقي وجنوبه في العهد السعدي، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي و الحاضر، جامعة محمد الأوّل، منشورات كلية آداب و العلوم الإنسانية، وجدة، المغرب،(1986م، ص 470).

وقد ذكر فقيه فاس الإمام أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواســـي [381]، أنّ أرض توات وغيرها من قُصور الصحراء هي كلّها أراضي إسلاميّة، حيث قال: "فـــلا تنبغـــي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، و إن قال به جماعة من العلماء"[382]، ويتابع رأيه بأنّه إذا أثبت أنّ اليهود شَرطوا إقامة متعبّد لهم في شروط الجزية، تصبح الفتوى الّتي قال بهـــا العصنوني، لأنّها توافق المشهور. و قد شدّد الفقيه التنسي،[383] على عدم المسامحة لليهود بإقامة متعبّد لهم بتوات، لأنّها أرض اِختطها المسلمون، فلا خلاف في منع إقامة الكنائس بها. قال التنسي: "و سبب المنع في الجميع إنّما هو إظهار شرف الإسلام، حتّى لا يظهـــر معه غيره". قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِي عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ﴾[384] و قال أيضا: ﴿قَاتِلُوا الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُـــونَ بِاللهِ وَ بِاليَوْمِ الآخِرِ وَ لاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولَهُ وَ لاَ يُدِينُونَ دِين الحَقِّ مِنْ الّـــذينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَة عَن يَد وَ هُمْ صَاغرون ﴾، [385] و حكم الشيخ المغيلـــي على كلّ من منع هدم بيع اليهود بالكفر، فهو من أهل النّار، لأنّه رفع دين الكفر و نصره و قال المغيلي مرّة لمن يخاطبهم و هم أعداد كثيرة من سكان توات: " هذه الجنّة و هـــذه النّار، من هدمها فله الجنّة، و من حماها فله النّار و هذه محبّة رســـول الله، وهـــذه محبّـــة اليهود، فاختاروا أيّها شئتم"، و هو رأي المأخوذ عن أبي القاسم العبدوسي ويقول في ذلك بأنّ لا ذمّة لليهود بدون اِلتزامهم الكامل بشروط أهل الذمة، كما أنّ من أعـــانهم علـــى التمرّد على الأحكام الشرعيّة فهو مثلهم. وكان الفقيه الرصـــاع قـــد منـــع بنـــاء

---

381 - الماواسي: عيسى بن أحمد بن محمد البطوني، أشتهر بابن ماواس، ت عام 896ه/1490م)، انظر: الونشريسي، المصدر السابق، ص152.

382 - الونشريسي: المصدر السابق ، ص 225.

383 - التنسي الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، المزالي تلمساني، ت عام 899ه/1493م، أنظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المصدر السابق، ص40.

384 - سورة الممتحنة، الآية: 1.

385 - سورة التوبة، الآية: 29.

الكنائس في أراضي المسلمين حيث قال: "ليس للمسلمين أن يبيعوا الأراضي المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه"[386] و يذكر الونشريسي أنّ أرض توات بلاد إسلام باختطاط، و يقول: "لا تتقرّر لملاعين اليهود – أبعدهم الله – فيما كنيسة إلاّ هُــدّمت بِاتفــاق ابــن القاسم والغير"[387]. وذكر الشّافعي أنّ أهل الذمة ليس لهم أن يحدثوا في مصر من أمصار المسلمين كنيسة و لا مجتمعًا لصلاتهم. كما أنّ الحنفيّة لم يجيزُو أحداث بيعة و كنيسة في دار الإسلام. و ابن حنبل يرى بأنّه ليس لأهل الذمة إظهار أمر من أمور دينهم لم يكن في صلحهم. و كذلك الأمر بالنسبة لابن حزم[388]، على أن لا يُحدثُوا كنيسة و لا بيعــة. قال الونشريسي: "فهؤلاء علماء الإسلام مالكيّة و شافعيّة و حنفيّــة و حنبليّــة و ظاهريّة ليس عندهم إلاّ منع إحداث الكنائس، فالمسألة إجماعيّة". و الإمام مالك بن أنس تحدّث عن أرض العنوة، و بيّن أنّه لا يجوز شراؤها ولا يجوز أن تقطع لأحد و قال: "لا يعجبني أن يبيع الرّجل داره ممن يتخــذها كنيســة و لا يــؤاجر داره ممــن يتّخــذها كنيسة"[389]. وهكذا يتّضح أنّ ثلة علماء الفقه، لا يقرّون بإحداث الكنــائس في الأرض المختطة، و حتّى الذين أقرُّوا إِحداثها كان رأيهم مبني أساسا على مخافة الوقوع في الفتنة و هو اِجتهاد منهم، بحيث لم يُراع ما قد يحدثه ذلك من مفاسد على المجتمع الإسلامي.

وممّا زاد في تعقيد هذه القضية هي تصرفات يهود توات المخالفة تماما لأهل الذمة، فقد كان المغيلي مرّة في ضيافة سيدي محمد عبد الجبار[390] بقصر تاخفيفت، فمــرّت عليهم جماعة من اليهود و لم يقدموا التحيّة، ثمّ مرّ المدعو مبروك بن أحمد و رمى حفنة من

---

386 - الرصاع:الفقيه القاضي تونسي أبو عبد الله محمد، ت عام 894ه/1488م، انظر: الرّصاع، المصدر السابق، ص127.

387 - الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 232.

388 - ابن حزم: الأخلاق و السير في مداواة النفوس، شركة الشهاب الجزائر، د.ت،- ص: 05.

389 - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 112.

390 - محمد عبد الجبار هو أحد أعيان قصر تاخفيفت وأحد أنصار المغيلي، أنظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص15.

الرّمال في الواجهة الّتي كان يجلس فيها الشّيخ المغيلي. و لم يعجب هذا التّصرّف الشّـــيخ الصديق بن عبد الرّحمن، الّذي توعّد اليهود و من يناصرهم أمثال مـــبروك بـــن أحمـــد التاخفيفي. هذه الحادثة تمثل بجلاء الاستعلاء الّذي كانت عليه الجاليّة اليهوديّة بتوات، و هذه التصرّفات مخالفة تماما لأحكام أهل الذّمة. قال الإمام الغزالي: "يمنعون من ركـــوب الخيل و البغال النفيسة و لا يمنعون من الحمير، و ليكن ركابهم من الخشب، و يُمنعون من جادة الطريق و يضطرون إلى المضيق إذا لم يكن الطريق خاليا"[391]. و من أحكام أهـــل الذمة كذلك ألاّ يغشي الذمي المسلمين ولا يضرب مسلما، و أن يوقر كلّ مســـلم و لا يسب أحدا ولا يستخدمه [392]. ويقول العصنوني بخصوص الجزية الّتي كان يقدّمها يهود توات: "جمع مرّة يزيد على القدر الواجب، ومرّة ينقص ومـــرّة يســـاوي. ويُظلمـــون كثيرا"[393]، فتجارة اليهود لا تبور و قد ضايقت تجارة المسلمين، و قد ملكوا الرقيق الّذي ثبت إسلامهم، و تعدوا الحدود الشرعيّة.

ثالثا: ثورات الإمام المغيلي مع يهود توات و أسبابها:

1- ثورة المغيلي الأولى على يهود توات:

لقد بثّ الإمام المغيلي روح القتاليّة في أنصاره. قال التّنبكتي : "فنظم في تلك القضية قصائد في مدح النّبي صلّى الله عليه وسلّم وذم اليهود ومن ينصر اليهود" [394]. حيث أنّه بدأ ثورته عام(882هـ/1477م)، و تمكّن المغيلي من جمع قوات كبيرة إلى جانبه، و بالخصوص قبيلة أولاد يعقوب أكبر القبائل التواتيّة في الشطر الشرقي من الإقليم،

[391] - الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 235.

[392] - وهبة الزحيّلي: الفقه الإسلامي و أدلته، دار الفكر الجزائر و دار الفكر بدمشق، ط1، ج6، سنة 1991م، ص 451.

[393] - محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني: المصدر السابق، ص65.

[394] - محمد بن رشد: بداية المجتهد و نهاية المقتصد، ج1، دار شريفة، الجزائر 1989، ص 391.

وكذلك البرامكة وغيرهم من القبائل الأخرى المحاذية لقصر بوعلي. و يجب أن أشير أنّ مسألة الكنائس لم تكن هي السّبب الوحيد لهذه الثورة، بل توجد هناك أسباب أخرى كان لها دور كبير في اشتعال فتيلها.

- فما هي تلك الأسباب يا ترى ؟

أ- الأسباب غير المباشرة:

توجد هناك عدّة أسباب غير مباشرة دفعت بالإمام المغيلي القيام بثورة على يهود توات أهمها:

- تمكّن اليهود من الوصول إلى مناصب حسّاسة في الدّولة الإسلاميّة، حيث بلغ نفوذهم في جميع البلاد الإسلاميّة بتلمسان و فاس و الأندلس و تكورارين، خاصّة أثناء تدهور الدّولة المرينيّة، فقد قامت عامّة فاس و خاصتهم على سلطانهم، أبي محمّد عبد الحقّ بن أبي سعيد [395] بعد تقريبه لليهود و اِستبعاده لأهل الرأي، وتمكّن السّكان من إسقاط الدّولة عام (896هـ/1464م).
- تمكّن البرتغاليين من احتلال بعض السواحل ببلاد المغرب، وتراجع القوّة الإسلاميّة بالأندلس و كان هذا عام(876هـ/1471م) [396].
- الصراع الّذي كان موجود على السلطة بين أفراد العائلة الواحدة، وكذلك الضعف الداخلي الّذي كانت تعاني منه الدويلات الإسلاميّة بالمغرب.
- ضعف الجماعة التواتيّة ممثلة في شيوخ القبائل و المقاطعات، و عدم تمكّنها من تطبيق مبادئ الشريعة الإسلاميّة و أخذها بالعرف و إن خالف الشريعة.

---

[395] - أبو محمد بن أبي سعيد أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن المريني آخر سلاطين الدولة المرينية قتل عام(869هـ/146م). انظر: الونشريسي: المصدر السابق، ج2 ص132.

[396] - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 114.

- لقد كانت لشيوخ القبائل السلطات الواسعة حيث كانت بيدهم أسباب التولية والعزل فكان بإمكانهم إجبار القاضي على الإفتاء بما تمليه أهواؤهم، لأنّ عزلهم يتوقف على شهادتهم الحسنة اتجاهه. فهذه الأسباب غير المباشرة لثورة المغيلي.

ب- الأسباب المباشرة:

يوجد هناك سبب مباشر واحد دفع بالمغيلي لهذه الثورة و هو:

- حادثة اليهودي الّذي اِدّعى الإسلام و اِنتسب للمهاجرين، بحيث انّه ظلّ يُصلّي بالنّاس مدّة أربعين سنة (40 سنة) في مسجد قصر عمر بن يوسف [397]. وكان مُنافقًا و مخَادِعًا في الدّين. فقد بلغ به النّفاق وكيده للإسلام أن كان يرشُ المسجد والمصلين بالبول في صلاة الفجر، ولم يتمكّن أحد منهم من إظهار خبثه، حتّى جاء المغيلي وكشف أمر المهاجري وأدرك بأنّه ينافق ، فتمكّن المغيلي من إبراز حقيقة أمره، ففرّ المهاجري و تبعه المغيلي و قتله بالقوارة [398]. و لّما رجع المغيلي جعل يتلوا قوله عزّ وجلّ: ﴿قَاتِلُوا الّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ لاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ وَ لاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولَهُ وَلاَ يُدِنُونَ دِينِ الحَقِّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَد وَهُمْ صَاغِرُون﴾ [399]، و كما كان المغيلي يُرَدِّدُ أشعارا، يهجُو فيها اليهود بتوات، وأنصارهم من سكان البلاد المسلمين وحيث قال:

برئت للرّب الـــــــــودود من قرب أنصـــــــار اليهود

قومـــــا أهانوا ديـــنـــهـــم وأكرمُوا ديـــــــن اليهـــود

---

[397] - قصر عمر بن يوسف إحدى ضواحي تمنتيط، أنظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 115.

[398] - القرارة: قصر يوجد بقاطعة سبع. انظر: أحمد الحمدي، المرجع السّابق، ص 115.

[399] - سورة التوبة: الآية 29.

يكفـــــي الفتى من شينهـــم وخبث أصـــــل صنعـــهـــم

أن قطعـــــوا من ديـــنـــهم ورفعـــــوا دين اليهـــــــود

إلى أن يقوم: صُبَّ البـــــــلا من فوقـــهم والحق بقـــــــايا رزقهـــــم

والفتح لهم من محقـــــــــــهم بـــابـــــا إلى نار الوقـــــود

فقام أنصار المغيلي إلى بيع اليهود فهدموها، و خَرَّبوا كلّ مكان كان يتعبّد فيه اليهود في عصور توات [400]. و بذلك أصبحت توات تخضع لأنصار المغيلي، الّذي بدا بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلاميّة و ردع كلّ من تسول له نفسه الخروج عنها.

ج- نتائج ثورة المغيلي الأولى:

كانت لثورة المغيلي نتائج عديدة على المستويين القريب و البعيد، نتطرق في البداية إلى النتائج الّتي حقّقتها هذه الثورة على المستوى القريب:

- القيام بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلاميّة و ذلك بإعطاء الأولويّة لأحكام القضاة والعلماء، و تمّ تشجيع أدعياء العلم، بحيث قال المغيلي: "من أبين علامات علماء السُوء أنّهم لا يصلحون و لا يتركون من يُصلح، فمثلهم كمثل الصّخرة في باب النّهر، لا تشرب و لا تترك من يشرب" [401].

[400] - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 150.

[401] - المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص 31.

- سحب جميع السلطات من رؤساء القبائل خاصّة الذين ناصُروا اليهود، فالمغيلي أدرك بأنّ رؤساء القبائل هم من يشكلون العقبة أما تطبيق أي نظام خاصّة إذا خالف هواهم[402].
- انتقال عاصمة توات من تمنتيط إلى الناحية الشرقيّة من الإقليم، و أصبحت بوعلي هي عاصمة الإقليم توات، بحيث تضم زاوية المغيلي الّتي كانت مركز كلّ هذا التغيير.
- تكفير أنصار اليهود، فقد حكم المغيلي بكفر كلّ من ناصر يهود توات، و بذلك تسبى ذرا ريهم و نساؤهم.
- أصبح لإقليم توات قاض في الجهة الشرقيّة هو الشّيخ المغيلي، و قاض آخر في الجهة الغربيّة هو الشّيخ عبد الله العصنوني، و كانا يحكمان في المسألة الواحدة و حُكم كلّ منهما مغاير لحكم الآخر.
- إجلاء اليهود جميعا من أرض توات و طردهم إلى مختلف الجهات الأخرى.
- تأسيس جهاز شرطة لحماية النظام بالإقليم التواتي، و كان يرأس هذا الجهاز عبد الجبار بن المغيلي. وجهاز الشرطة هذا كانت له فروع في مختلف القصور التواتية الخاضعة لنفوذ المغيلي، وغيرها من القصور الواقعة في غرب الإقليم. و قد لقي هذا الجهاز رضى الأغلبيّة من سكان توات، فقد كان عبد الجبار بن المغيلي من الذين عُرفوا بالاستقامة والتقوى فكان يناديه عبد الله العصنوني دائما بـــ "سيدي عبد الجبار" [403].

[402] - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 116.

[403] - الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 216.

وإذا كانت هذه النتائج الّتي أسفرت عنها ثورة المغيلي الأولى على يهود توات على المستوى القريب، فما هي نتائج هذه الثورة على المستوى البعيد ؟ نتج عن هذه الثورة العديد من الأشياء الّتي كانت لها الأثر البالغ بإقليم توات أهمها:

– الأزمة الاقتصاديّة الّتي تعرضت لها المنطقة بعد إجلاء اليهود منها، فقد كانُوا المحرك الحقيقي لعصب التجارة، مع بلاد السودان الغربي، و غيرها من المناطق في الشمال. كما تعطلت العديد من الصنائع بتوات، فاليهود كانُوا يسيطرون على أغلب الحرف بالإقليم [404]. و قد كان دور الدّولة الوطاسية في هذه الأزمة كبيرا، فقد عملت على نشر دعاية مفادها أنّ توات لم تعد منطقة آمنة. ممّا اضطر التجار إلى تجنب طريق توات عند مرورهم إلى بلاد السودان. هذا الوضع أدخل سكان المنطقة في مشاكل عديدة، فقد انتشرت الأوبئة و الأمراض. و في هذه الظروف يسافر المغيلي إلى فاس لشرح رأيه حول يهود توات، و ليبيّن للسلطان محمّد الشيخ الوطاسي [405] أنّ إجلاء اليهود ثمّ بناء على رأي أغلبيّة العلماء. و ليوضح كذلك لعلماء فاس بأنّ أرض توات أرض إسلاميّة، لا يجوز إحداث البيع و الكنائس فيها، غير أنّ رحلة المغيلي إلى فاس فشلت، بسبب اتهامه من طرف علماء فاس بأنّه يريد المُلك، و رغم محاولات المغيلي العديدة لتوضيح رأيه إلاّ أنّه لم يجد آذانا صاغية. فقرّر العودة إلى توات بعدما يئس من السلطان الوطاسي، الّذي كانت تُحيط به بطانة من علماء السوء [406].

– كون المغيلي لم يتمكّن من السيطرة على تمنتيط رغم إجلاء اليهود منها، فهي عاصمة الإقليم سابقا و بها جميع المرافق و الصنائع، و بها عددٌ كبير من النّاس لم يشاركُوا بفعالية

---

[404] - محمد الطيب بن عبد الرحيم: المصدر السابق ، ص 14.

[405] - ابن أبي زكريا : بويع له في 16 ذي القعدة عام (875هـ/1470م) وبه قامت دولة الوطاسيين و توفي في ليلة 27 رمضان (910هـ/1504م)، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 117.

[406] - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 150.

في مرحلة البناء الجديد، الّذي تمر به المنطقة لعدم اقتناعهم برأي المغيلي. بل عمل الكثير منهم على عكس ذلك من خلال بثّ الوشايات بين مختلف القبائل خاصّة الخاضعة لسلطة المغيلي، لزعزعة صفة و انتشار الفتنة بين مختلف فصائله [407].

– بعد فشل رحلة المغيلي إلى فاس و عودته منها، أسّس المغيلي إمارة توات، و قد قامت هذه الإمارة على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلاميّة.

وبعد كلّ هذا يسافر المغيلي إلى بلاد التكرور للدّعوة و الإصلاح، و ترك لإبنه عبد الجبار إرثا ثقيلا يتمثل في إدارة شؤون إمارة حديثة النشأة، عليها مواجهة تحديات داخليّة وأخرى خارجيّة. و يمرّ المغيلي بكانو فينصح لسلطانها، ثم يشُد الرحال إلى كاغو، و يتولى منصب مستشار سلطانها. و بعد فترة بكاغو يسمع المغيلي بمقتل ابنه عبد الجبار بتوات [408]، فيسافر إلى الحجّ و منه إلى توات. أين باشر إعداد العدّة لإجلاء اليهود الّذين عادُوا إلى إقليم توات بكثرة، بعدما وجدوا الحماية اللاّزمة من أنصارهم [409].

2– ثورة المغيلي الثانية على يهود توات:

قام المغيلي بالتعبئة العامّة بعد وصوله إلى توات مباشرة، فتفقّد أحوال أنصاره والموالين له، و ظلّ يبيّن خطر اليهود و كلّ من يناصرهم، قال الله تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاس عَدَاوَة لِلَذِينَ آمَنُوا اليَهُود وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا" [410]. وقال جلّ شأنه: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَ دِين الحَقّ لِيَظَهَرَهُ عَلَى الدِّين كُلّه" [411]. و استمر المغيلي من حث النّاس

---

407 - احمد الحمدي: المرجع السابق، ص 117.

408 - احمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 557.

409 - أحمد بابا التنبكتي: نفس المصدر، ص 577.

410 - سورة المائدة: الآية 81.

411 - سورة الفتح: الآية 28.

على الجهاد، وتبيان قيمة الشهادة في سبيل الله. لكن ما هي الأسباب الحقيقيّة لثورة المغيلي الثانية على اليهود (يهود توات) ؟

أ- الأسباب غير المباشرة:

لهذه الثورة أسباب عديدة غير مباشرة أهمها:

- محاولة المغيلي تعزيز نصره العسكري الأوّل بنصر آخر يدعم أنصاره و يثبت قواعد الإمارة.

- تعاظم نفوذ أنصار اليهود بعد تشكيل حلف بين أولاد علي بن موسى و أولاد ملوك [412] و أولاد الحاج [413]. و هم أشدّ القبائل التواتية بأسا قال التمنتيطي معلّقا على انضمام أولاد ملوك و أولا الحاج لأولاد علي بن موسى: "بانضمامهم إليهم يستوي الفارس على الجواد و سلّ سيفه من الأغماد [414].

- عودة اليهود إلى توات بشكل كبير و إعطائهم تفويضا لقبيلة أولاد نسلام [415] اليهوديّة للتحدث باسمهم و المدافعة عن حقوقهم، و تمكّنوا من تكوين فرقة عسكرية تقوم بالنّهب و السّلب بتوات، فقد قامت هذه الفرقة بنهب أموال ذريّة العالم أبي يحي المنياري، و تمكّنوا من قتل العديد من أحفاده، و كان ذلك سنة 896هـ/1490م [416].

ب- الأسباب المباشرة:

412 - أولاد ملوك: قبيلة عربية تسكن بودة و تنقسم إلى أولاد شبل و أولاد غانم، انظر: محمد الطيب بن عبد الرحيم، ص 26.

413 - أولاد الحاج: من عرب ثقيف تسكن شرق تمنتيط، انظر: محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 26.

414 - نفس المصدر: نفس الصفحة.

415 - أولاد نسلام: إحدى أكبر القبائل اليهودية المهاجرة بتوات، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 119.

416 - محمد الطيب بن عبد الرحيم: المصدر السابق، ص 28.

هناك سبب واحد مباشر هو: قتل عبد الجبار المغيلي بتوات، و هذه الحادثة تبيّن بوضوح بأنّ نظام الشرطة الّذي أسّسه المغيلي لم يكن ناجحا بالقدر الّذي كان يتصوّره، لأنّ القبائل التواتيّة لم تكن لترضى بأن يكون هناك جهاز يتحكّم داخل نفوذها، خاصّة القبائل الّتي عارضت المغيلي في ثورته فمن قتل عبد الجبار المغيلي ؟ تتضارب الآراء حول هذه المسألة فالتمنتيطي يرى بأنّ الأتراك هم من قتلوا عبد الجبّار [417]. و هذا الرّأي ضعيف، فمتى كانت للأتراك صلة بتوات حتّى يقدموا على هذا العمل الشنيع ؟ بل ما فائدتهم من ذلك ؟ بينما يرى التنبكتي بأنّ اليهود هم من قتلوا عبد الجبار حيث قال: "و بلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود [418] و في اعتقادي بأنّ اليهود أجبن من أن يفعلوا ذلك، فقد يكونوا متورّطين في الحادثة بطريق أو بأخرى لكنّهم لا يجرؤون على قتل عبد الجبّار الّذي كان مُحاطا بالعديد من أنصاره، و قد يُفْهَم من قول التّنبكتي: " من جهة اليهود" أنّه يقصد أنصار اليهود من سكّان توات، فجهة اليهود تضمّ العديد من سكّان توات خاصّة الجهة الغربية منها، و ممّا يؤكّد بأنّ أنصار اليهود هم من قتلوا عبد الجبّار العديد من الوقائع أهمها:

- طلب المغيلي من السّلطان الأسقيا محمد الحاج [419] القبض على كلّ أهل توات بكَاغُو فتمّ القبض عليهم ثمّ تراجع المغيلي عن رأيه، بعد إنكار الشيخ أبي المحاسن محمود بن عمر [420] مُسْتدلاّ بقوله تعالى: " وَ لاَ تَزِرُوا وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى".

---

[417] - يحكي التمنتيطي قصة مفادها: أنّ اليهود الذين فروا من تمنتيط و قصدوا طرابلس اشتكوا للباي و ادعوا أنّهم أهل ذمة و ظلموا فبعث ولده في حملة عسكرية و عشرة من العلماء سنة 890 ه فلما طاف بتوات، أظهر لهم ولد الشيخ عبد الكريم المغيلي الرياسة فقتلوه "أنظر: التّنبكتي، كفاية المحتاج، ص 577.

[418] - التنبكتي: نفس المصدر،نفس الصفحة.

[419] - الأسقيا محمد الحاج: استولى على عرض سينغاي، عام (899 ه/1493م) و قد عُرف بحصره على العدالة و ارتبطت مملكته أثناء حكمه بعلاقات التجارية واسعة مع البلاد الإسلاميّة، انظر: عبد القادر زبايدية، المرجع السابق، ص ص 155-156.

[420] - أبو المحاسن محمود بن عمر: من أهل التكرورو أحد العلماء الذين نالوا حُظوة عند الأسقيا، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 119.

- قيام أنصار اليهود بتوات بحملة دعائية ضدّ المغيلي، مفادُها أنّه يُريد العلوّ و الفساد في الأرض [421].
- تضرّر سكان توات من ثورة المغيلي الأولى على اليهود من خلال نقص الأرزاق، فقد عانت المنطقة خلال عهد الإمارة العديد من المشاكل الاقتصاديّة بسبب تجنب تجّار الشمال المرور بتوات عند رحلتهم إلى بلاد السّودان الغربي.
- الدّعم الّذي كانت تعطيه الدّولة الوطّاسية لأعداء وخصوم المغيلي، من خلال مَدّهم بالأسلحة و المؤونة [422].

بعد كلّ هذا قام المغيلي بجمع أنصاره سنة(902هـ/1496م)، و قال لهم: "من قتل يهوديا فلَهُ عليَّا سبع مثاقيل"[423] و توجّه إلى تمنتيط، فبرز له الشيخ عمر بن عبد الرّحمان زعيم قبيلة أولاد علي بن موسى بجيشه الّذي كان يقوده ابنه علي [424] و التقى الجمعان بالقرب من قصر أولاد إسماعيل حيث وقعت بين الفريقين حرب عظيمة مات خلالها خلق كثير من الطّرفين، و لم يتمكّن أيّ طرف من إحراز النّصر النّهائيّ.

وعندما لم يتمكّن المغيلي من إجلاء اليهود من توات للمرّة الثّانية و القضاء على أنصارهم، عاد إلى وادي البرامكة، أين توجد زاويته و ظلّ بها حتّى وفاته عام 909هـ/1503م، وممّا يبيّن أنّ الدّولة الوطّاسية كان لها دور كبير في مجرى الأحداث، هو تعيين الشيخ عمر بن عبد الرّحمان نقيبا على توات عام 903هـ/1497م، و بذلك من خلال معارضته للمغيلي في ثورته[425]. و من هذه الحادثة يمكن أن نستنتج بأنّ قتل عبد

---

[421] - أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 120.

[422] - بودواية مبخوث: أعلام السودان الغربي بين القرنين التاسع و العاشر الهجريين، العدد 6، جامعة تلمسان، جويلية 2005م، ص 177.

[423] - أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج، ص 577.

[424] - هو الذي سيحكم توات عام(951 هـ/1544م)، و أنفق مالا كثيرا في إصلاح تمنتيط، انظر: نفس المصدر، نفس الصفحة.

[425] - أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الجبّار بن المغيلي قد تمّ بمؤامرة ثلاثية الدولة الوطّاسية بدعمها لأنصار اليهود، و اليهود الّذين قاموا بالتخطيط للعملية بطريقة لا يمكن لأحد معرفة الشّخص الّذي قتل عبد الجبّار بن المغيلي. تمّ و أخيرا أنصار اليهود الّذين قاموا بتنفيذ العملية، لأنهم هم الطّرف الوحيد الّذي يمكنه الوصول إلى الضحيّة، و هكذا يتّضح ممّا سبق أنّ الجماعة التّواتية، رغم المشاكل الّتي كانت بينها، كانت قادرة على حلّ كلّ خلافاتها، و هذا يبدوا واضحا من خلال مراسلة علماء الأفاق حول مسألة اليهود، لكن هذه الجماعة كانت تتزعزع بمجرّد وجود طرف خارجي، لأنّ هذا الطّرف كان يُراعي مصالحه بالدّرجة الأولى، و هذا ما حدث بالفعل في زمن المغيلي، فرغم الاختلاف في الآراء حول المسألة الواحدة، إلاّ أنّ البناء العام للجماعة التواتية تمّت المحافظة عليه، و كلّ ما كانت تتدخّل أي دولة فإنّها كانت تعمل على تسميم الأجواء، كما هو الحال بالنّسبة للدّولة الوطّاسية، الّتي كان غرضها هو مساعدة الشيخ محمد بن عبد الرّحمان، هو تأمين طريق القوافل التّجارية لبلاد السّودان، و لم يكن يهمّها مُطلقا مصالح سكان توات لأنّها شاركت بفعالية في الحصار الّذي تعرّضت له المنطقة بعد ثورة المغيلي الأولى على يهود توات كما تمّ توضيح ذلك من قبل[426].

رابعا: رحلاتـــــه:

1- رحلته إلى فاس:

رأى المغيلي أن يناظر علماء فاس[427] المعارضين له في مسألة اليهود ليُقنِعَهم برأيه مُشافهة بعد أن يقنعهم كتابة، و جاءت أكثر ردودهم معارضة لرأيه، فأصرَّ على مناظرتهم

[426] - احمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص578.

[427] - محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، م1، ط1422/1ه/2001م، ص 370.

وجها لوجه فجاءهم من توات، و معه مماليكه الخمسة الّذي يُقال إنّهم كانوا يحفظون المدونة و تلقاه العلماء خارج مدينة فاس بمظاهر الإكرام و الإجلال، غير أنّه بادرهم بفتح المناظرة طالبا من أحد مماليكه الفقيه ميمون أن يُكلّمهم في نازلة اليهود فأنِف العلماء من الكلام مع المملوك، و رجعوا إلى ديارهم مُغاضبين [428].

و لم تنتج بعد ذلك ملاقاة المغيلي بسلطان فاس: محمد السيخ الوطّاس بسبب وشاية العلماء به و تحذيرهم إيّاه منه حين دخل عليه و تكلّم معه على نصرة الدّين، و في مسألة اليهود، فأجابه السّلطان بأنّه يتعدّى على هذه الدّيار، و عليه قصد غيرها. فخرج المغيلي من عنده غضبان أسفا فتوجّه إلى بلاد السّودان الغربي ينشر مبادئه و أفكاره [429].

2- رحلته إلى السّودان الغربي:

لقد كانت الغاية من رحلات الإمام المغيلي هو البحث عن أرض خصبة يزرع فيها فكرته المنشودة فتُنجب له، و للأمة الإسلاميّة الأمير الصّالح [430].

و قد كان للجزائر و إقليم توات بالخصوص علاقة تجارية و ثقافية تتجسّد في تنقل بعض علماء الجزائر إلى غرب إفريقيا السّوداء، و كثيرا ما كانت شهرة علماء الجزائر تسبقهم إليها.

وكذلك كان بالنّسبة الإمام المغيلي، حيث هاجر إلى بلاد السّودان الغربي فوجد أنّ فطرتهم أسلم من فطرة أمراء الغرب، و أنّ استعدادهم لتقبل الدّعوة في الإصلاح أقوى

---

[428] - إسماعيل ميقا: الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من القرن 5م إلى القرن 12هـ، د.ت، مكتبة الثورة، ص 117-118.

[429] - سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 47.

[430] - مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9هـ/15م، ص47.

من استعداد أمراء بلاده، فتوجّه إليهم بنشر مبادئه و أفكاره الإصلاحيّة، و يفتي الأمراء هناك بما يتماشى منهج الإسلام الصّحيح و تصوّره لنظم الدّولة الإسلامية [431].

حيث اتّجه المغيلي إلى بلده تكدة و اجتمع بحاكمها، و مكث مع أهلها مدّة من الزّمن و نشر العلم بين أهلها، و بنى مسجدا في قرية أباتول شمال شرق أجاديس، حيث أخذ يُدرّس أهالي المنطقة، و من الّذين حضروا دُرُوسه الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التّازختي [432].

ثمّ انتقل المغيلي بعد ذلك إلى كانو، حيث اتّصل بأميرها محمد يعقوب و كتب له رسالة سمّاها "تاج الدّين فيما يجب على الملوك و السّلاطين"، أرشد فيها إلى التزام الجادّة الإسلامية في حكمه فاتّخذه مستشارا له و ولاه القضاء، و بدأ ينشر المفاهيم الإسلاميّة الصّحيحة و يعمل على تثبيتها في نفوس الأهالي فغادر كانو إلى كشنا و منها إلى مملكة سنغاي فوصل عاصمتها و التقى بحاكمها الحاج محمد الأسقيا الكبير، فرحّب به و جعله مستشارا له. و بهذا داع صيته في كلّ أنحاء السّودان [433].

خامسا: أثر المغيلي الفكري والديني في إقليم توات M

يُرْجع البعض أنّ كلمة توات من أصل تَكْرُورِي و تعني وجع الرّجل [434].

---

[431] - بُودواية مبخوث: المقال السابق، ص 179.

[432] - عمّار هلال: الطرق الصّوفيّة و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السّمراء، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، ص 74.

[433] - الصّديق حاج أحمد: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ/14 هـ (17م/20م)، ص 155.

[434] - عبد الرّحمان السعدي: تاريخ السّودان، ص 07.

و يُرْجع البعض الآخر على أنّها اسم لِأحد البطون المنحدرة من قبيلة المُلثمين سكان الصّحراء، و الملثّمون هم قبائل الصّحراء بالجنوب عُرفوا بهذا الاسم لأنّهم يتلثّمون أزرق و منهم طوائف الطّوارق و لمتونة و توات [435].

وهناك رأي آخر مفادُه أنّ اسم توات جاء من الإتاوات الّتي كانت تُدْفع إلى الموحّدين بدءا من عام 518هـ/1124م.

يقع إقليم توات الّذي يضُمُّ: أدرار، تيميمون، و عين صالح في جنوب غرب الصّحراء الجزائريّة، و يضمُّ الإقليم عددا من الواحات و القرى و القصور على شكل هلال و تُعدُّ توات قاعدة للانطلاق إلى بلاد السّودان و يحدُّ توات من النّاحية الشماليّة العرق الغربي الكبير ومنطقة تِيكُورارين و كذلك وادي السّاورة و عرق الرّاوي [436].

وكانت مدينة تمنطيط [437] عاصمة لإقليم توات حيث كانت تمتاز بانتشار عمرانها وكثرة سُكّانها و مركزها العلمي و الدّيني.

و لقد شهد المغرب الأوسط غُداة القرن 9هـ نشاطا فكريا كبيرا و من بين العلماء الّذين ساهموا بقسط وافر في تطوّر الحركة العلمية و الفكرية محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث اخْتطّ من تمنطيط مركزا لنشاطه الفكري و منطلقا لنشر الإسلام و تصحيح العقيدة الإسلامية في مناطق عديدة من السّودان الغربي [438].

وقد أسّس زاويته القادرية بتمنطيط، فكان لها صدى عبر مناطق السّودان الغربي و لقد رأى المغيلي مع يهود توات تجاوزا للحدود الدّينية و استعلاءا على المسلمين حتّى

---

[435] - محمد الرّصاع: المصدر السابق، ص 127.

[436] - بودواية مبخوث: المقال السابق، ص 179.

[437] - J. despois – R.Raynal, géographie de l'Afrique du nord ouest Paris, payot 1967, p 115.

[438] - P.Devors, le Touat étude Géographique et médicale, archives de l'Institut Pasteur T.X.XV n° 3 – 4 Septembre, Décembre, Alger 1974, p 224.

أنّهم أكثروا من التعدّي و الطّغيان و التّمرّد على الأحكام بتوليه أرباب الشرك [439] كما لاحظ تساهُلا وتسامحا من قبل المسلمين مع اليهود [440] حتّى كان الواحد منهم يُقرّبهم من نفسه و عياله أو يستعملهم في أعماله مع أنّه لا دين لهم و لا مروءة [441]، و رأى تدهورا أخلاقيا كبيرا للمسلمين، ممّا ساعد اليهود التّدخّل في إدارة دواليب السّلطة، و بثّ نفوذهم في كلّ مكان له حيوية ونشاط.

حيث قاموا ببناء الكنائس و البيع و استعلائهم بذلك على الإسلام و المسلمين، وقد رفض رفضا قاطعا هذا السّلوك، فلقي معارضة أدبية من قبل بعض العلماء ، و بعد مناظرات ومناقشات مع علماء تلمسان و تونس و فاس و استطاع تهديم بِيَعِهم و ألحق بهم الذّل والهوان، و طهّر توات و تمنطيط نهائيا من اليهود، و لقد كان للمغيلي أثر بارز في إقليم توات إذ يعدّ من بين العلماء الذّين أثروا الحركة العلمية و الدّينية بالإقليم فقد كانت للمغيلي حلقات علميّة كثيرة بمساجد توات و منطقة السّودان الغربي [442].

[439] - بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط و السّودان الغربي في عهد دولة بني زيان، ص 170.

[440] - بودواية مبخوث: دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الإسلامية بالسودان الغربي (15-16م)، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، العدد 1، غرداية، ديسمبر 2006م ص 10.

[441] - فوزي سعد الله: يهود الجزائر، دار الأمّة، الجزائر 1996م، ص 39.

[442] - عبد القادر زمامة: كلمات من المغرب الأقصى، مجلة المجتمع العربي بدمشق، المجلد 40 أفريل 1965م، ج2، ص 428.

الفصل الثالث

التأثيرات الفكرية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي والدور الفكري للإمام المغيلي

أولا: التأثيرات الفكرية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي:

1- تأثير العلماء والفقهاء

2- تأثير التجار المسلمين

3- تأثير قبائل إقليم توات

4- تأثير الطرق الصوفية والمتصوفين

5- تأثير الزوايا

ثانيا: أهم العادات السيئة :

1-الغزو بلا وازع شرعي

2 -اختلاط الرجال بالنساء

3 -السحر

ثالثا: دور المغيلي بكانو:

1-إحسان نية الإمارة

2 -إحسان الهيئة

3 -ترتيب المملكة

4 -الحذر في الحضر والسفر

5 -العدل في الأحكام السلطانية

6- جباية الأموال من وجوه الحلال

رابعا: أجوبته على سلطان كاغو:

1-السلطان راعي لا مالك

2-إبعاد علماء السوء عن السلطان ومصالح الناس

3-تقريب أهل الذكر

4-اتخاذ المحتسب

خامسا: مملكة سنغاي

أولا: التأثيرات الفكريّة لإقليم توات في بلاد السودان الغربي:

1. تأثير العُلماء والفُقهاء:

كان عُلماء منطقة توات يتميّزون بعدم الإستقرار في مكان واحد، وأنّ جِهادهم السلمي في الدّعوة إلى الإسلام، ونشر تعاليمه كان العامل الرّئيسي في فتح قلوب الأفارقة الوثنيين على الإسلام، ودُخولهم فيه وذكر صاحب كتاب "تعريف الخلف"[1]، أسماء أكثر من من عشرين عالم من أهل الصلاح والفقه، وكان دورهم كبيرًا منذ تأسيس مدينة تمبكتو في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، (ت 5هـ - 11م) الّتي أصبحت فيما بعد مقصدًا للتواتيين الدّاعين للإسلام، والعُلماء الّذين كان بعضهم أئمة بمساجدها، ورجال فتوى الّذين تقرّب إليه السلاطين، ودفعوا لهم رواتب، وكان يُباع في تمبكتو الكثير من المخطوطات الوافدة من بلاد المغرب[2].

وكان لِعُلماء توات ومن بينهم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي دور متميّز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى بلاد السّودان الغربي، فأصبحت اللّغة العربيّة بفضل جُهُودهم لغة التخاطب في المُراسلات الرّسميّة للدوّل الإفريقيّة الإسلاميّة، ومُستعملة كذلك في التجارة الّتي كانت بين أيدي العرب.

كما كان للعرب في عاصمة غانا القديمة (كمبي صالح)، اثنا عشر مسجدًا أُلحِق لكلّ مسجد مدرسة لتعليم اللّغة العربيّة والفقه الإسلامي، ثمّ توسّعت العربيّة، فامتزجت بلغة فُلان والبمبارا والولوف.

---

[1] - أبو القاسم محمد الحفناوي: المصدر السابق، ص 108-109.

[2] - Echalier : op.cit, p7

كما كان لتجارة الكتب[1]، دور كبير، إذْ أنّ بيعها يعود عليهم بالفائدة أكثر من باقي البضائع الأُخرى[2]، الّتي كانت توفد إليهم من إقليم توات.

وإنتشرت بعض المراكز القرآنيّة، ومعاهد العلم إنتشارًا كبيرًا في كانم، وبورنو[3] بفضل مجهودات العُلماء المُهاجرين من المغرب وتوات، فظلّ العُلماء ينشرون العلم، الّذي بلغ مُستوى كبير في بلاد كانم وبرنو، وهناك رسالة مطوّلة بعث بها ملك برنو "كداي"، سنة (ت1440م-1447م) إلى بعض العُلماء البارزين بتوات يطلب منه إرسال بعثات علميّة إلى بورنو[4]، وأهمّ هؤلاء العُلماء في هذه الفترة: محمد الطاهر الفلاني التواتي، الّذي ألفّ الكثير من الكتابات في الفقه وعلم الكلام، وترجم له صاحب إنفاق الميسور[5]، على أنّه "كان وحده عالمًا بالمنقول والمعقول" صالحًا، تقيًّا، بارعًا، أخذ العلم عن الشيخ البكري[6]. ثمّ رجع إلى موضعه وتصدّر للتّدريس ثمّ حمله السّلطان إلى حصن بورنو، وأسكه فيها وبنى له دارًا، وله تأليف، وأشعار، منها نظمه على البكري وشرحه ونظمه على الحكم ونظمه الدرّ اللّوامع ومنار الجامع في التّصريف[7].

---

[1] - كانت قورارة وهي إحدى مُدن إقليم توات تملك مكاتب تضمّ 1.500 مجلد؛ Echalier : op.cit, p7.

[2] - Echalier : Ibid, p7

[3] - عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 29.

[4] - أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، طبعة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 21.

[5] - محمد بلو بن عمان فودي: المصدر السابق، ص 87.

[6] - البكري بن عبد الكريم: (ت 113هـ – 1720م)، مؤسس الطريقة البكرية، وهي فرع من فروع الطريقة القادرية، غرب مدينة تمنطيط ؛ عباس عبد الله، المرجع السابق، ص 88.

[7] - أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 22.

ومن بين العُلماء الآخرين المشهورين في هذا البلد، الشّيخ العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي، وكان من عُلماء تكدة النّابهين الّذين اِشتغلوا بالعِلم والتّأليف، وقد تتلمذ على يد محمّد بن عبد الكريم المغيلي.

فقد أسهم العُلماء التّواتيون في مدّ مناطق السودان الغربي بالأفكار والتّعاليم الإسلاميّة، كلّ حسب طريقته الخاصّة، فمنذ تأسيس مدينة تمبكتو، وهي مقصد لكثير من العُلماء وفُقهاء توات حيث اِستقرّوا بها[1].

ويذكر السّعدي صاحب كتاب تاريخ السّودان أنّ الشيخ أبا القاسم التّواتي كان من أشهر أئمة جامع السّنكري، فكان محلّ تقدير واحترام الجميع، حتّى أنّ السلطان أسكيا حاج موسى كان يحرص بعد كلّ صلاة على الملاقاة به للتّسليم عليه و التبرّك به[2].

ويذكر صاحب كتاب الفتح الشكور أسماء أكثر من أربعين عالم تواتي من أهلا الصلاح والولاية والفقه. فكان لهم تأثيرًا كبيرًا في بلاد التكرور ونذكر منهم التواتي الغلاوي[3]، حيث كان قائمًا بالمعروف، والنّهي عن المنكر واِنتفع على يديه الكثير من النّاس، وناصر السنّة، وكان مسموع الكلمة عند أهل بلاده.

وأعتُبر وصول التجّار والفُقهاء والدعاة العرب المُسلمين من الشمال واجب في نشر الدّين الإسلامي، والثقافة العربيّة، وقد اِلتحق الكثير منهم بالمُلوك والأُمراء وقدّموا لهُم الخِبرة والثقافة، حبّبوا إليهم الدّين الإسلامي، مثلما فعل محمد بن عبد الكريم المغيلي.

---

[1] - أحمد حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، 1963م، ص 236.

[2] - السعدي: المصدر السابق، ص 222.

[3] - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان عُلماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 97.

وإحتاج دُعاة الإسلام إلى المُلوك ليكونوا سندًا لهم، وكانوا بدورهم يحتاجون إلى تأييد هؤلاء الدعاة والفُقهاء لإعطاء سُلطتهم صفة شرعية ويستفيدون من خبراتهم وثقافتهم، فكان الأمراء الأفارقة الّذين دخلوا الإسلام يتّخذون شيوخًا من أهل توات، يُعلّمُونهم أحكام الدّين ويقرؤونهم القرآن، ويؤمّون بهم الصلاة، ويبذلون النّصح للمُسلمين.

2- تأثير التجار المسلمين:

إذا كان للعُلماء القسط الأوفر في تغيير بلاد السودان الغربي، وتحويلها من الوثنية إلى الإسلام، فإنّ دور التجّار المُسلمين لم يكن أقلَّ أهميّة من حيث المُشاركة في نشر الإسلام، فكانت تجارتهم ذات ربحين، ربح في الدّنيا و ربح في الآخرة، حيث أنّهم ربطوا مُختلف المناطق المنعزلة بطُرُق تجاريّة لسدّ إحتياجات القبائل والشعوب، وأنعشوا المُبادلات التجاريّة، وهذا الأمر له أهميّته الاقتصاديّة الكُبرى هذا من جهة ومن جهة أُخرى مكّنوا الوثنيين من الدخول في الإسلام بمُعاملتهم وأمانتهم، وهم الّذين واصلوا حركة الفتح الإسلامي، وإستطاعوا أن ينشروا الإسلام في مناطق واسعة من القارّة، وليس لهم من العدّة والسلاح إلاّ الحكمة والموعظة والأسوة الحسنة[1].

وقد نالوا في ذلك من المشاق القدر الكبير[2]، و لم تكن الصّحراء الكُبرى فاصلة بين إفريقيا العربيّة وإفريقيا السّوداء الغربيّة حاجز يقف دون نشاط العرب المُسلمين في أداء رسالتهم، وكان لانتشار الإسلام في بلاد السّودان الغربي الأثر الكبير في نشوء مدينتين إفريقيتين إسلاميتين وهي تمبكتو وجني[3].

---

[1] - عبد الله عباس: المرجع السابق، ص 104.

[2] - خليل النحوي: بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس 1987م، ص 105.

[3] - الشيخ أنتاديوب: إفريقيا قبل الاستعمار، طبعة بيروت، (د.ت)، ص 162.

كما أسهم هؤلاء التجّار المُسلمون في بناء المساجد، والزوايا، وفتح المدارس والمصاهرة مع أهالي البلاد والتي يتردّد عليها المُسلمون ويقومون بشراء العبيد، فيُعلّمونهم مبادئ الإسلام ثمّ يعتقونهم، ويُعيدونهم إلى أوطانهم[1].

واتّسع دور هذه القوافل التجاريّة بعد أنْ عمَّ انتشار الإسلام في شمال إفريقيا، إذْ حمل المُسلمون من العرب والبربر الدّين الإسلامي إلى غرب إفريقيا، حيث كان التّاجر المُسلم يمثّل في أفعاله قيمًا دينيّة كان له تأثير على غيره من النّاس، وفي هذا الصّدد يقول حسن إبراهيم حسن: "... إذا دخل قرية وثنية، سُرعان ما يلفت الأنظار إليه بكثرة وضوئِه الّذي هو مظهر الصلاة والعِبادة الّتي يؤدّيها بنظام وخُشوع.... وأيضًا مظهرًا من مظاهر النظافة المُحبّبة إلى النّفوس البشريّة، وما يتجلّى عليهم اِحترامه وتقديره والاستماع لما يقوله"[2].

هكذا كان السموّ العقلي والخلقي الّذي يتميّز به التّاجر المُسلم دور في اِستمالة قلوب الوثنيين إليه وإثارة فضولهم لمعرفة هذا الدّين الجديد (الإسلام)[3].

3- تأثير قبائل إقليم توات:

من بين أهم القبائل الّتي اِتّجهت من توات نحو غرب إفريقيا لنشر الإسلام، "قبيلة كنتة"، الّتي تنتمي إلى عُقبة بن نافع الفهري، وكان لهذه القبيلة الأثر العظيم في إسلام الزنوج في منطقة الصّحراء، والّتي هاجرت في القرن التّاسع الهجري من مواطنها بتوات إلى أطراف تمبكتو[4].

---

[1] - حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1984م، ص 16.

[2] - حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص – ص 16-17.

[3] - عبد الله عباس: المرجع السابق، ص 107.

[4] - مصطفى أبو ضيف: ملتقى الدراسات الإسلامية و العربية بإفريقيا، مجلة الرسالة، أدرار، العدد 10، 1988، ص 22.

وهذا ما أدّى إلى انتشاء الممالك الإسلاميّة في بلاد السّودان الغربي وانتشار الإسلام في أوساط الوثنيين، كما أنّ علاقة الجِوار ورابطة القُربى بين التواتيين وسكّان بلاد السودان الغربي كان عاملا مساعدًا في نشر الإسلام في إفريقيا الغربيّة.

فظلّ تأثير التواتيين في المناطق الإفريقيّة يقوى و يتعاظم، وكانوا بِانتشار الإسلام يزدادون قوّة ونفوذًا، كما أنّه تربّى الكثير من الأفارقة بالمدارس التواتيّة، فاِستقبلهم العُلماء في زواياهم وعلّموهم، ومن بين هؤلاء العُلماء محمّد بن عبد الكريم المغيلي وغيره كأبي القاسم التواتي والبكاء[1].

كما لعبت هذه القبائل دورًا كبيرًا في ميدان التّعريب، فقديمًا كانت تسود في الصّحراء لُغات بربريّة وزنجية، وبعد دُخول الإسلام تراجعت هذه اللّغات وحلّت محلّها اللّغة العربيّة.

واِرتبطت القبائل التواتيّة بعلاقات عديدة مع غرب إفريقيا، وبصفة خاصّة مع أُمرائها، فكثير ما قدّم التواتيون النّصح للأمراء والمُلوك عندما يتطلّب الأمر ذلك، كما فعل المغيلي مع الأسكيا، ومشايخ قبيلة كنتة مع أُمراء ماسينا.

4- تأثير الطّرق الصوفيّة والمتصوفين:

لقد صاحب اِنتشار الإسلام في غرب إفريقيا انتشار الطّرق الصوفية، كالطريقة القادريّة أو التيجانية أو السنوسية، وذلك أنّ أتباع الطّرق يدعون إلى الإسلام عن طريق التصوّف ويُعرّفون بشُيوخهم وفُقهائهم الّذين كانت لهم مكانة عظيمة في قلوب أتباعهم، وتجدر الملاحظة أنّ الفِرق الصوفية الّتي أسّسها التواتيون في بلاد السودان الغربي كانت تقوم على

[1] - عبد الله عباس: المرجع السابق، ص 110.

الإرشاد الّذي كان هدفه نشر تعاليم الدّين الإسلامي و غرس ثقافة التّسامح مع الوثنيين والمسحيين هناك[1].

ولقد كان في غرب إفريقيا طريقتين صوفيتين تعملان على نشر الإسلام وهما القادرية والتيجانية[2]، فكانت الطّريقة القادرية أوسع الفرق الدّينيّة اِنتشارًا في إفريقيا الغربية و ّقد دخلت القادرية كما يقول أرنولد تواماس في إفريقيا الغربيّة في القرن الخامس عشر ميلادي على أيدي مُهاجرين من توات... فاتّخذوا من ولاتة أوّل مركز لطريقتهم، ولكن أحفادهم طردوا من هذه المدينة فيما بعد، فلجئوا إلى تمبكتو وأقاموا من جهة نائية شرقي ولاتة"[3]، ويعود تأسيس القادرية إلى بغداد.

وأمّا انتشارها فقد كان خلال القرن السّادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، ثمّ دخلت إلى بلاد السّودان الغربي عن طريق بلاد تنقيط[4].

ثمّ امتدّ نفوذها إلى تمبكتو في القرن التّاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، و لم يمضي زمن طويل حتّى عجّت البلاد الإفريقيّة بالدعاة القادريين التواتيين منهم و الفُقهاء والعُلماء، فقد كانوا يدعون إلى الدّين الإسلامي والعلم، وأسّسوا المدارس وأشرفوا عليها[5].

واتّسع اِنتشار القادرية على يد محمّد بن عبد الكريم المغيلي، وأخذ عنه هذه الطّريقة عمر بن أحمد البكاي بن أحمد الكنتي، والواضح ممّا سبق أنّ الجماعة القادرية لعبت دورًا هامًّا في نشر الإسلام في بلاد السّودان الغربي، والتّعريف بالحضارة العربيّة الإسلاميّة، وبرهن دُعاة

---

[1] - توماس أرنولد: الدّعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن، القاهرة، 1957م، ص –ص 394 – 395.

[2] - ليفي بروفنسال: الشرق الإسلامي والحضارة الأندلسية، منشورات معهد الحسن، تيطوان، ص 35.

[3] - توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 365.

[4] - بلاد شنقيط هي موريتانيا حاليًا.

[5] - أحمد شلبي: موسوعة التاريخ، ط4، مكتبة النهضة المصرية، 1983م، ج6، ص 211.

الطريقة القادرية على أنّهم أوفياء لأهمّ المبادئ الّتي كانوا يعملون بها في حياتهم والّتي تقوم في مُجملها على الأخلاق والصّفات الحميدة الّتي يتميّز بها المُسلمون[1].

5 – تأثير الزوايـــــــا:

كان لنظام الزوايا الّتي أنشأها رجال الطّرق الصوفيّة والفُقهاء والتجّار، حيث ما حلّوا دورًا رئيسيًا في تثبيت دعائم الإسلام ببلاد السّودان الغربي، وهذا ما ينطبق على عُلماء توات ورجالهم الّذين اِشتهروا بكثرة رحلاتهم، وكثرة بنائهم للزوايا الّتي قدّمت عدّة خدمات ومهام منْ عبادة وتربية وتعليم، وكانت عبارة عن مراكز لإقامة الطّلبة ونزول المُسافرين وإيواء الفُقراء وأبناء السّبيل[2].

كما كانت تستمد هذه الزوايا مواردها من الأحباس المالية والعقّارات والهيبات، وتعتبر خدمات الزوايا وأنظمتها ونشاط رجالها سببًا رئيسيًا في اِنتشار الإسلام في بلاد السّودان الغربي[3].

وتنتشر الزوايا في كثير من أرجاء المُدُن والقُرى والقُصور التواتيّة، وتطلق كلمة زاوية في توات على مسجد خاص بطائفة من الصوفية أو ضريح لأحد الأولياء، وتتصل بها غالبًا مقبرة يُدْفن فيها بعض منْ لهم علاقة بالطريقة أو قرابة بالولي، وكثيرًا ما تلحق بالزاوية حجرات يترل فيها الضيوف، والمنقطعون للعلم والعبادة.

---

[1] - توماس أرنولد: المرجع السابق، ص – ص 365-366.

[2] - حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 16-18.

[3] - عبد الله عباس: المرجع السابق، ص 122.

وكانت الزاوية التواتية مدرسة دينيّة، ودار لضيافة الأغراب وخلال القرن التّاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، حيث أصبحت تدعو على الجهاد ضدّ اليهود، وغيرهم، وأصبح عددها يقرب من عدد المساجد أو يفوقها[1].

وهكذا نرى أنّ الزّاوية التواتيّة نشأت من أجل أهداف دينية خالصة، أهمّها ترسيخ الإسلام الصّحيح، وأحكامه في نفوس المُسلمين الجُدد الّذين ظلّ إسلامهم ناقصًا، وبعد أنْ حقّقت الزوايا هدفها في إقليم توات وصلت إلى بلاد السودان الغربي بإرسال أفواج مُتتالية من الفُقهاء لتعليمهم[2]، اللّغة العربيّة ومبادئ التشريعية الإسلامية السّمحاء، وبعد أنْ اِستقرّ محمد بن عبد الكريم المغيلي بتوات وبنائه للزاوية القادرية وجد الجوّ مُلائمًا أمامه للمُشاركة في نشر الدّين الإسلامي بإقليم السودان الغربي، وأصبحت توات بالنّسبة له قاعدة رئيسيّة ينطلق منها إلى مناطق الجنوب، ويعلّم المُسلمين أُصول الدّين ويفتي للمُلوك والأُمراء في المسائل والقضايا الصّعبة، وبعد وفاته اِستمرّ التواتيون في نشر الثقافة الإسلاميّة ببلاد السودان الغربي[3] ، يجوبونها وينشرون فيها مبادئ الإسلام وتعاليمه والقيم والأخلاق الفاضلة[4].

ثانيا: أهم العادات السيئة :

1- الغزو بلا وازع شرعي :

كان الغزو بإقليم السودان الغربي الصفة السائدة ، وكانت القبائل القوية تهاجم وتستحوذ على القبائل الضعيفة ، يسترقون الأحرار ويبيعونهم في سوق النخاسة .

---

[1] - دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، ص 332.

[2] - عباس الجواري: ثقافة الصحراء، طبعة تونس، 1987م، ص – ص 43- 44.

[3] - محمد حوتية: المرجع السابق، ص 169.

[4] - أحمد حسن: المرجع السابق، ص 236.

كما فعل سني علي بقبيلته بعد موت أبيه قال المغيلي :"ثم بعد موت أبيه طلب السلطنة فقام على سنغاي وقاتلهم حتى غلبهم" [1] ،وخرّب كاشنة وملك عدة أقاليم وغزا كانوا والكثير من المناطق المجاورة فدّمر ديارها ، فعمّت الاضطرابات وكان القوي يأكل الضعيف قال ابن خلدون عن مالي :" واختلف أهل مالي وافترق ملكهم وتواثب ملوكهم علة الأمر وقتل بعضهم بعضا ، وشغلوا بالفتنة ".[2] كما أن بعض القبائل كانت تخضع القوافل التجارية المارّة بأرضها لدفع الضريبة " ، وهذا ما حدث لقافلة ابن بطوطة حيث قال :"حبس القافلة حتى عزموا له أثوابا وسواها ،وكان وصولنا إلى بلدهم في شهر رمضان ، وهم لا يغيرون فيه ولا يتعرضون القوافل ، واذا وجد سراقها المتاع في رمضان لم يعرضوا له ." [3]

حكم سنغاي ملك يدعى علي وعرف بظلمه وجبروته ، فمنع الناس من الصلاة والصوم إلا أنهم كانوا يصومون خفية ، نكح هذا الملك العديد من النساء فكلما أعجبته امرأة أخذها وأدخلها داره .

ولا يبالي بأهلها وقد جمع بين المرأة وأمها وقتل الكثير من المسلمين من قراء وفقهاء ونساء وصبيان [4]، متسترا بمجموعة من الفقهاء اتخذهم خصيصا لذلك لكي لا يوصف بالظلم والجوار [5]، فعم الفساد ببلاده خاصة بعد أن أثقل كاهل السكان بالضرائب واعتبر سكان المملكة عبيد لهم،[6]وحرّم على الناس واجباتهم الدينية هذا ما أدى الى ابتعادهم عن تعاليم ومبادئ الشريعة الإسلامية ، وفي الكثير من الأحيان كان سكان سنغاي يصومون إلاّ أنّهم

---

[1] - المغيلي ،أسئلة الإسقيا ، ص 170 .

[2] - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 7 ، ص 368 .

[3] - ابن بطوطة : الرحلة ، ج2 ، ص 699 .

[4] - المغيلي : أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تح : عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية، الجزائر، 1974 م، ص ص 171-172.

[5] - المغيلي: المصدر السابق ، ص 178 .

[6] - حسن وزان : وصف أفريقيا ، ص187 .

يعبدون الأصنام كما كان يفعل أجدادهم بالحجارة والأشجار ، قال المغيلي : "فإن أصابوا خيرا زعموا أن تلك الأصنام هي التي أعطتهم وإن لم يصيبوا ، رأوا أنها منعتهم فلا يغزون حتى يشاوروها ،وإن قدموا من سفر قصدوها ونزلوا عندها ...." [1]، وتمسّكهم بعاداتهم القديمة هو سبب ابتعادهم عن واجباتهم الدينية وفهم الإسلام على ما يرام ولقد وصفوا بالكفار[2]، فبناتهم يقهرون عاريات وباديات لعوراتهن، وهذا ما رآه الرحالة ابن بطوطة أثناء رحلته، فقال : "ولقد رأيت في ليلة سبعة وعشرون من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا"[3]، كما تعدّدت الأصنام التي عبدوها واحترموها لدرجة كبيرة وقد وجدت ببلادهم قلعة عليها صنم في صورة امرأة مغطّى محجوب عن الأنظار [4]، إضافة إلى إلهة أخرى دعوها "كحبر " كانوا يعبدونها ويذبحون لها وزعموا أنها نزلت من السماء ، كما عرفوا بتذللهم لسلطانهم ، فإذا دخل أحد ما على السلطان رفع ثيابه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الأرض بمرفقيه ثم يقف كالراكع يسمع كلام السلطان "وإذا كلّم أحدهم السلطان فردّ عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ، وظهر بالتراب على رأسه وظهره ، كما يفعل المغتسل بالماء ، وإذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام " [5]، وهذا ما شاهده ابن بطوطة أثناء رحلته .

---

[1] - المغيلي : المصدر السابق ، ص 170 .

[2] - أحمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تح : بهيجة شاذلي ، ط 1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1996 ، ص 298 .

[3] - ابن بطوطة : الرحلة ، ج 2 ، ص 665 .

[4] - مجهول (كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر ميلادي) : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد : دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1985، ص225.

[5] - ابن بطوطة : الرحلة ، ج2، ص665.

2- اختلاط الرجال بالنساء :

من العادات السيئة ببلاد السودان الغربي اختلاط الرجال بالنساء ، فتجد المرأة مع الرجل في كل مكان ، وهذا ما يشير إليه المغيلي بقوله :" ومن مناكرهم اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والطرقات "[1]

فرجالهم لا غيرة لديهم وهم مسلمون ونسائهم لا يحتشمن ولا يتحجبن من الرجال الأجانب، ولهنّ الأصدقاء والأصحاب، وكذلك للرجال صواحب من النساء ،ويدخل أحدهم داره فيجد إمرأته مع صاحبها فلا ينكر ذلك ، قال ابن بطوطة : دخلت يوما على القاضي بعد إذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السّن ، بديعة الحسن ، فلما رأيتها ارتبت وأردت الرجوع ، فضحكت منّي ولم يدركها خجل ، وقال لي القاضي :لم ترجع ؟ إنها صاحبتي فعجبت من شأنهما فإنه من الفقهاء الحجاج "[2].

وقال أيضا : دخلت يوما على أبي محمد يندكان المسوفي ، الذي قدمنا في صحبته ، فوجدته قاعدا على بساط وفي وسط داره سرير مظلل ، عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان، فقلت له : من هذه المرأة ؟ فقال هي زوجتي فقلت : وما الرجل الذي معها من هو ؟ فقال : هو صاحبها فقلت له : أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع ؟ فقال لي :مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لاتهمة فيها ، ولسنا كنساء بلادكم، فعجبت من رعونته وإنصرفت عنه فلم أعد إليه بعدها ، واستدعاني مرات فلم أجبه " [3].

---

[1] - المغيلي : أسئلة الأسقيا، ص187.

[2] - ابن بطوطة : الرحلة ، ج 2 ،ص678

[3] - - ابن بطوطة : الرحلة ، ج 2 ، ص 678.

وبالتأكيد إن بعض زوار السودان الغربي اندمجوا في المجتمع السوداني وتأثّروا بعاداتهم إلا أنّ المغيلي عمل بجدّ من أجل تغيير تلك الأوضاع ، وقد نتج عن اختلاط الرجال بالنساء ارتكاب الفواحش وانتشار الفساد بين فئات المجتمع ، وما يزيد في سبب انتشار الفاحشة كون المرأة لا تحتجب ولا تستر نفسها ، قال المغيلي : "وعدم احتجاب المرأة على أخ زوجها وأبن عمه أو صاحبه ومن مناكرهم كشف عورات الحرائر والإماء حتى أن من عوائد أهل جني أن البنت لا تستر شيئا من عوراتها ما دامت بكرا ولو بلغت خمسين سنة وكانت شابة من أجمل النساء تخرج بين الناس عريانة بلا ستر وهي بين أبيها وإخوانها وكذلك حتى تتزوج، [1] وهذا ما أدى إلى احتراف الزنا كما أشار إليه البكري بقوله :"الزنا عندهم مباح "[2] ،فكل هذه المظاهر مردّها عدم التستر أمام الأجانب ، إلا أن بعض أشراف المسلمين عملوا على بثّ روح الاحتشام والحجاب فكانوا يلبسون قميصا طولها عشرون ذراعا ، وكان هذا على نطاق ضّيق لم يشمل كامل السودان الغربي وكان الغالب عدم التستر وكشف العورات .

3- السحر والشعوذة :

اشتغل بعض السودانيين بالسحر لأنهم كانوا ينتمون إلى قبائل تدين بالوثنية ، فأثّروا في بعض العلماء المسلمين ذوي العقيدة الضعيفة فمالوا للسحر لقول المغيلي : " إنّ فيهم من يزعم أنه يعلم شيئ من الغيب بالخط على الرمل أو بأحوال النجوم أو بأخبار الجنّ أو بشيء من أصوات الطير أو حركاتها [3] ، فكان سحرتهم يسكنون الغابات ويوقدون النيران ويطعنون بطونهم وجباههم بالسكاكين ويذبحون للشياطين في أواخر شعبان ، وإن لم يذبحوا لهم فإنهم يهربون

[1] - المغيلي :أسئلة الأسقيا ، ص 187.

[2] - البكري : المسالك والممالك ،ج2،ص 880.

[3] - مجهول: كتاب الاستبصار ، ص 223 .

عن رؤوسهم ، كما أنهم يشربون الدماء ، وسبب هذا كله ضعف التمسك بالشريعة الإسلامية الصحيحة ، وهجر علم الكتاب والسنة [1].

ثالثا: دور المغيلي بكانو:

بعد ثورة المغيلي على نازلة يهود توات سافر إلى بلاد السودان الغربي ليعمل على تصحيح العقيدة الاسلامية الذي أخذ الفساد يدب فيها ، فأصبح أهم الروابط الثقافية والفكرية التي ربطت المغرب الأوسط بالسودان الغربي عن طريق إقليم توات وخلال القرن(9هـ/15م) أصبح هذا الإقليم مركزا هاما لنشر الثقافة الاسلامية بالأقاليم السودانية ، إلا أن هناك بعض العلماء والفقهاء سبقوا الإمام المغيلي لهذه المناطق ومن أهمهم : الفقيه أبو الأنوار بن عبد الكريم التنلافي الذي درس فترة طويلة بتومبوكتو وسعيد البكري ومحمد بن أحمد إضافة إلى التجار الذين كان أكثرهم من الفقهاء ، وعند دخول المغيلي إلى إقليم السودان الغربي أدرك أن فهم الناس لأحكام الشريعة الإسلامية خاطئ ، فدخل أكدز وأسس بها مسجد يسمى مسجد الكرامة ثم رحل إلى تكدة وأخذ عنه علماؤها ، وانتفع به خلق كثيربكشنة [2]، أو "كشين"أو "كانو" التي تولى قضاء الجماعة بها ، وعمل على التدريس وتزوج وأنجب ثلاثة أبناء هم :" أحمد وعيسى والسيد الأبيض ، فتوطّدت العلاقة بينه وبين ملك كانو " ،الذي جعله مستشاره الخاص ووزيره الذي يرجع إليه في كل الأمور التي تواجهها مملكته ، وطلب من المغيلي أن يكتب له وصية في شؤون الدولة فكتبها له ، وهي عبارة عن وصية تتضمّن مجموعة من الأحكام الشرعية لتنظيم شؤون الدولة فأثنى عليه الناس ولقّبوه بالإمام [3]، وتعرضت رسالته لأمور عديدة في شؤون الحكم[4]، وعنونها "ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة "قسمها

---

[1] - أحمد بلو :اتفاق الميسور،ص 51.

[2] - بلاد بالقرب من كانو ، أصل سكانها جميعا من ولدبا والذي هو مملوك سلطان برنو ، محمد بلو ، إنفاق الميسور

[3] - عبد القادر زبايدية : الشيخ محمد بن عبد الكريم جهوده وشهرته خارج، ص 84.

[4] - نشر هذه الرسالة أحمد العلمي حمدان في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس عدد05 لسنة 1989 م، لكنها مليئة بالتصحيف والتحريف وتوجد منها نسخة مصورة ، زاوية المغيلي بتوات

إلى ثمانية أبواب جاء في الباب الأول: "فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة"، أما الباب الثاني فجاء فيه" ما يجب على الأمير من حسن الهيئة "، وجاء في الباب الثالث فيها"ما يجب على الأمير من ترتيب مملكته"، والباب الرابع جاء فيه "فيما يجب على الأمير من الحذر والحضر والسفر"، أما الباب السادس:"فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام"، وجاء في الباب السابع:"في مجيء الأموال من وجوه الحلال"، وجاء في الباب الثامن والأخير "في مصارف أموال الله" [1].

1- إحسان النية للإمارة :

بيّن المغيلي أن الإمارة ابتلاء من الله ، فموقعها كان بين الهوى والتقوى والواجب على كل من تولاّها إخلاص النيّة بالإستعانة بالله والتوكل عليه، فهذا ما ذكره المغيلي لسلطان كانو بقوله:"إن الله سبحانه وتعالى ما ولاّك عليهم لتكون سيّدهم ومولاهم، وإنّما ولاّك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم " [2].

فالإمامة أمانة ومسؤولية فيجب على كل حاكم أن يحسن القيام بها، ويؤديها على أحسن وجه،[3]وإلى ذلك أشار الماروردي في قوله :"الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ،عقدها لمن يقوم بها في الامة واجب بالإجماع " [4]

2- إحسان الهيئة :

يقول المغيلي بشان الإمارة " مقمعة للنفس الأمّارة ، فعلى كل أمير أن يتردى برداء الهيبة ، في الحضور والغيبة "،[1] فيجب على الأمير أن يترفع في مجلسه وذلك بالمحافظة على سكونه فيكون

[1] - نيل الابتهاج ،ج2،ص278-279.

[2] - أحمد العلمي حمدان: استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان، مجلة كلية العلوم الإنسانية بفاس، عدد05 سنة 1989م، ص98.

[3] - صلاح الدين بسيوني رسلان : الفكر السياسي عند المرودي ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ط 1985 ،ص86.

[4] - أبو الحسن الماوردي :الأحكام السلطانية والولايات الدينية ط 3،مصر ،1973، ص05.

نظره للشيء تفرسا وإطراقه للأمر تفكيرا فيه ، وأهم صفات الأمير ، الصدق ، فيقول المغيلي " قدم عقلك تجمع شملك ويعلو شأنك ، ويعظم سلطانك ، أقبح القبائح إثنان كبر الفقير وكذب السلطان "[2] ،ويوصي المغيلي الأمير بالوفاء بعهوده ، لأن الوفاء بالعهد يزيد من هيبة صاحبه ويجعله كبيرا في نظر الخلق ،قال المغيلي "إيّاك أن تقصر خطوتك عن مقالك فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك "[3]، كما يجب على الامير أن يتّصف بالتواضع ، لأن التكبر مذموم يحدث السخط لذلك كان على السلطان الميل إلى العفو والصّفح[4]، أما بشأن الخلقة ، قال المغيلي :"فلا تتزين بذهب ولا فضة ولا حرير بحال ،فإن ذلك كله قبح ودناءة وضلال "[5] فيجب على الأمير أن يحسن ثوبه بالأشياء المباحة من زينة الرجال دون التشبه بالنساء ، فلا يجب على الأمير أن يشغل نفسه بشهوات الدنيا من لبس الثياب الفاخرة واكل الأطعمة الطيبة فعليه التحلي بالقناعة ، واللباس المطلوب هو اللباس الذي يحفظ الجسد من الحر والبرد وساتر للعورة.

3- ترتيب المملكة :

بيّن المغيلي بأنّ الملك يحتاج في ترتيب مملكته إلى مجموعة من الحكماء والعقلاء لاستشارتهم وقت الحاجة ، كما أوصى بوضع أشخاص أمناء على بيت المال ، يخافون الله ويشعرون بمراقبته لحفظ أموال المملكة من الضياع ، فالمملكة تحتاج كما يقول المغيلي :إلي خدام بالحضرة يتّصرفون وعقلاء يشيرون ، وأمناء يقبضون ويصرفون ، وكتاب وحساب

---

[1] - أحمد الحمدي : المرجع السابق ، ص122، نقلا عن المغيلي ، رسالة الإمارة .

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - أحمد العلمي حمدان : المصدر السابق ، ص99.

[4] - صلاح الدين بسيوني رسلان : المرجع السابق ،ص138.

[5] - أحمد الحمدي : المرجع السابق ، ص123.

يحرسون ويحفظون "[1] لأنّ السلطان عاجز على تولّي أمور المملكة، وتدبر جميع شؤونها، كما يجب على الملك مراقبة الكتاب والأمناء فمنهم من يخطئ، ومنهم من يصيب وتتم هذه المراقبة من طرف عمال الشرطة ، ومهمّتهم كذلك معاقبة كل مخالف للشرع وينشر الفساد في أوساط المجتمع ، فاستقرار المملكة مرهون بدلك ، كما يقول المغيلي :"رسل وخساس، وحفظة وعساس وأرباب شرطة يزجرون "[2]، ومن الأمور التي تثبت وتحافظ على تطبيق الأحكام الشرعية ، والحكم بين الناس بالعدل اتخاذ القضاة ، فيجب أن يكونوا على قدر كبير من العلم والتقوى والعفة ، قال المغيلي :"قضاة تقاة يفصلون ، ورجال معظمون لوجه الله ".

ونظرا لقيمة الوزارة في الحكم ، جعلها المغيلي من أهم الوظائف في نظام الحكم ، بشرط أن يكون الوزير ممن يخشون الله ، ويكون السند الحقيقي للأمير يلجأ إليه في كل امر عظيم حتى قال المغيلي :"يتخذ وزراء لا يخشون إلا الله ، ومن ذلك أيضا حصن حصين"[3]، ومن مهام الوزير أيضا تكوين جيش قوي بتدريب الرجال على الأسلحة والإقدام .

4- الكشف عن الأمور :

إنّ تتبّع الأمير لأحوال الأمناء الذين تولّوا مناصبا قبل توليته والكشف عن حال الأمور دليل على صلاحه ، خاصة أموال بيت المال وأرزاق العمال ، والواجب مراقبة جميع الولاّة ومن تكّررت ضدّه الّشكاوي يتم استبداله للتقليل من الفساد، وإذا تعامل الأمير مع ولاّته بالحزم والصرامة، فإنه سيبعد النمامين لأنهم أسوأ الجلساء، فالواجب إبعادهم وردعهم وكشف أحوالهم ، وقال المغيلي :"فكم قّربوا من بعيد ، وكم بعّدوا من قريب ، وكم حبّبوا من عدو

[1] - أحمد الحمدي : المرجع السابق ، ص123.

[2] - نفس المرجع : الصفحة نفسها .

[3] - أحمد الحمدي :المرجع السابق ، ص126 ، نقلا عن المغيلي ، رسالة الإمارة.

وكم كرهوا من حبيب"[1]، كما أشار المغيلي إلى باب المفاسد وهي قبول الأمير هدايا ولاته قالوا لي لا يعطي هدية إلا لحاجة في نفسه للتقرّب من الأمير ويغضّ الطرف عنه ويتركه يفعل ما يشاء ، وهدايا الوالي عادة ما تكون من بيت مال المسلمين ، وهذا ظلم كبير في حق الناس .

5- العدل في الأحكام السلطانية :

يجب على الأمير أن يكون عادلا مع رعيته ويعاملهم سواء بسواء ، لأن السلطنة لا يمكنها الثبوت إلا بالعدل والإحسان " ،كما قال المغيلي ، وإذا ثبت أن الأمير حاد عن الطريق السوي بظلم رعيته وخيانته للأمانة وخروجه عن تعاليم القرآن والسنة ، فإن الأمة قوامة عليه ، ولها حق تقويمه أو حق عزله[2].

وعند تطبيق الأمير لحد من حدود الله فعليه إظهار البينة عند القيام بذلك ، قال المغيلي:" ولا يكتفي في هذا المجال بما نصبه من القضاة والعمال لأن شكوى الرعية غالبها منهم"، فيجب أن يجلس كل يوم لسماع هموم الناس ، كما أن لجلوس الأمير أمام رعيته مباشرة أثر كبير في نفوسهم ، لأنه يتمكن من الإطلاع على جميع أحوالهم .

6- جباية الأموال :

طلب المغيلي من الأمير :"أن يجبي الموال غلا من حيث أباح الله له " ، وهي زكاة العين والحرث والماشية وزكاة المعدن وزكاة الفطر وخمس الغنائم وأموال الجزية وما يؤخذ من التجار وتركة لا وارث لها وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب [3]، وأوصى المغيلي الأمير بالكرم لأنه يؤدي إلى محبة الرعية له ، قال المغيلي : "وأول الكرم وأساسه الإمساك عما في أيدي الناس ".

---

[1] - أحمد العلمي : استنصاح السودان 101.

[2] - حازم عبد المتعالي الصعيدي: النظرية الإسلامية في الدولة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1986، ص 132.

[3] - عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ، قصر الكتاب ، لجزائر،ط1990 ص ص 256-268 .

كما وجب على كل فرد من الرعية أداء ما عليه من مال ، لأنه حق من حقوق الله ومن لم يؤدي هذا الحق وجب زجره وعقابه ، ونية المغيلي عن الأموال المحرمة كأموال المكس قال : " وقد جاء في الخبر لا يدخل الجنة مكاس " .

كما أنه محرم اتفاقا لأنه يدخل في باب المظالم ، ومن الأموال المحرمة كذلك الغرامات التي يضعها بعض الأمراء على أهل بعض القرى .

رابعا: أجوبته على سلطان كاغو :

في سنة(899 هـ/1493م) قام محمد بثورة ضد سني علي [1]، واستولى على الحكم بمملكة سنغاي ، وكان من سياسته تقريب العلماء والفقهاء ، فكان المغيلي ممن نالوا حظوة كبيرة في بلاطه . ووضع له المغيلي تأليفا أجابه فيه عن مسائل كان قد سأله عنه [2]، يرى عبد القادر زبادية أنّ المغيلي وصل إلى كاغو سنة(908هـ /1502 م) ،وهذا تاريخ في اعتقادي مجانب للصواب ، فلا يعقل أن المغيلي يسافر للحج من كاغو ، ثم يعود إلى توات ويقاتل اليهود بها في سنة واحدة ، لأن وفاته كانت في عام(909هـ/1503م)[3]والمغيلي لم يمكث بكانو غير سنة واحدة ، توجّه بعدها مباشرة إلى كاغو [4]. وعلى هذا يكون دخوله إلى كاغو في أواخر سنة(899هـ/1493م) ، حيث اتّصل بسلطان البلاد مباشرة بعد استلائه على الحكم . ويبدو ذلك واضحا من خلال أجوبته على أسئلة السلطان ،حيث توضح تلك الأجوبة أن المغيلي كان من أوائل العلماء الذين اتّصلوا بسلطان كاغو . كما تظهر أسئلة السلطان الحاج

---

[1] - سني علي : من اقوى ملوك مملكة سنغاي ، اشتهر بظلمه وجبروته حيث كان سياسته التضييق على العلماء ، وقد وصفه مؤرخ السودان عبد الرحمان السعدي بقوله : "الظالم الأكبر والفاجر الأشهر " امتدت فترة حكمه مابين أعوام(869-899هـ - 1464-1493م) . أنظر: محمد بلو: انفاق الميسور ، ص :264 .

[2] - أحمد بابا : نيل الإبتهاج ، ص577 .

[3] - عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص : 308

[4] - أحمد بابا : المصدر نفسه ،ص 577 .

محمد انه حديث عهد بالحكم ، فهو يسأل عن كيفية التّعامل مع العديد من المسائل الأساسية من مخلفات الحكم السابق . وهذا دلالة واضحة ان المغيلي اتصل به في السنة الأولى من حكمه.

1- السلطان راع لا مالك :

وجرى المغيلي على طريقة الأسقيا، [1] في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبين له السلطان في كل ملكه راع لا مالك ،وبأنّ الملك كله لله قال المغيلي : "قد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم ، لالتكون سيدهم ومولاهم "[2].

ودخل مرة أبو مسلم الخولاني ، على معاوية بن أبي سفيان ،فقال :"السلام عليك أيها الأجير، فقالوا : قل السلام عليك : أيها الأمير ، فقال :" السلام عليك أيها الأجير" .

فقالوا : قل أيها الأمير . فقال : السلام عليك أيها الأجير . فقالوا : قل الأمير . فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول . فقال : إنما أنت أجير استأجرك رب هذا الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها ، وداويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها . وقاك سيّدها أجرك، وإن أنت لم تهنأ جرباها ، ولم تداو مرضاها ، ولم تحبس أولاها عن أخراها عاقبك سيدها "[3]. فالأمير راع في ملك الله وهو مسؤول عن رعيته ، وحاله في الآخرة يأتي مغلولا فيفكه عدله أو يبقه جوره وفساده .

---

[1] - لقب اسقيا يقال ان بنات علي بير لما قام محمد الأول بالثورة على ملك أبيهن ، تساءلن ؟ أي :أهو بالذات ن وذلك حين تناهت إليهن أنباء الثورة ، ولم يعرفن من الذي قام بها من ضباط أبيهن ، فالتصقت عبارة التساؤل بمحمد الأول من ذلك الوقت . أنظر : عبد القادر زبايدية الحضارة العربية والتأثير الوربي ، ص : 161 .

[2] - المغيلي:أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبايدية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ط 1989، ص : 162.

[3] - ابن تيمية : السياسة الشرعية ،ص ص : 12-13.

2- إبعاد علماء السوء عن السلطان ومصالح الناس :

وعلماء السوء هم من يأكلون أموال الناس بالباطل ، وبأعمالهم الدنيئة يصدون عن سبيل الله وهم سبب انتشار الفساد في جميع البلاد ، والمغيلي يحذّر منهم بقوله : " وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد في جميع البلاد ،فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كل جهاد "[1] وأصل فسادهم من كونهم يقرؤون القرآن والحديث ، وبسردهم كثير من نصوص الكتاب ،وهم بذلك يزعمون أنهم من أهل الذكر ، وينكرون بأنهم من أهل السوء .

قال جل شأنه: ((إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون)) [2].

وقال عز وجل ((إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النّار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم)) [3].

وعلماء السوء لا يصلحون في الأرض ولا يتركون من يصلح ، قال المغيلي:"هم لصوص الدّين وأضر على المسلمين من جميع المفسدين "[4]. فالواحد من هؤلاء العلماء أضر على الأمة من ألف شيطان . قال أحمد بابا :"أشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفع بعلمه "[5].

3- تقريب أهل الذكر :

---

[1] - المغيلي : أسئلة الأسقيا ، ص 164.

[2] - سورة البقرة ، الآية 58 .

[3] - سورة البقرة : الآية 174.

[4] - المغيلي : المصدر نفسه، ص 166.

[5] - أحمد بابا : تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، تحقيق سعيد سامي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، ط 1992، ص 59.

وأهل الذكر هم الذيّن يصلحون عند فساد الزّمان ، ويجدد الله للناس بهم دينهم الذّي ارتضاه لهم . ولذلك كان لزاما على السلطان الاستماع والرجوع لأهل الذكر في كل تصرفاته التي لا يعلم حكم الله فيها .وقاعدة كل أمر في عمله هي الخير يثبت والشر يزال ، حتى وإن طال أمده .ولن يتم ذلك إلاّ إذا قام أمراء المسلمين كما يقول المغيلي :"يحفظ الدين بأن لا يتركوا أحدا يتكلم في دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى ، حتى يكون من أهل العلوم والتقوى "[1] وحفظ الدين لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبه صارت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس . قال تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) [2]. وقال جل شأنه ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخيرويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) [3]. وقال سبحانه: ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) [4]. وقال تعالى عن بني إسرائيل: ((كانوا لا يتناهون عن المنكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) [5]ويعلق الشيخ ابن تيمية عن هذه الآيات بقوله :"فأخبر الله تعالى أن العذاب لما نزل ،نجى الذين ينهون عن السوء ،وأخذ الظالمين بالعذاب الشديد "،[6] وأهل الذكر هم أولئك العلماء الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن دين الله بالحجة الدامغة والأدلة الواضحة ، ويصفهم المقري بأنهم: "جهابذة ويميزون بنقدهم الصحيح والحسن والضعيف والطيب والخبيث [7].والأمير الذي يسعى من أجل إرضاء الله بخدمة الرعية ،هو ذلك الأمير الذي يجعل

---

[1] - المغيلي : أسئلة الأسقيا ، ص 165.

[2] - سورة آل عمران ، الآية 110.

[3] - سورة آل عمران ،الآية 104.

[4] - سورة التوبة ، الآية 73.

[5] - سورة التوبة ، الآية 73.

[6] - ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص : 72.

[7] - أحمد بن محمد المقري : روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، المطبعة الملكية بالرباط ، ط الثانية 1983 ، ص :266.

جلسائه من أهل الذكر، الذين يذكرونه بالآخرة ويقلّلون من شأن الدنيا ، وأما الذي يقّرب علماء السوء فذلك مقّرب أعداء الدّين ولا شك أنه ظالم لنفسه ولرعيته ومضّيع لحقوق الله والعباد .قال ابن حزم :"لا شيء أضّر على السلطان من كثرة المتفرعين حواليه ،فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه ، فإن لم يفعل ،شغلوه بما يظلمونه فيه ،وأما مقرب أعدائه فذلك قاتل نفسه،"[1] ولا يمكن للأمير أن يشغل جلسائه بما يصلح لهم دينهم ودنياهم ما لم يكن كيس فطن، على مرتبة كبيرة من العلم والعمل مقرب لأهل الذكر،لأنهم أهل الجنة الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا [2].

4- إتخاذ المحتسب :

ينبغي أن يتصف المحتسب بصفات اللين والرفق في القول والفعل، وطلاقة الوجه وحسن الخلق، فإن ذلك يعينه على أداء مهامه واستمالة القلوب .ويجب أن يكون المحتسب مسلما ذكرا عاقلا، مواظبا على سنن الرسول الكريم متعّففا عمّا في أيدي الناس، لا يقبل الهدايا والرشاوي [3]، وقد أنكر المغيلي إختلاط الرجال بالنساء بمملكة سنغاي [4] ، ولمنع ذلك أمر السلطان باتخاذ المحتسب ، وعلى المحتسب أن يختار من يعينه على أداء مهامه ،كما طلب المغيلي من السلطان مراقبة هؤلاء العمال عند أداء مهامهم .والتأكّد من أنّهم يقومون بهذه الخطة . وعلى المحتسب أن يستعمل كلّ قواه لمنع الفساد والظلم . قال المغيلي : "وأن يجتهد في منع ذلك كله بما استطاع وأن يجعل أمناء ، ويحتسبون على ذلك ليلا ونهارا سرا وجهارا، وليس

---

[1] - أبو علي بن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس ،شركة الشهاب الجزائر ، دت ، ص : 29.

[2] - ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص: 155.

[3] - حسن علي حلاق : الإدارة المحلية الاسلامية ، المحتسب ، الدار الجامعية بيروت ، ط 1980، ص ص 17 - 18.

[4] - سنغاي :كاتب إمارة صغير تابعة لمملكة مالي ،ثم انقضت عنها في أيام سني علي بارو وقد حكمت عائلة ضياء هذه المملكة منذ فترة مبكرة ، عبد القادر زبايدية ، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي ، ص: 155.

دلك من باب التجسس على المسلمين وإنما ذلك حسن الرعي "[1]. ونظام الحسبة خاصة بالأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنّهي عن المنكر إذا ظهر فعله . لذلك وجب على المحتسب البحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها ، كما يفحص كل الأمور الحسنة التي ظهر تركها ليأمر بإقامتها . قال الماوردي : " والحسبة هي واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم"[2] وللحسبة أهمية بالغة تتمثل في ضبط أوضاع المجتمع في كافة جوانبه المتعلقة بالأمور الدينية أو الاقتصادية أو غيرها من الجوانب الأخرى [3].

والمغيلي في نصحه لسلطان كاغو لا تختلف أفكاره عن تلك التي وضعها سلطان كانو . ففي العديد من المواضيع تجده ينقل العبارات نقلا حرفيا من رسالة الإمارة ، والمغيلي من خلال نصائحه لسلطان كاغو أو سلطان كانو ، لم يكن هدفه إعادة تجربة الخلافة في الإسلام ، بل كان يرمي إلى تصحيح كل الأوضاع الفاسدة بتلك الممالك ، وبذلك يتمكن من تثبيت الأنظمة الصالحة . لأنه كان يدرك أن السلطة في تلك الفترة مقسمة بين كثيرين ، لا يمكن في الغالب توحيد ممالكهم لأنهم ينتمون إلى قبائل وعشائر لكل منها مميزاتها الخاصة ، وولائهم للعصبيات شديد . لذلك عمل المغيلي كما يقول أحمد العلمي حمدان :" دفع من بيده السلطة إلى تطبيق قواعد الشريعة ، فليس بالمهم أن يكون مجتهدا ، ولا أن يمتد حكمه إلى سائر بلاد الإسلام بل أن يفي بواجب الرعاية التي من المفروض أنه موجود لأجلها "[4].

وهكذا يظهر أن المغيلي فضّل التّقرب من الأمراء لعرض أفكاره حول طبيعة الحكم ونظامه وهدفه الأول الأساسي هو تحديد واجبات الأمير المسلم الحقيقي . لأنّ مهمة الحكم هي

---

[1] - المغيلي : أسئلة الأسقيا ، ص: 189.

[2] - الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص : 241.

[3] - حسان عل الحلاق : المرجع السابق ، ص : 52.

[4] - أحمد العلمي حمدان :استنصاح السودان ، ص:5552

مسؤولية خطيرة ، لا يستطيع القيام بها شخص بمفرده وأهم شيء هو أن أمراء السودان المغربي والتكرور كانوا على استعداد كبير لتّقبل نصائحه وتطبيقها وبذلك لم يتهاونوا بالواجبات الشرعية و لم ينحرفوا عن تعاليم الدين والإصلاح و لم يميلوا إلى الهوى [1]، وما يدل على ذلك هو الاستفادة الكبيرة التي استفادتها الممالك اللاحقة لعهد المغيلي من أفكاره واعتبار مؤلفاته مصادر هامة في كل تغيير وإصلاح [2].

الشيخ العصنوني في بستان اشتراه ،ولما أجابه الشيخ العصنوني . قال الرجل :" إنما حكمت به علي ليس منصوصا لأحد من أصحاب المذهب ".فلولا دراية الرجل بالمذهب المالكي ما كان يقول ذلك الكلام ، خاصة وأنه سأل قاضي الجماعة التواتية .

خامسا: مملكة سنغاي في عهد سني علي :

كان سني علي من الطغاة المتجبرين فقد منع الصلاة والصوم فكان الناس يصومون خفية كي لا يراهم . وهو لا يتوقّف في النكاح على نساء معدودات ، بل كل ما أعجبته امرأة في جميع مملكته أخذها وأدخلها في بيته وفراشه لا يبالي بزوجها ولا أحد من أقاربها ، ويجمع بين المرأة وأمّها وقد حلّل دماء المسلمين وأموالهم ، فقد قام بقتل عدد كبير من القّراء والفقهاء والنّساء والصبيان الرضع وغيرهم . وباع من الأحرار ما لا يحصى .

وكانت له العديد من العادات السيئة لم يزل عليها حتى مات [3]. وكان لسني علي فقهاء اتخذهم خصيصا لذلك ، وكل ما أراد أن يعمل شيئا من غرضه أحضرهم ، وطلب موافقتهم

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص : 47.

[2] - كانت تعتبر مؤافات المغيلي بالنسبة لسكان السودان الغربي مصادر عامة في في حياتهم الاجتماعية والسياسية ، وكانت تلك المؤلفات روح كل تغيير حدث في تلك المنطقة .فقد اعتمد الشيخ عثمان بن فودي اعتمادا أساسيا على كتب المغيلي في حركة الجهاد التي أعلنها وأقام بها دولة ففتاوى المغيلي هي الموجه الفعلي لتلك الحركة الجهادية . انظر : محمد بلو ، انفاق الميسور : ص ص :02- 311

[3] - المغيلي :أسئلة الأسقيا ، ص ص : 171-172 .

فكانوا يوافقونه على غرضه في تلك الأمور ، ويستتر بهم من الطعن عليه بالظلم والجور [1] وكانت بذلك الأوضاع سيئة للغاية ببلاده فلا يحكمها قانون ولا نظام ، ولكن يحكمها هوى سلطان البلاد وأطماعه . وقد قام سني علي بخصي أحد أحفاده وجعله يخدم في قصره ، وأثقل كاهل السكان بالضرائب والمكوس ، واستخدم جميع سكان المملكة عبيدا له [2]. فكانت مملكته مجالا للفساد والظلم والتعدي على الآخرين ، فقد أباح لنفسه كل شيء وحرم على الناس كل شيء حتى الواجبات الدينية ، وهذا ما جعل الناس يبتعدون في كثير من أمورهم عن تعاليم الإسلام ومبادئ الشريعة .

سلطنة إسلامية بلا إسلام :

فسكان سنغاي يصومون رمضان ويشهدون أن لا اله إلا الله محمد رسول الله، ومع ذلك يعبدون الأصنام لأن أصلهم كان كذلك فقد كانوا وثنيين يعبدون الأشجار والحجارة ويتصدّقون لها ، ويسألون حوائجهم عندها ، قال المغيلي :" فإن أصابوا خيرا زعموا أن تلك الأصنام هي التي أعطتهم ، وإن لم يصيبوا ، رأوا أنها منعتهم فلا يغزون حتى يشاوروها وإن قدموا من سفر قصدوها ونزلوا عندها "[3] وسبب ابتعادهم عن تعاليم الإسلام في تلك التصرفات ، مرّده بقاء العادات القديمة التي ظّل السكان يحافظون عليها ، لعدم توفّرهم على ما يمكنهم من التعمق في فهم الإسلام .ولذلك تجد من يصفهم بأنّهم ليسوا أحسن حال من الكّفار ، فلما سئل المختار الكبير الكنتي عن بلد السّودان قال:"بلد السودان بلد غلب على أكثر أهلها الكفر" [4]. وإنّما قال ذلك لما لاحظه من ابتعادهم عن الإسلام في العديد من

---

[1] - المصدر نفسه ، ص : 178 .

[2] - الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ج 2 ، ص : 171 .

[3] - المغيلي : أسئلة أسقيا ،ص : 170 .

[4] - أحمد بلو :انفاق الميسور ، ص : 298 .

امورهم ، فالبنات يظهرن للناس عرايا باديات العورات، قال ابن بطوطة :" ولقد رأيت في ليلة سبعة وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصرهه عرايا ،"[1] وأصبحت هذه المظاهر من المألوف لذلك لا تجد من ينكرها، يقبلها العالم والجاهل الصغير والكبير . وببلاد السودان الغربي توجد قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امرأة ، والناس يعبدونه وهو مغطى يحجبونه عن الأنظار [2] كما كانت لهم آلهة يقال لها كحبر يعبدونها ويذبحون لها ، ولا يمسها أحد منهم إلا على الوضوء الكامل ،ويزعم سكان السودان أن كحبر هذه نزلت من السماء [3]. ولا يخفى أن هذا كله هراء في هراء ، والعجيب في كل ذلك كون سكان تلك المناطق يقولون بأنهم مسلمون . وهم أكبر سكان الأرض تذللاّ لسلطانهم ، فإذا دخل أحدهم على السلطان رفع ثيابه وسراويله إلى نصف ساقه ، وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الأرض بمرفقيه ضربا شديدا ثم يقف كالراكع يسمع كلام السلطان ، "وإذا كلّم أحدهم السلطان فردّ عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ، وظهر بالتراب على رأسه وظهره ، كما يفعل المغتسل بالماء ، وإذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام "[4]. وكل تلك الأشياء الخاصة بعبادة الأصنام والألهة أشياء غريبة على مجتمع إسلامي وهذا ما يبين الدور العظيم الذي قام به المغيلي . في تبيت الدين الإسلامي بتلك المناطق . فليس المهم فتح الأقطار ولكن الأهم من ذلك تعليم سكان المناطق المفتوحة تعاليم الإسلام حتى يتمكنوا من نفوسهم وهذا ما قام به المغيلي من العلماء الذين زاروا منطقة التكرور والسودان الغربي في تلك الفترة .

---

[1] - ابن بطوطة : الرحلة ، ج 2 ، ص : 691 .

[2] - مجهول (كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي): كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ط 1985 ، ص : 225

[3] - أحمد بن القاضي التنبكتاوي : هتك الستر عما عليه سودان تونس من الكفر ، تحقيق عبد الجليل التميمي ، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل تونس ، ط الأولى، 1981، ص : 43 .

[4] - ابن بطوطة : الرحلة ، ج 2، ص : 665 .

الخاتمة

من خلال تناول آثار المغيلي العلمية، فإنك لا تكاد تجد من معاصريه من ينافسه في منطقته، فقد خلّف العديد من المؤلفات في مختلف العلوم، ولكونه جمع بين العلم والعمل، فقد كان له تأثير كبير في تاريخ منطقة توات، هذا التأثير شمل الجوانب الإجتماعية والسياسية والثقافية والإقتصادية، وأعماله في تلك الجوانب لا يضاهيه فيها أحد من العلماء أو أعلام المنطقة، فقد غيّر مجرى الأحداث في فترة وجيزة بفضل إرادته الكبيرة على التغيير، وعبّر المغيلي بوضوح عن كل المفاسد وبجرأة، وهذا ما لم يرض العديد من منافسيه.

ويتّضح لنا من خلال هذه الدراسة أنَّ توات إقليم مناسب للسكن والإستقرار رغم وجوده في عمق الصحراء، وأنَّ الفرد يتمتع بالراحة والإطمئنان، وله موقع هام في طريق القوافل التجارية، وتحتوي المنطقة على العديد من المنابع المائية والواحات الخضراء التي توفّر الظّل والمؤونة للمسافرين.

وقد صيطرت على توات أغلب الدويلات الإسلامية التي قامت بالمغرب الإسلامي، وينقسم المجتمع التواتي إلى خمسة شرائح سكانية أوَّلها البربر، وهم أقدم من سكن توات، ويليهم العرب والحارثون الذين غلبت عليهم حرفة الحراثة، والعبيد الذين جلبوا من بلاد السودان الغربي، ويعتبر اليهود فئة دخيلة على المجتمع التواتي استوطنت المنطقة بعد سقوط آخر المعاقل الإسلامية بالأندلس، حيث تواكبوا على كامل المغرب الإسلامي، والصحراء وتمكّنوا من توسيع أعمالهم التجارية في المناطق التي استقرّوا بها.

ومحمد بن عبد الكريم المغيلي عرفنا أنه علوي النسب، ولد بالقرب من تلمسان وتربى بمغيلة ولا تعطي أغلب المصادر التي ترجمت له سنة ميلادهه ولا شيء عن ظروف نشأته الأولى فهي لا

تهتم بأسرته، أو كيف أخذ العلم في سنواته الأولى على علماء تلمسان،وقد قام المغيليبرحلات عديدة في الممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي وفاس، حيث كان يفتي ويدرّس بتلك المناطق لذلك تعدد تلاميذه.

وتميّزت توات من النّاحية السياسية في عهده بأنها تبعث لبني مرين الضرائب، لكن بنو مرين تركوا الحرية للسكان في اختيار من يحكمهم بإسم الجماعة، وقام المغيلي بثورته الأولى على يهود توات أصبحت هذه الأخيرة أول إمارة مستقلة تعتمد اعتمادا كليا على نفسها ولا تؤدّي الضرائب لأي جهة، واستطاع المغيلي أن يكوّن جيشا نظاميا، وطبّق أحكام الشريعة الإسلامية، وقد انتهى عهد الإمارة بتوات باغتيال (عبد الجبّار بن المغيلي) في ظروف غامضة، ثمّ خضعت توات بعد ثورة اليهود الثانية لدولة (بني وطاس)، ومن الناحية الاجتماعية عرفت المنطقة حياة صاخبة ونشاط بشري تميز بالحيوية والتكامل بين مختلف الشرائح غير أنه نغص ذلك التكامل خبث اليهود الذين عملوا على تكوين مجتمع خاص بهم في المجتمع التواتي، ومن الجانب الاقتصادي تعتبر توات مركزا لأهم الطرق التجارية التي تربط مناطق شمال المغرب الإسلامي بمدن السودان الغربي التي اشتهرت بالذهب وتجارة العبيد، وفي المجال الثقافي غرفت المنطقة نشاطا ثقافيا باهرا بفعل انتشار الكتب، والإقبال على تعلم المنطق واللغة العربية.

وتُعتبر العقيدة الإسلامية والتوحيد الاهتمام الأول للمغيلي، فقد اهتم بتصحيح عقائد الناس مما علق بها من شوائب الشرك والكفر خاصة وأن منطقة توات متاخمة لمنطقة السودان الغربي، حيث كثر بها السحر والشعوذة، واهتم المغيلي بالمنطق ووضع فيه عدة مؤلفات لاقتناعه أن الدين الإسلامي هو دين النقل والعقل وفي مؤلفات المغيلي العديد من الإشارات التاريخية الهامة التي تفيد الباحث التاريخي في معرفة تاريخ بعض المناطق، ويعتبر ضياع كتابه (الفهرس) خسارة كبيرة فهو

بدون شك يمد الباحث بمعلومات جدّ قيّمة عن حياته وظروف طلبه للعلم في مرحلته الأولى، ورغم كل هذا تبقى حياة المغيلي يشوبها بعض الغموض ولا يمكن له أن ينجلي إلا بإنشاء مؤسسة المغيلي، تعمل على جمع بعض تراثه من كل الخزائن والمكتبات العلمية، بغية توضيح الرؤية حول عالم جليل القدر أهدى حياته لنشر الإسلام والإصلاح الاجتماعي، فكل آثار المغيلي الفقهية تعتبر في حكم المفقود بالإضافة إلى كتبه الأخرى المتعلقة باللغة والسير والتصوف، كما تجب الإشارة إلى أن شخصية المغيلي تحتاج إلى العديد من الدراسات المتخصصة في مختلف العلوم، ومن هنا ندعو الطلبة المهتمين بالتراث بدراسة مؤلفات المغيلي المتعلقة بالعقيدة والتوحيد والفقه والساسة الشرعية والمنطق وإنشاء دراسة حول أدب المغيلي وتوضيح مكانته في الأدب المغربي في تلك الفترة.

ونرجو من الله القدير أن نكون وفقنا ولو بقدر قليل في دراستنا لهذا الموضوع.

ملاحق

رسالة بخط المغيلي: الرد على المعتزلة

نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

من كتاب المغيلي: مختصر في علم الفرائض

نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

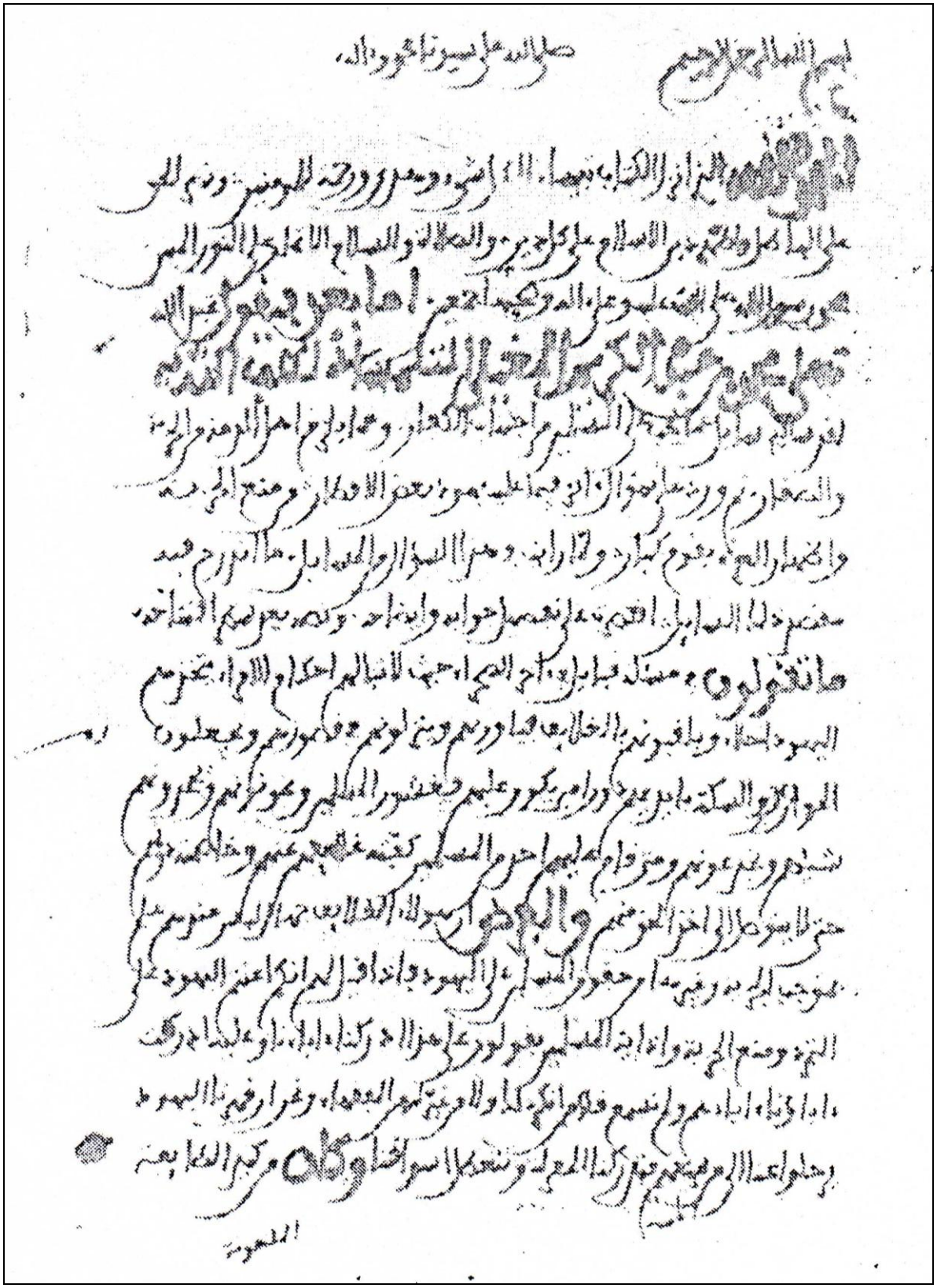

المغيلي: ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار

نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

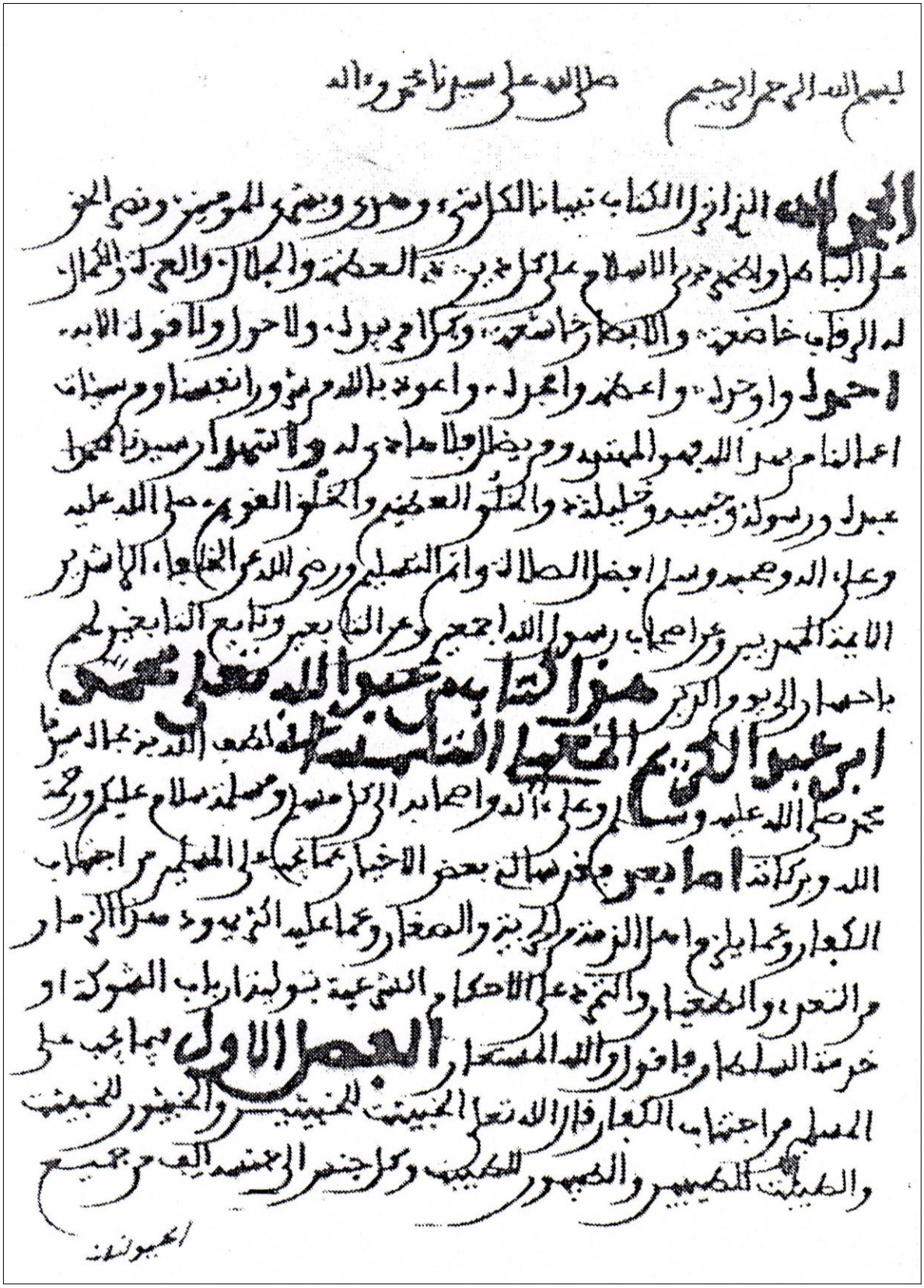

المغيلي: رسالة إلى كل مسلم ومسلمة

نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

روضة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

مسجد وزاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

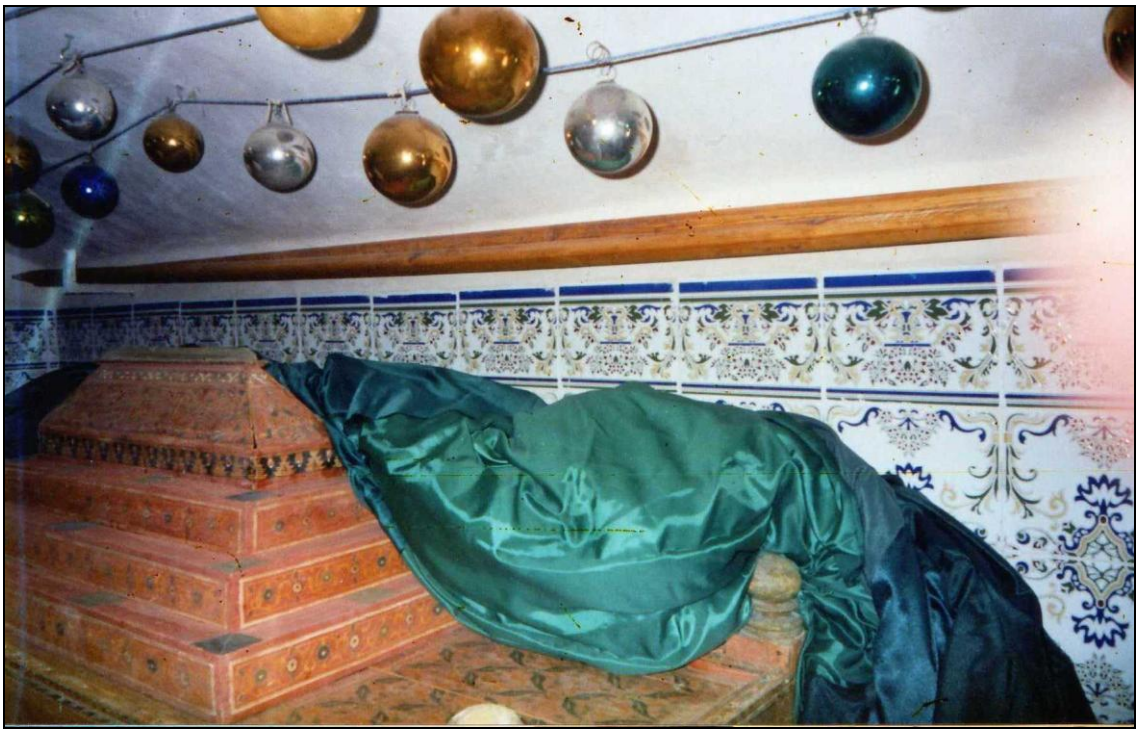

ضريح الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

إقليم توات الكبرى ومناطقه الثلاث

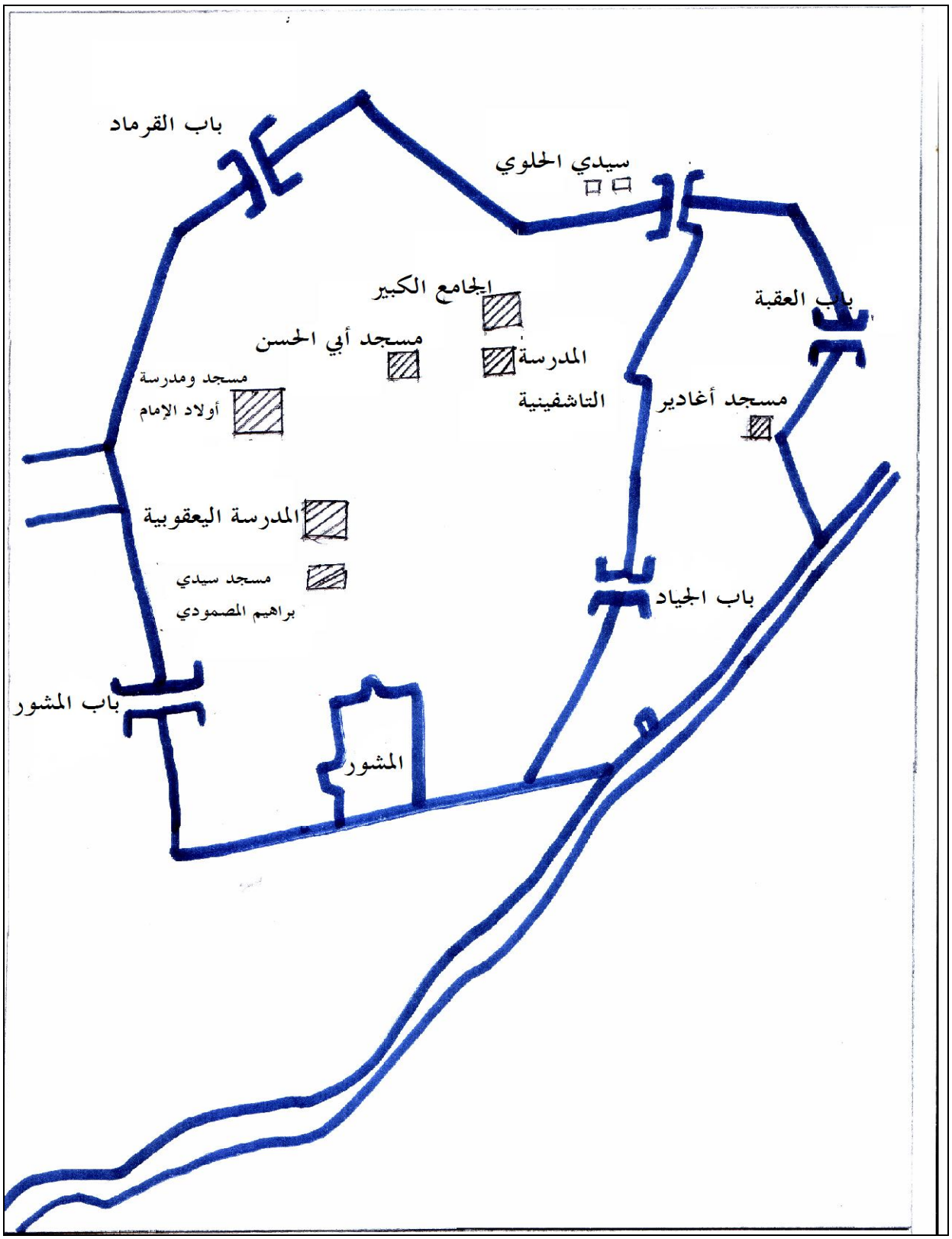
باب القرماد
سيدي الحلوي
الجامع الكبير
باب العقبة
مسجد أبي الحسن
المدرسة
مسجد ومدرسة
أولاد الإمام
التاشفينية
مسجد أغادير
المدرسة اليعقوبية
مسجد سيدي
براهيم المصمودي
باب الجياد
باب المشور
المشور

مخطط مدينة تلمسان في العهد الزياني وأهم المؤسسات التعليمية والمراكز التثقيفية في عهد المغيلي

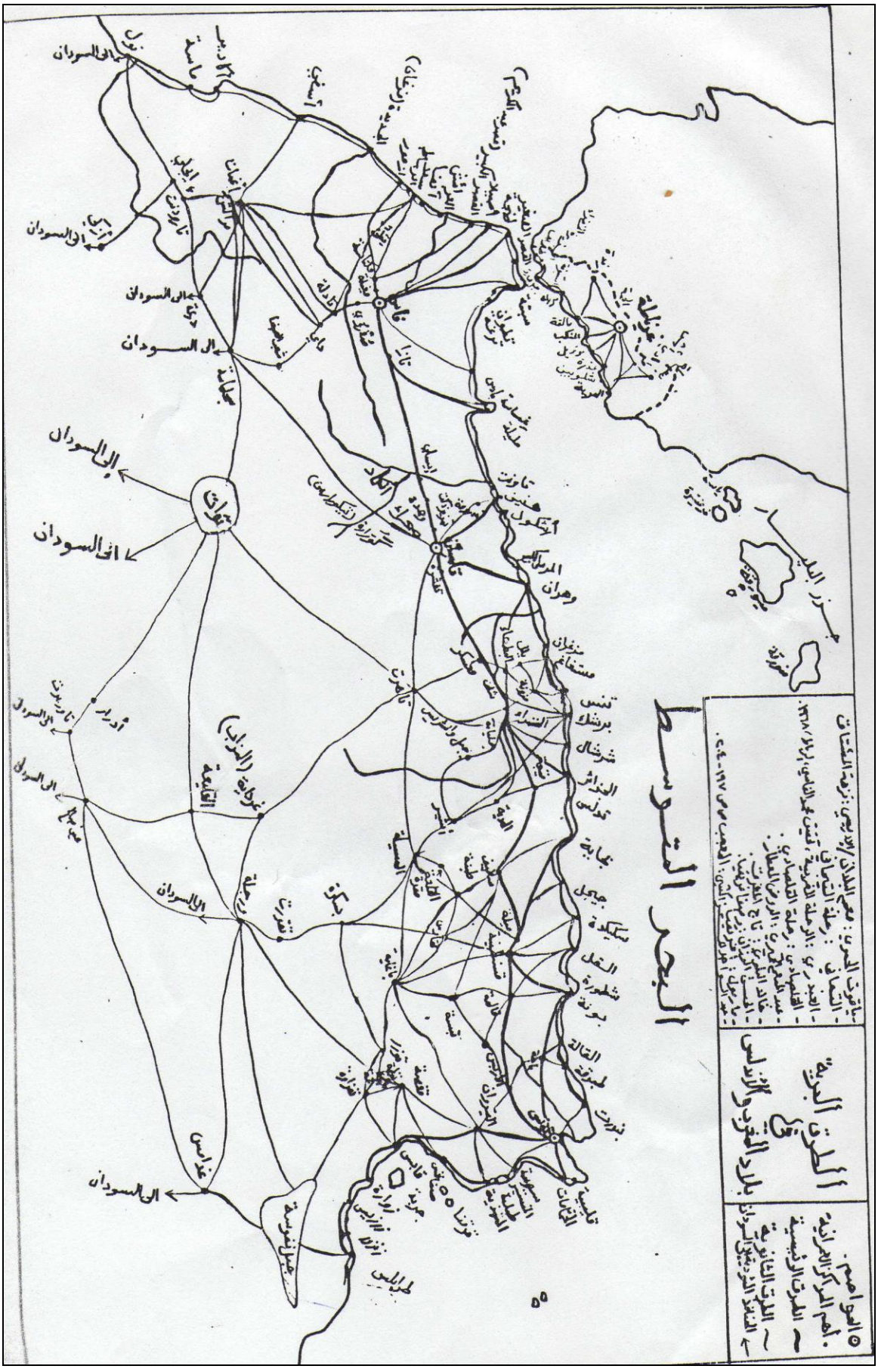

اتجاهات الرحلة خارج إقليم توات

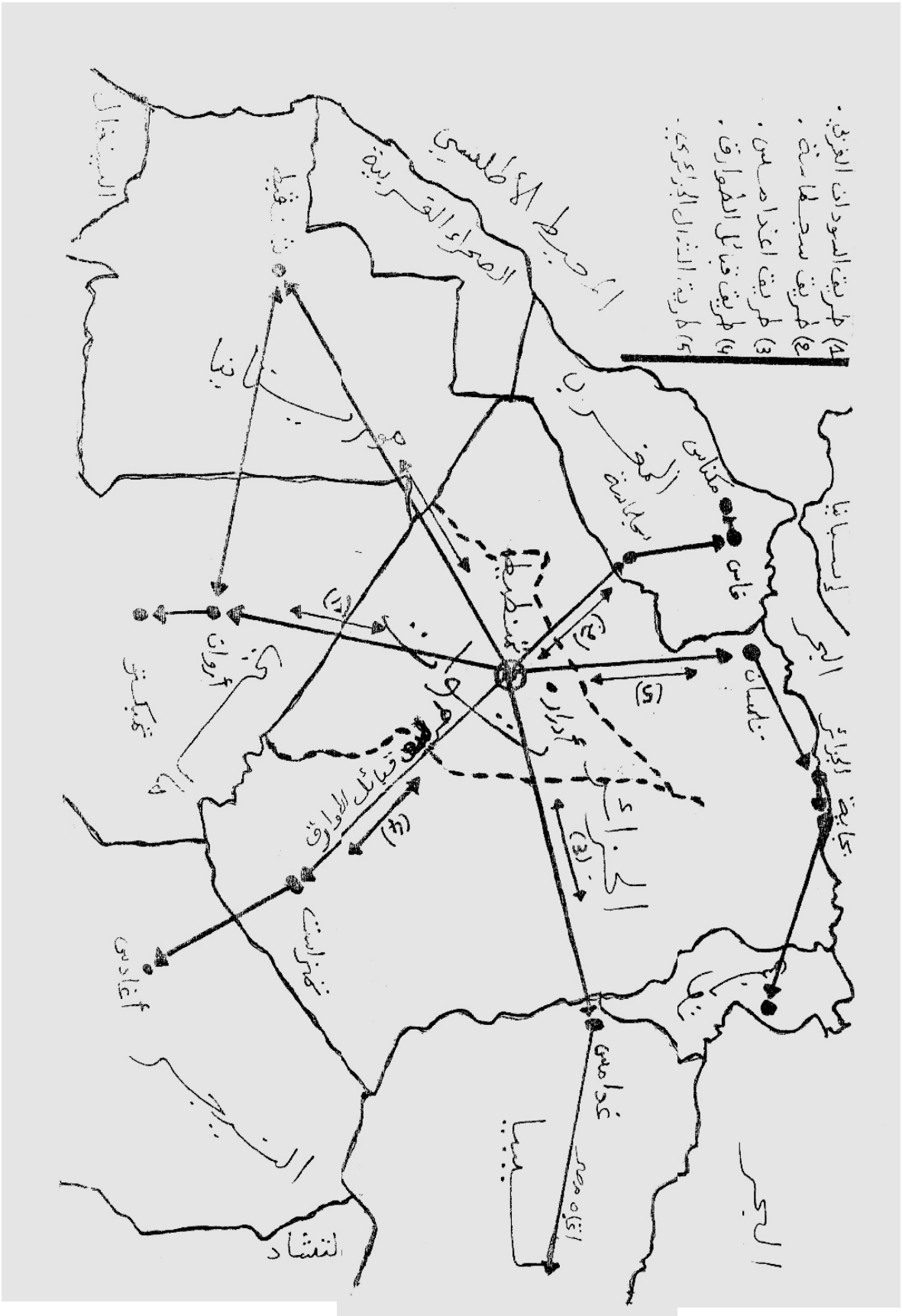

طرق القوافل التجارية من وإلى منطقة توات

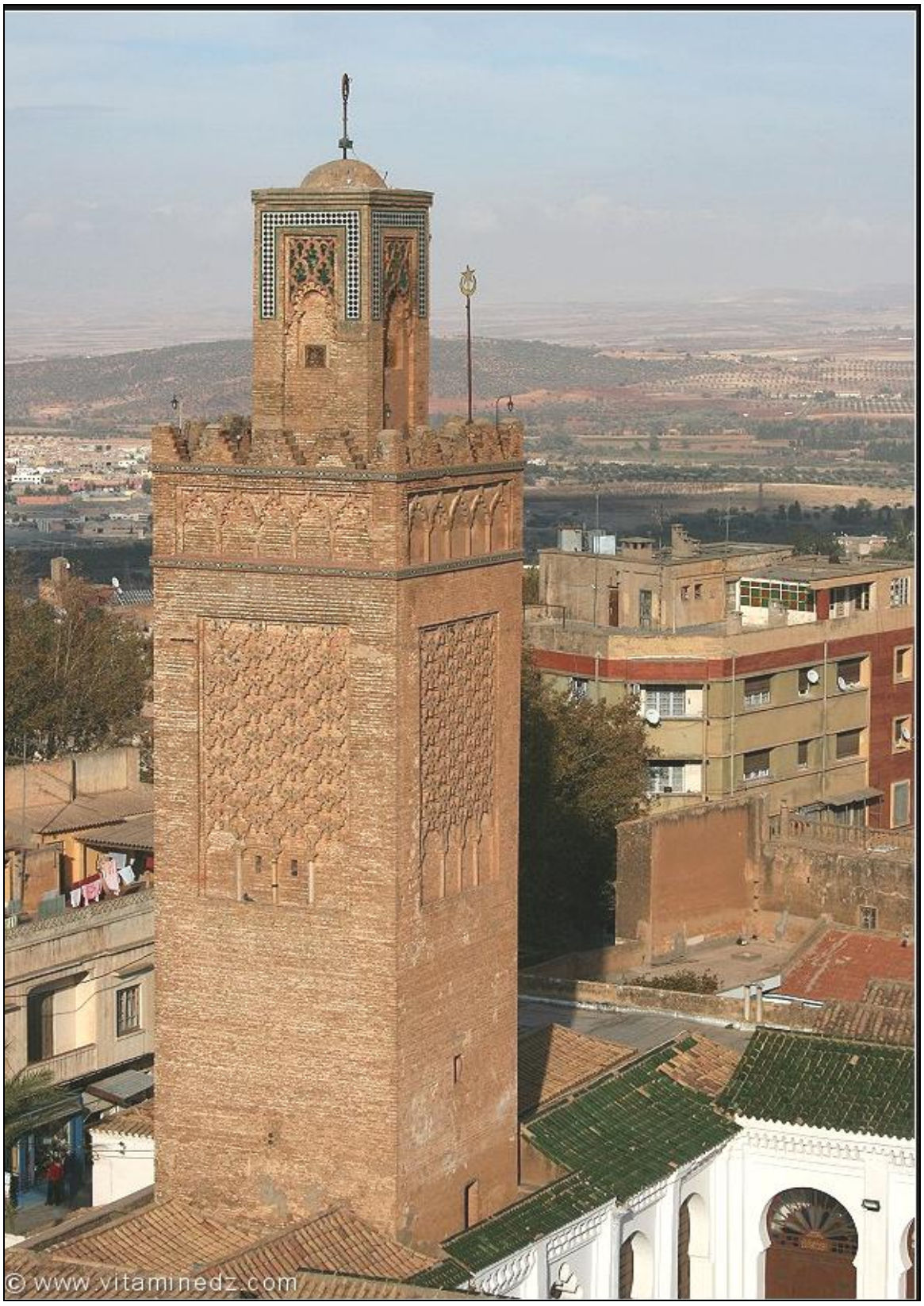

أهم المؤسسات التعليمية في عهد المغيلي

المسجد الكبير – تلمسان

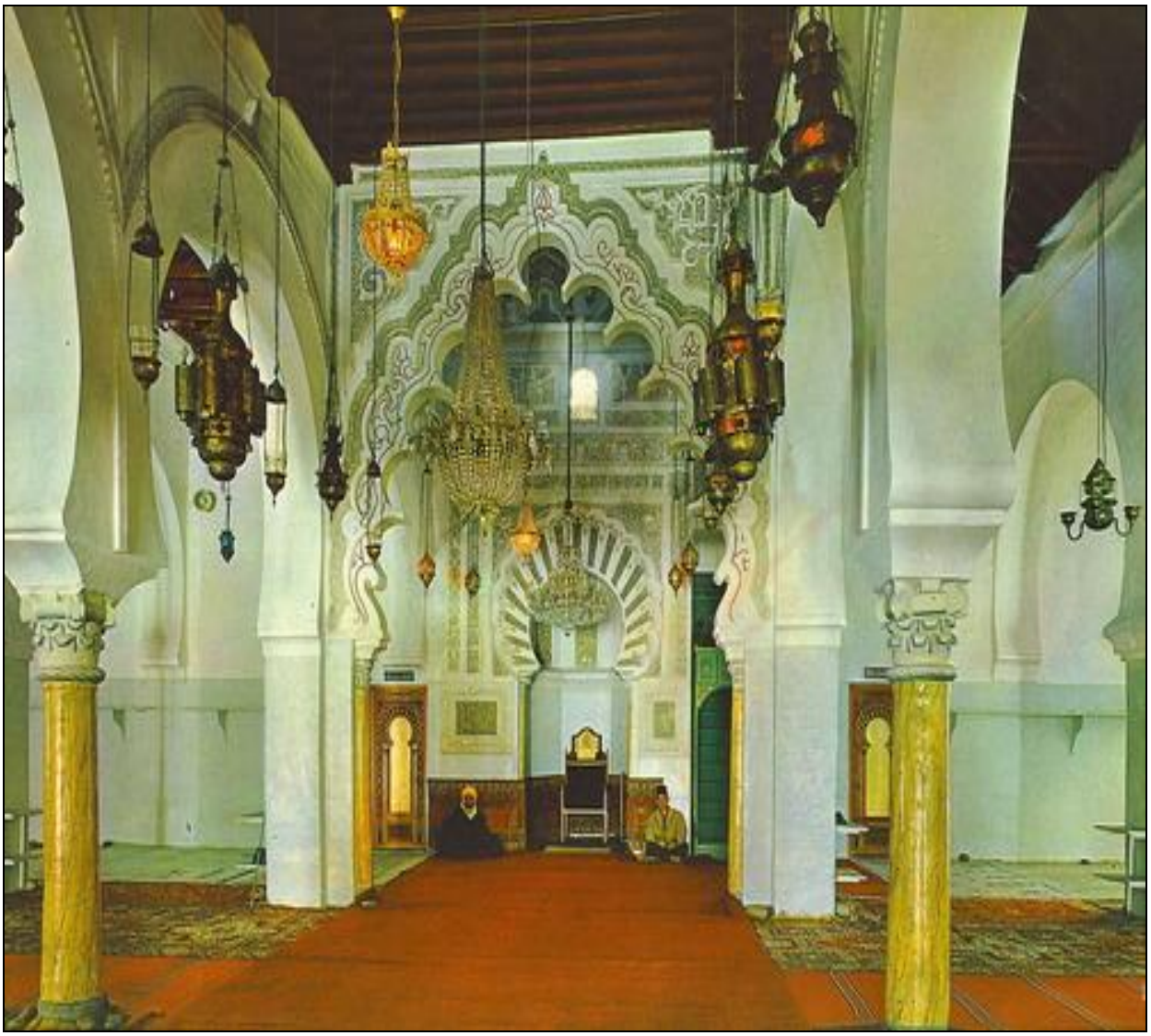

المسجد الكبير – تلمسان

(من الداخل)

مسجد سيدي الحلوي – تلمسان

مسجد سيدي بومدين – تلمسان

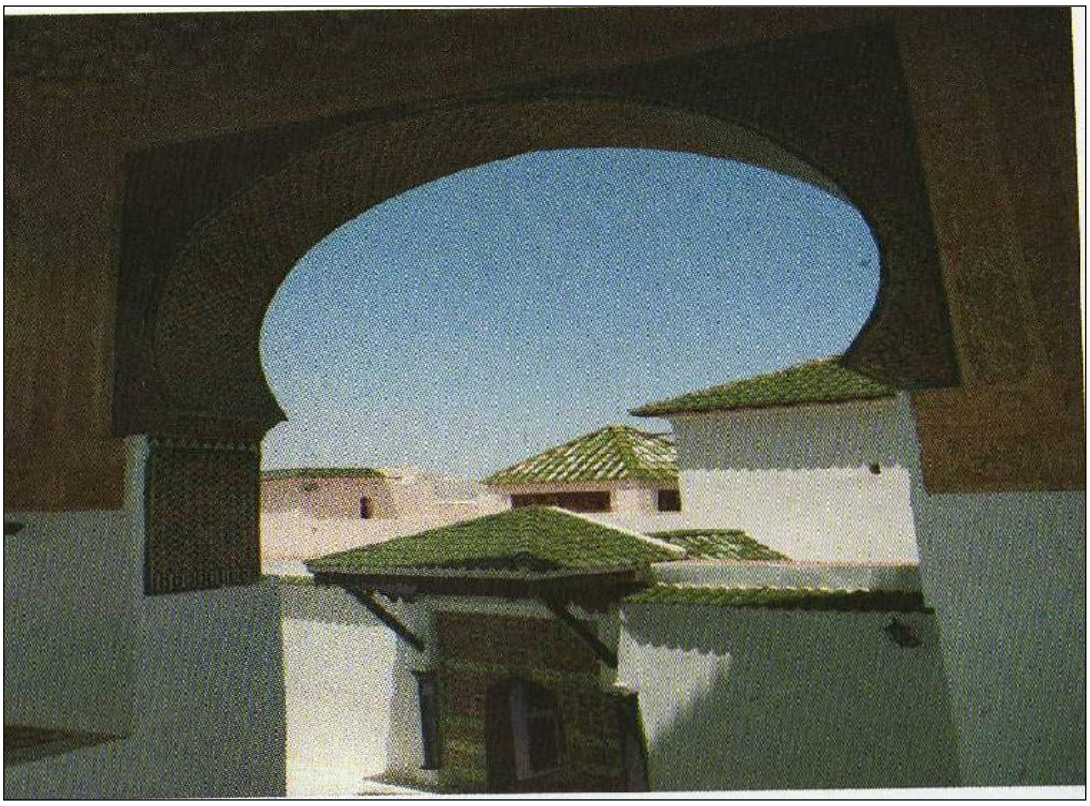

مسجد سيدي بومدين (من الداخل)

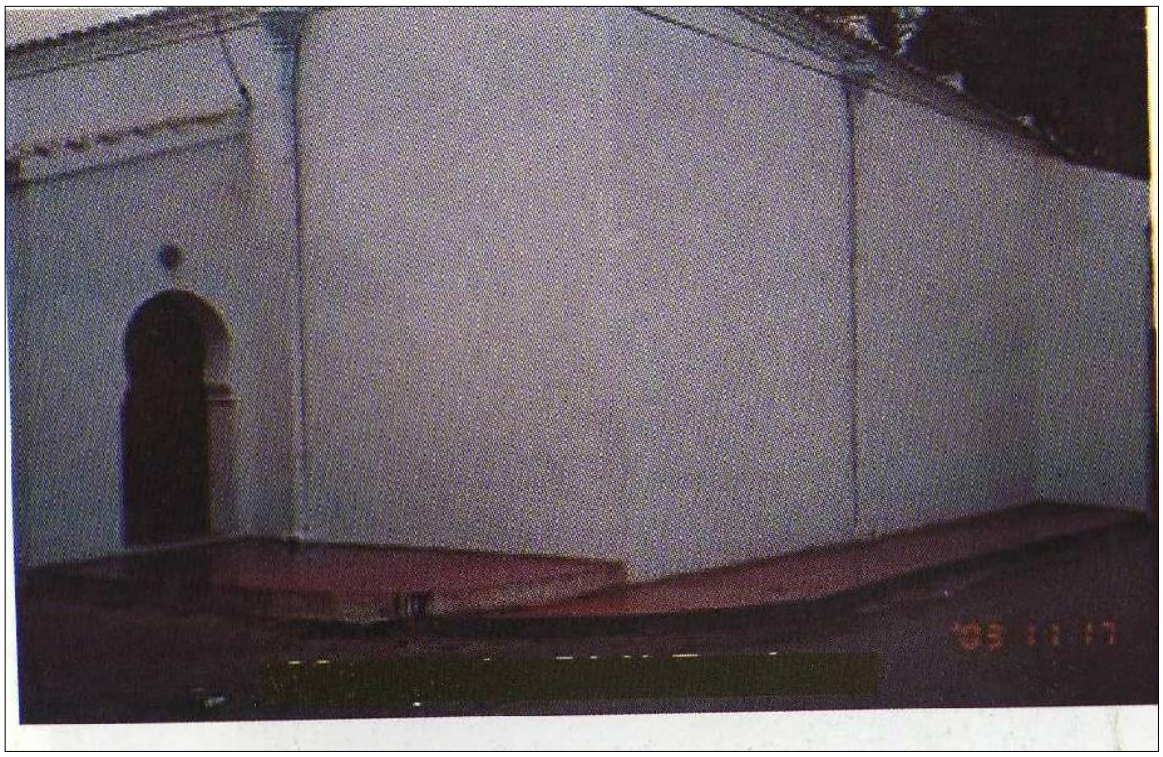

مسجد وضريح سيدي إبراهيم المصمودي في شارع الخميس – تلمسان

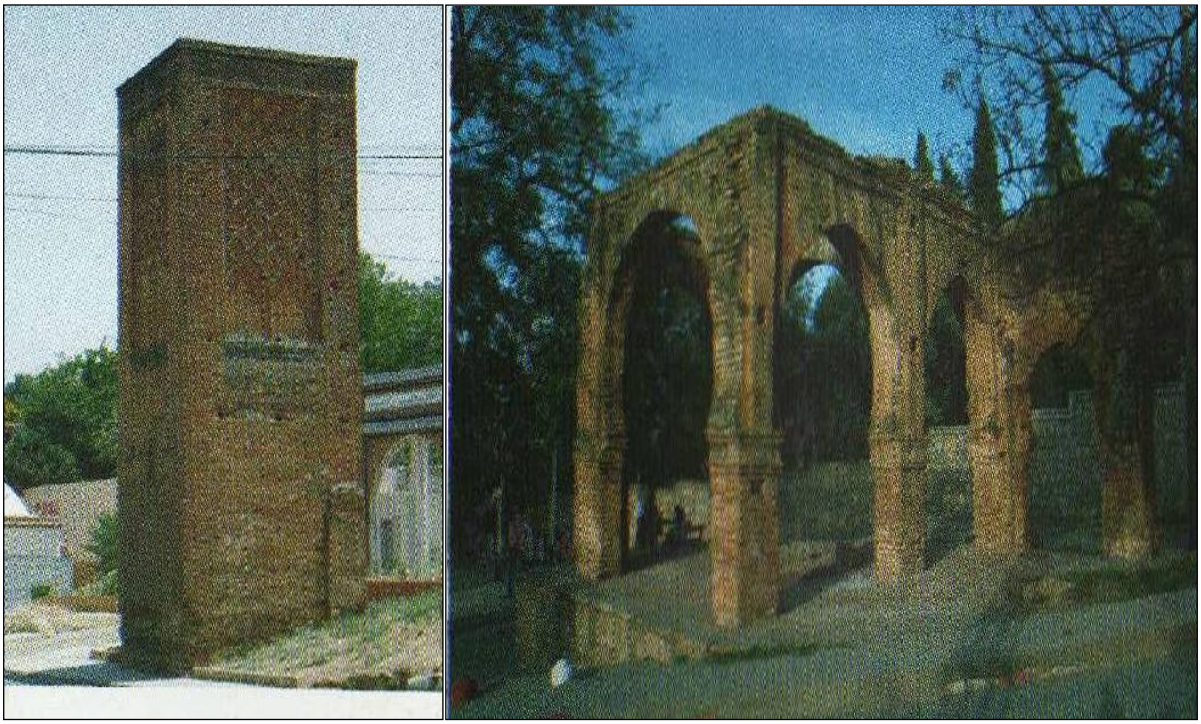

آثار مسجد أبي إسحاق الطيار بالعباد السفلي – تلمسان

مسجد أبي الحسن التنسي – تلمسان

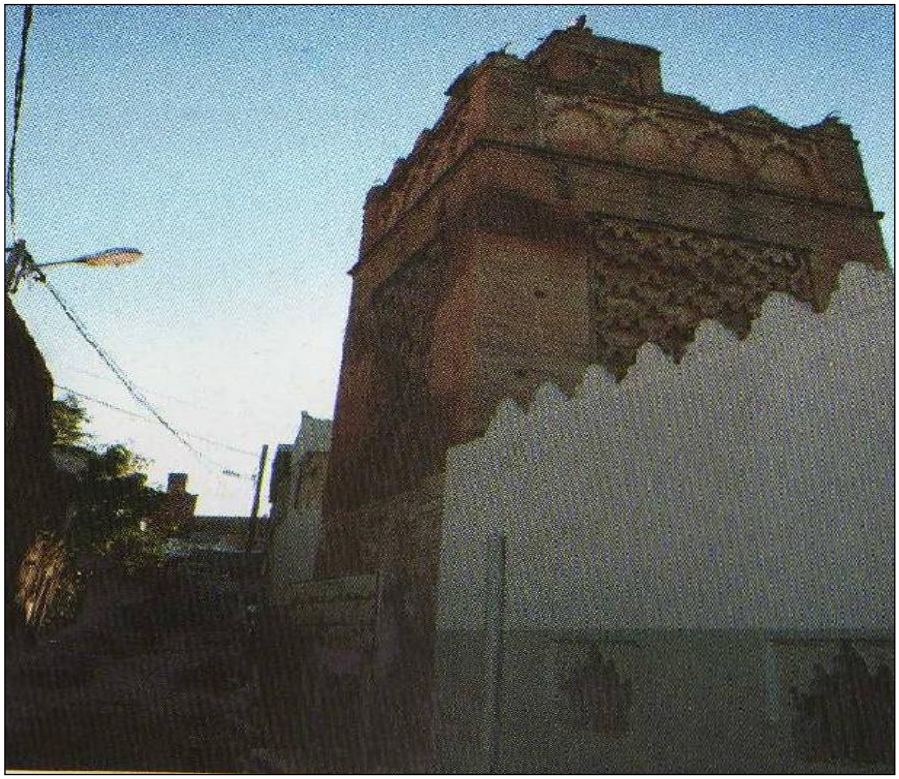

آثار مسجد سيدي بلحسن الراشدي بحي سيدي لحسن – تلمسان

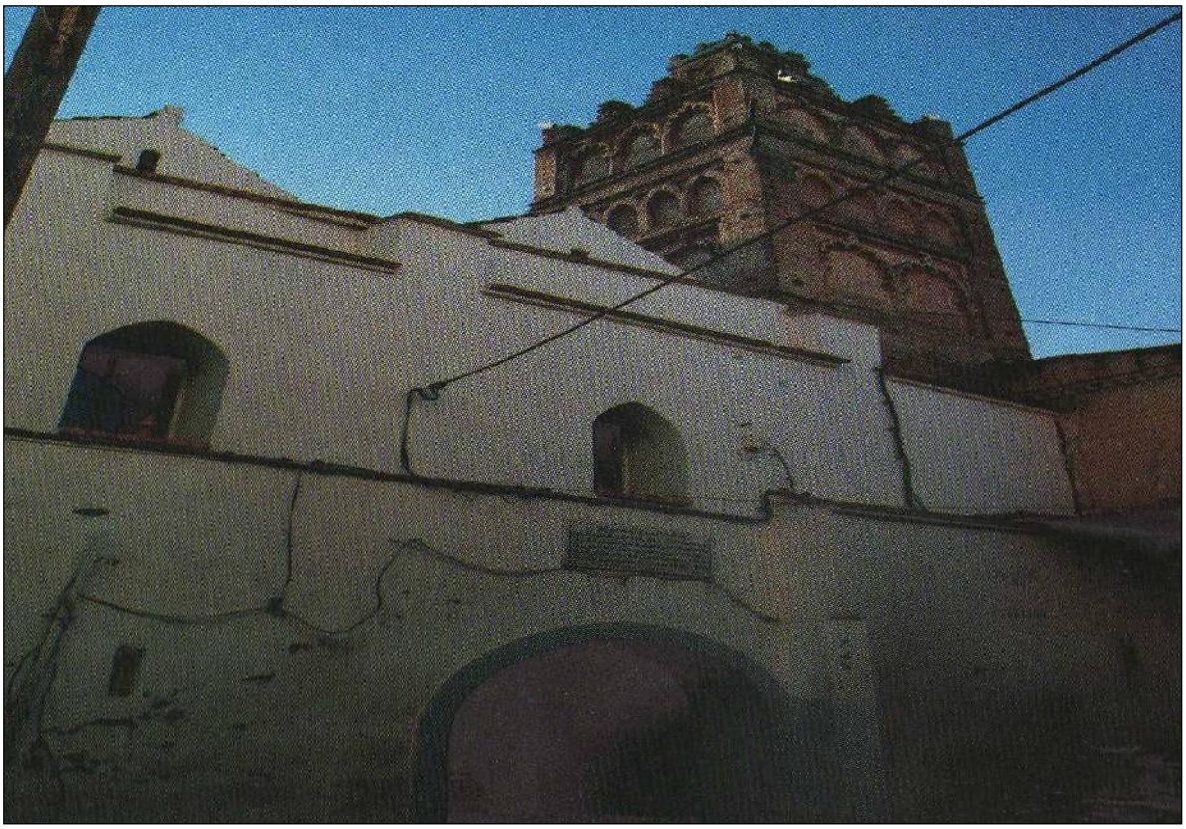

مسجد سيدي السنوسي بدرب مسوفة – تلمسان

مسجد أولاد الإمام

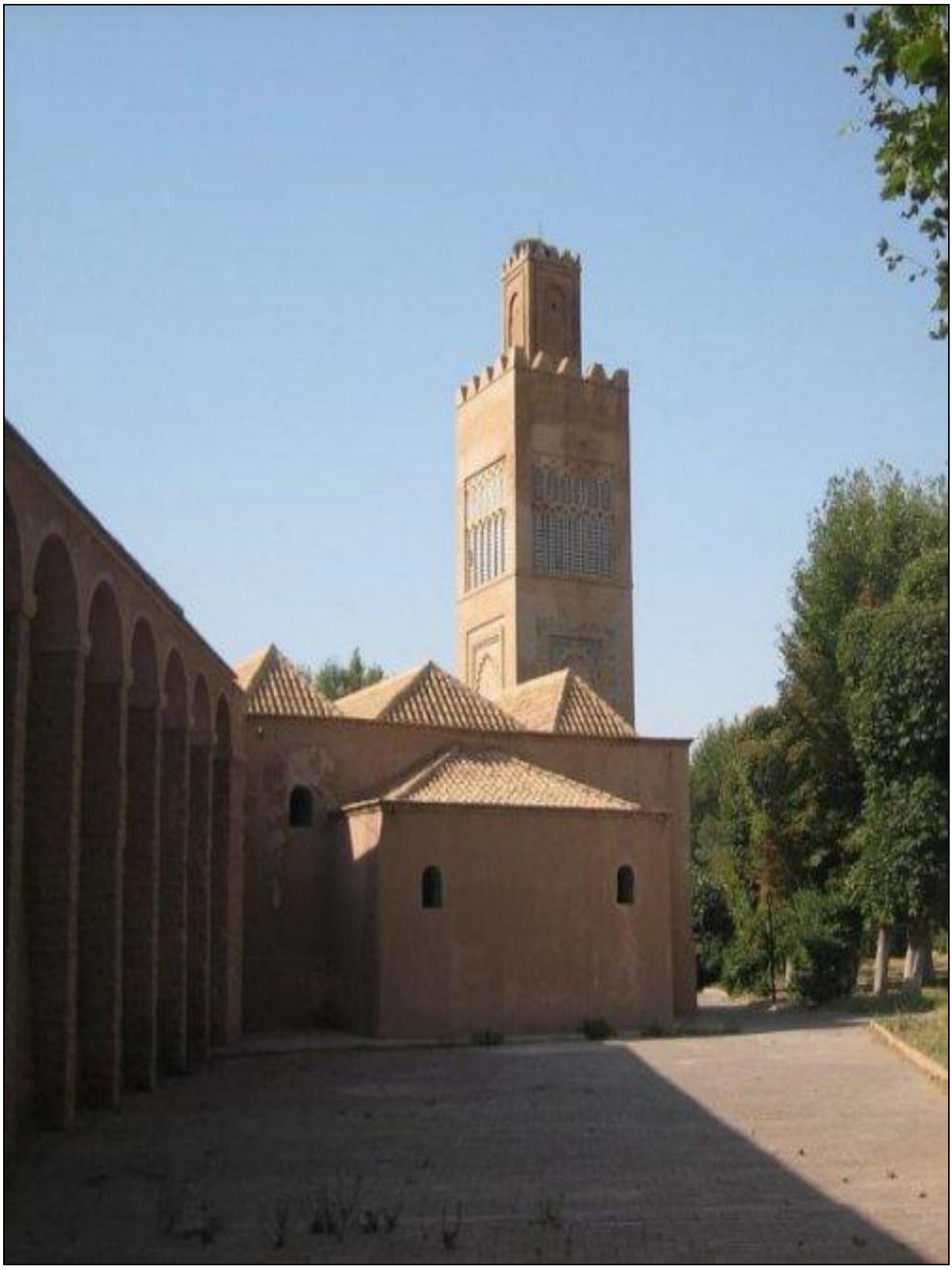

مسجد المشور – تلمسان

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر

أ – المخطوطـــــات:

1. الإدريسي احمد القاهري: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، محفوظة موجودة بخزانة كوسام، الورقة 1.

2. البكري محمد بن عبد الكريم البكراوي: درّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوطة بخزانة تمنتيط، الورقة 1.

3. التمنتيطي محمد بن عبد الكريم: تقييد حول تاريخ تمنتيط و توات، مخطوطة موجودة بالخزانة البكرية بتمنتيط دون رقم.

4. التواتي محمد بن مبارك: تاريخ توات، زاوية تمنتيط، دون رقم.

ب – المصادر المطبوعة:

5. ابن الأحمر إسماعيل: روضة النسرين في دولة بني مرين، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة المالكية (د.ت).

6.ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرّعيني القيرواني: ت(1110هـ/1699م) المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، ط3، دار المسيرة، بيروت، 1993م

7. ابن أبي زرع (علي الفاسي) ت: (726هـ/1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م.

8. ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي) ت (930هـ/1524م)، بدائع الزهور في وقائع الدّهور، (5 أجزاء)، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، .1983

9. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللّواتي الطنجي ت (776هـ/1373م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، (جزآن)، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، 1996.

10. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962.

11. (ـــــــــــــــــ)، الأخلاق و السّير في مداواة النفوس، شركة الشهاب الجزائر، (د.ت).

12. ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي ق 7ه/10م)، كتاب صورة الأرض، الطبعة الثانية، الجزآن)، ليدن، (دار صادر، بيروت)، 1938.

13. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله)، المسالك و الممالك، ليدن، 1889م.

14. ابن الخطيب (لسان الدين ت 776ه/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام و ما يجرّ ذلك من شجون الكلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

15. (ـــــــــــــــــ)،الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر 1901م.

16. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان ت 808ه/1406م)، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (الأجزاء 5–6–7)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

17. (ـــــــــــــــــ)، تاريخ ابن خلدون، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، 1992.

18. ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأوّل، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980م.

19. ابن خلّكان (أبو العبّاس شمس الدّين احمد بن محمد ت 681ه/1282م)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، (جزآن)، المطبعة الميمنية، مصر، 1310ه.

20. ابن زكري (أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني ت 900ه/1403م)، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق: محمّد أو غدير مشنان، (جزآن)، دار التراث ناشرون، دار ابن خزم، الجزائر، 2005م.

21. ابن زيد الجراعي (تقي الدين أبي بكر ت 883 ه/1480م)، تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد، تحقيق: طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981.

22. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي،فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح:محمد إبراهيم الكتلي ومحمد حجي، دار المعرفة الإسلامي بيروت 1981م.
23. ابن سحنون (محمد)، كتاب آداب المعلمين، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب: مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية: تونس، 1972.
24. ابن صعد (محمد الانصاري التلمساني)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بوعزيز، الجزائر، 2000.
25. ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت 1089ه/1678م)، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، (8 أجزاء)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
26. ابن عبد الرّحيم محمد الطّيب: القول البسيط في أخبار تمنتيط، تح: محمود فرح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
27. إبن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس ،تح:عبد المنعم عامر ،القاهرة 1961م.
28. ابن القاضي (أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي ت 1025ه/1615م)، درّة الحجّال في أسماء الرّجال، (4 أجزاء)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النّور، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1970.
29. (ـــــــــــــــ)، كتاب الوفيات ضمن ألف سنة من الوفيات، مطبوعات دار الغرب، الرباط، 1976م.
30. (ـــــــــــــــ)، جدوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.
31. (ـــــــــــــــ)، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط 1976.
32. ابن القاضي أحمد التميكتاوي، هتك السّتر عمّا كان عليه أهل السودان من الكفر، تح: عبد الجليل التميمي، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ط1، 1981.
33. ابن قنفذ (أبو العبّاس أحمد القسنطيني ت 810ه/1407م، أنس الفقير و عزّ الحقير، تحقيق: محمد الفاسي – أدولف فور، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1965.
34. إبن الفرضي،تاريخ علماء الأندلس ،تح:إبراهيم الأبياري، ج1،ط2،دار الكتاب اللبناني بيروت،لبنان 1989م.

35. ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيّا سنة 1014هـ/1605م)، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

36. ابن الملقّن (سراج الدّين أبي حفص بن علي بن أحمد المصري ت 806هـ/1401م)، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدّين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.

37. الإدريسي (أبو عبد الله الشّريف ت 548هـ/1154م)، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

38. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب مقتطف من المسالك و الممالك، ترجمة و نشر: البارون دي سلان: مكتبة أمريكا والشرق باريس، 1965م.

39. البيذق (أبو بكر بن علي الصّنهاجي ت أواخر ق 6هـ/12م)، أخبار المهدي بن تومرت تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975م.

40. البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المصّنفين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

41. الوزان الحسن بن محمد الفاسي، المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ج1، تح: محمد حجّي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

42. الزركلي (خير الدّين) : الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج4، ط8، 1989م.

43. الزّركشي (أبو عبد الله): تاريخ الدّولتين الموحّدية و الحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

44. الحميري محمد بن عبد المنعم: الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

45. الحموي ياقوت: معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1986م.

46. الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد: شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، ج8، إحياء التّراث العربي، بيروت، (د.ت).

47. الحفناوي، أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السّلف، مؤسّسة الرّسالة، المكتبة العتيقة تونس، 1985م.
48. اليعقوبي أحمد بن واضح، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م.
49. الكتّاني عبد الحي: فهرس الفهارس و الإثبات، و معجم المعاجم و المشيخات، تح: إحسان عبّاس، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
50. مجهول مؤلّف (كاتب مراكشي من القرن السّادس الهجري، الثاني عشر ميلادي) كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدّار البيضاء، 1985م.
51. مجهول مؤلف، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السّودان، تح: هوداس، باريس 1961م.
52. المكناسي أحمد بن القاضي: جذوة الإقتباس في ذكر مَنْ حلَّ من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطّباعة و الوراقة، الرّباط، 1973م.
53. المقريزي: كتاب المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج1، ط2، المكتبة الثقافية الدّينيّة، القاهرة، 1987م.
54. المقرّي أبو العبّاس أحمد: روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس، المطبعة الملكية بالرّباط، ط2، 1983م.
55. (ـــــــــــــــ)، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب، تح: يوسف الشّيخ محمد البقاعي، ج6، دار الفكر العربي، بيروت، 1998م.
56. المنجور، فهرست أحمد المنجور، تح: محمد حجّي، دار المغرب للتّأليف و التّرجمة و النّشر الرّباط، 1976م.
57. مخلوف محمد: شجرة النّور الزكيّة في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت 1349هـ.
58. المغيلي محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار،الشركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع، الجزائر، 1968م.
59. (ـــــــــــــــ)، أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1989م.

60. المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدّين الهواري المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.

61. النّجفي محمد علي الدّين الحسني: كتاب بحر الأنساب المسمّى المشجر الكشّاف لأصول السّادة والأشراف، مصر، (د.ت).

62. النّاصري أحمد السّلاوي: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: محمد جعفر النّاصري، ج2، دار الكتب، الدّار البيضاء، 1954م.

63. السّعدي عبد الرحمن: تاريخ السّودان، طبعة هوداس، باريس، 1964م.

64. السيّوطي جلال الدّين: المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، تح: جاد المولى بك و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، ج2، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1978م.

65. (ـــــــــــــــ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، ج1، دار التراث بيروت 1978م.

66. السخّاوي شمس الدّين محمد بن عبد الرحمن: الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع، ج4، دار المكتبة، بيروت، (د.ت).

67. العيّاشي أبو سالم: ماء الموائد، تح: محمد حجّي، ج1، دار المغرب، الرّباط، 1977م.

68. القلصادي أبو الحسن، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع تونس 1978م.

69. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، مطبعة التّأليف و التّرجمة و النشر القاهرة، 1985م.

70. القرافي بدر الدّين، توشيح الدّيباج و حلية الإبتهاج، تح أحمد شتيوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

71. الرّصاع محمد الأنصاري: فهرست الرّصاع، تونس، 1967م.

72. الشوكاني محمد بن علي بن محمد: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، ج2، مطبعة السّعادة، القاهرة، 1348ه/1929م.

73. الشعراني عبد الوهاب: الطّبقات الكبرى أو لواقح الأنوار في الطّبقات الأخيار، ج1، المطبعة العامرية، مصر، 1315ه.

74. الشّفشاوني: دوحة النّاشر من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجّي، الرّباط، 1977م.

75. التّنبكتي أبو العبّاس أحمد بن أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، طُبِع على هامش الدّيباج لإبن فرحون، مصر، 1351هـ.

76. (ـــــــــــــــ)، كفاية المحتاج لمعرفة منْ ليس في الدّيباج، ضبط و تعليق: أبو يحى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، 2002م.

77. (ـــــــــــــــ)، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تح: سعيد سامي، منشورات معهد الدّراسات الإفريقية بالرّباط، ط 1992م.

78. التّنسي محمد بن عبد الجليل، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدّر و العقيان في بيان شرف بني زيان: تح: محمود بوعيّاد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

79. الغبريني أبو العبّاس أحمد بن احمد، عنوان الدّراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المانة السّابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشّركة الوطنية للنّشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.

ثانيا: المراجـــــع العربيّـــة:

80. أبو ضيف مصطفى أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

81.أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا،طبعة الزهراء للإعلام العربي،القاهرة 1987م.

82. بوكلي حسن جمال الدّين: الإمام بن يوسف السّنوسي و علم التوحيد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

83. بورويبة رشيد: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شوح، الشركة الوطنية للنّشر و التّوزيع، الجزائر، 1979م.

84.بوعزيز يحي: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1، الغرب الإسلامي، بيروت، 1955م.

85.بكري عبد الحميد: نبذة في تاريخ توات و أعلامها، ط1، دار الهدى للطّباعة و النّشر والتّوزيع، مليلة، الجزائر، 2005م.
86.بن آشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطّباعة الشعبية للجيش (د.ت).
87.بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م.
88.بن قربة صالح: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986م.
89.توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، تر:حسن إبراهيم حسن،القاهرة،1957م.
90.جعفري أحمد، محمد بن أب المزمري: حياته و آثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004م.
91.هلال عمّار، الطّرق الصّوفيّة و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السّمراء، منشورات وزارة الثقافة و السيّاحة (د.ت).
92.زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقين، الشركة الوطنية، للنشر والتّوزيع، 1971م.
93.(_____)، الحضارة العربية و التّأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية، جنوب الصّحراء، دراسات ونصوص، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
94.زيدان عبد الكريم: أصول الدّعوة، قصر الكتاب، الجزائر، ط 1990م.
95.حاج أحمد الصدّيق: التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط1، مديريّة الثقافة لولاية أدرار، 2004م.
96.حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية بالجزائر ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
97.حجّي محمّد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السّعديين، مطبعة الأصالة، الرّباط، ط 1978م.
98.حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية،ط3،مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر ،1984م.

99.كرّوم عبد الله: الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية و أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات.
100. مارتي بول: كنتة الشرقيون، تر: محمد محمود، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، (د.ت).
101. مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
102. الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، الشركة الوطنية للنشر و التّوزيع، الجزائر، 1976م..
103. ميقا إسماعيل: الحركة العلمية والثقافية و الإصلاحيّة في السّودان الغربي من القرن 5م على القرن 12م، مكتبة الثورة (د.ت).
104. المنوني محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج1، مؤسّسة النّشر بالدّار البيضاء، 1983.
105. مقدّم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9هـ – 15م، دار الغرب للنشر والتوزيع.
106. (ـــــــــــــ)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي و أثره الإصلاحي بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرن (8هـ، 9هـ، 10هـ/15م، 16م، 17م).
107. (ـــــــــــــ)، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير، ج2، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2002م.
108. نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التّجاري، بيروت، 1971م.
109. السبّاني صالح الصّادق، مملكة كانو، برنو و علاقتها بأقطار الشّمال من القرن الثالث على العاشر الهجري 1988.
110. سالم عبد العزيز، احمد مختار العباسي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م.
111. (ـــــــــــــ)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.
112. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.

113. سعودي محمد عبد الغني: الإقتصاد الإفريقي و التجارة الدولية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1973م.
114. سعد الله فوزي: يهود الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 1996م.
115. العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
116. عوض محمد: السودان الشمالي، سكانه و قبائله، القاهرة، 1965م.
117. فيرون ريمون: الصحراء الكبرى، تر: محمد الدناصوري، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1986م.
118. فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن و التّاسع والعاشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، 1997م.
119. الصعيدي عبد المتعالي حازم: النظرية الإسلامية في الدولة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1986م.
120. قسوم عبد الرزاق، عبد الرحمن الثعالبي و التصوف، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978م.
121. رسلان صلاح الدين بسيوني: الفكر السياسي عند المرودي، مكتبة نهضة الشروح، جامعة القاهرة، ط 1985م، ص 86.
122. شاوش محمد بن رمضان و بن حمدان الغوتي: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ع1، ط1، 1422 – 2001م.
123. شبكية مكي: مملكة الفونج الإسلامية، القاهرة، 1964م.
124. شريط عبد الله و محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البحث، قسنطينة.
125. لقبال موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
126. نجوي خليل: بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1987م.
127. ليفي بروفسنال: الشرق الإسلامي والحضارة الأندلسية،منشورات معهد الحسن،تيطوان (د.ت)

ثالثا: المقالات و الدوريات و الملتقيات:

128. أبو ضيف مصطفى: ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية بإفريقيا، مجلة الرسالة، أدرار، العدد 10، 1988م.

129. ابن عبد العزيز عبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية و الحضارية، معلمة الصحراء، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، 1976م.

130. أعفيف محمّد: المسالك الصحراوية بتوات حلقة اتصال بين المغرب و إفريقيا الغربية، ندوة العلاقات بين المغرب و إفريقيا الغربية، منشورات عكاظ، الرباط، ط 1992م.

131. بودواية مبخوت: دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الإسلامية بالسودان الغربي (ق 15 – 16م)، مجلة الواحات، ع1، غرداية، ديسمبر 2006م.

132. بوعبدلي المهدي: أضواء على تاريخ مدينة تمنتيط و دور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة، العدد 94، أغسطس، 1986.

133. بورويبة رشيد: جولة عبر مساجد تلمسان: مجلة الأصالة، ع6، 1975.

134. البكري بكري: تمنتيط رمز تاريخ و عنوان حضارة، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، أفريل 1993م.

135. بلعالم محمد باي: التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية و حضارتها، أعمال المهرجان الثقافي الأوّل للتعريف بمنطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط 1988.

136. بلقاسم محمود: التعريف ببعض الجوانب من المنطقة الجزائرية و حضارتها، أعمال المهرجان الأوّل للتعريف بتاريخ منطقة أدرار 1985.

137. زبادية عبد القادر التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي: بعض آثاره و أعماله في الجنوب الجزائري و بلاد السودان، مجلة الأصالة، ج6، 1975.

138. (_____)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، نبذة عن حياته و مآثره، المهرجان الثقافي الأوّل للتعريف بمنطقة أدرار، 1985م.

139. زمامة عبد القادر: كلمات من المغرب الأقصى، مجلة المجتمع العربي، دمشق، المجلد 40، أفريل، 1965م.

140. حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السّعديين، مطبعة الأصالة، الرباط، ط 1978.

141. أحمد العلمي حمدان: إستنصاح السّودان، أحد فقهاء توات و تلمسان، مجلة كلية العلوم الإنسانية بفاس، عدد 05 سنة 1989م.

142. حركات إبراهيم: طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط، ندوة العلاقات بين المغرب و إفريقيا الغربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1992م.

143. الحمدي أحمد محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 1، جامعة وهران – الجزائر حوالي 2003م.

144. الطيبي أمين: مراجعة كتاب أجوبة المغيلي عن أسئلة الحاج الأسقيا، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 3، ليبيا، 1986م.

145. لقبال موسى: البترو البرانس و المظهر الإجتماعي لسكان المغرب، مجلة الأصالة، العدد 24، الجزائر، مارس، أفريل، .1975

146.نقولا زيادة: المعلم، مجلة العربي، ع16، 5 نوفمبر 2001م.

147. عزّوزي حسن: التأليف في القراءات في المغرب و الأندلس، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأوّل، .1993

148. القاسمي هاشم العلوي: أصول الروابط التاريخية بين بلاد المغرب و غرب إفريقيا في العصور الوسطى، استحضار أم استشراف، العدد 5، فاس .1989

149. شفيق محمد: المعجم العربي الأمازيغي، ج1، مطبعة الفنّ التّاسع، الدار البيضاء، .1993

150. خرماش محمد: نظام التعليم بالقرويين بين القديم و الحديث، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، 1993.

رابعا: الرسائل الجامعيـــــة:

151.إسماعيل سامعي: دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994م.

إسماعيل سامعي،دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير جامعة الجزائر،1994م.

152. إسكان الحسن: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7ه/15م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرّباط، 1987م – 1988م.

153.بوشقيف محمد: العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9 ه/15م، مذكّرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004م.

154. بلحسن إبراهيم: العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7ه – 9ه/13 – 15م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2005م.

155.حوتية محمد: قبيلة كنتة بين إقليم و الأزواد، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1992 – 1993.

156.الحمدي أحمد محمد بن عبد الكريم المغيلي: رائد الحركة الفكرية بتوات، عصره و آثاره، (870ه/1503م)، رسالة ماجستير، 2000/1999، جامعة وهران.

157. عبدلي لخضر: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005م.

158.مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السّودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه، بجامعة تلمسان، 2006/2005.

159.عباس عبد الله: الدور الحضاري لإقليم توات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين9 و 10ه/15 – 16م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2000م/2001م.

160.العماري أحمد: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب عام(1850م/1902م)، رسالة ماجستير، المملكة المغربية، فاس، 1988م.

خامسا: المراجع الأجنبية:

. Echalier (j.c) : Village désertes et structure agraires anciennes du Touat, 611 Gourara Algérien, Paris, 1972.

162. A.G.P Martin : quatre siècles d'histoire Marocaine, imprimerie El-Maarif Al Jadida, Rabat, 1994.

163.A. Selka : notice sur le Touat, bulletin de la Société Géographique d'Alger et de l'Afrique du Nord, 3éme trimestre, 1922.

164. Echallier (J.C),Village désertes et structure agraires anciennes du touât, Gourara Algérienne paris.1972.

165.J. Despois –R . Raynal : géographie de l'Afrique du Nord Ouest Paris, Payot, 1967.

166.L. Herbert : les Foggaras du Touat, bulletin de la société Géographique d'Alger et de l'Afrique du Nord, 4éme trimestre, 1934.

167.L. Rouire : « le Sud – Ouest Oranais et le tout ». Revue de la Société de Géographique Oran 1891.

168.L. Vonoit le Tidikelt : études sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du Pays.

169.P.Devors : « le Touat étude Géographique et Médicale ». Archives de l'Institut Pasteur IX.V.V n° 3 – 4 Septembre – Décembre, Alger, 1947.

170.Rachid Bourouiba : l'Art Religieux Musulman en Algérie, Sned, Alger 1973.

171.Rachid Bourouiba – IBM Tumart, Sned, Alger, 1982.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

مدخل: الوضع العام بالإقليمين..... 01

أوّلا: إقليم توات 02

1- أصل التّسميّة (توات)..... 02

2- الموقع الجغرافي..... 03

3- التّضاريس و المنـــــاخ..... 04

4- ذكر إقليم توات في كتب المؤرّخين الرّحالة..... 06

5- الحياة السيّاسيّـــــة..... 07

6- الحياة الإقتصاديّة: التّجـــــــارة..... 10

7- الحياة الاجتماعية..... 11

ثانيا: السودان الغربي..... 18

1- أهم ممالیك السودان الغربي..... 18

2- الحياة الاقتصادية بالسّودان الغربي..... 24

الفصل الأول: التعريف بحياة عبد الكريم المغيلي 27

أولا: نسبه وتاريخ مولده 28

ثانيا: نشأته وتعلمه 30

ثالثا: شيوخه وتلاميذه..... 31

3. أهم شيوخه..... 31

4. أهم تلامذته..... 34

رابعا: مكانته العلمية بين معاصريه..... 38

خامسا: عصره السياسي والثقافي..... 39

1 ــ السياسي..... 39

2– الثقافي..... 44

أ ــ المؤسسات التعليمية والمراكز التثقيفية 44

ب ــ التعليم 54

ج ــ أهم العلوم 57

سادسا: وفاته 71

سابع: مؤلفاته..... 73

الفصل الثاني: الدور الفكري للمغيلي بإقليم توات..... 78

أولا: انتشار الإسلام واللغة العربية بإقليم توات..... 79

1– انتشار الإسلام..... 79

2– انتشار اللغة العربية..... 80

3– علاقة المسلمين باليهود بإقليم توات..... 82

ثانيا: نازلة يهود توات..... 84

1– أراء العلماء التي أقرّت بِيَعْ يهود توات..... 85

2– آراء العلماء القائلة بوجوب هدم بِيَعْ يهود توات..... 87

ثالثا: ثورات الإمام المغيلي مع يهود توات و أسبابها..... 90

1– ثورة المغيلي الأولى على يهود توات..... 90

أ– الأسباب غير المباشرة..... 91
ب– الأسباب المباشرة..... 92
ج– نتائج ثورة المغيلي الأولى..... 93
2 – ثورة المغيلي الثانية على يهود توات..... 96
أ– الأسباب غير المباشرة..... 96
ب– الأسباب المباشرة 97
رابعا: رحلاتـــــه..... 99
1– رحلته إلى فاس..... 99
2– رحلته إلى السّودان الغربي..... 100
خامسا: أثر المغيلي الفكري والدّيني بإقليم توات..... 101
الفصل الثالث: التأثيرات الفكرية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي والدور الفكري للإمام المغيلي..... 104
أولا: التأثيرات الفكرية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي..... 105
1– تأثير العلماء والفقهاء..... 105
2– تأثير التجار المسلمين..... 108
3– تأثير قبائل إقليم توات..... 109
4– تأثير الطرق الصوفية والمتصوفين..... 110
5– تأثير الزوايا..... 111
ثانيا: أهم العادات السيئة 113
1–الغزو بلا وازع شرعي 113
2 –اختلاط الرجال بالنساء..... 115

3 –السحر والشعوذة..... 116
ثالثا: دور المغيلي بكانو 117
1–إحسان نية الإمارة..... 118
2 –إحسان الهيئة..... 119
3 –ترتيب المملكة..... 119
5 –الكشف عن الأمور 120
6 –العدل في الأحكام السلطانية 121
7– جباية الأموال من وجوه الحلال 121
رابعا: أجوبته على سلطان كاغو..... 122
1–السلطان راع لا مالك 123
2–إبعاد علماء السوء عن السلطان ومصالح الناس 124
3–تقريب أهل الذكر..... 124
4–اتخاذ المحتسب..... 126
خامسا: مملكة سنغاي..... 128
الخاتمة..... 131
الملاحق..... 135
قائمة المصادر والمراجع..... 155
فهرس الموضوعات..... 170

ملخص

تهتم هذه الدراسة بموضوع الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي بإقليمي توات والسودان الغربي، هذا العالم الذي عُرف بغيرته على الإسلام فخاض حركة إصلاحية في هذه المنطقة التي انتشرت فيها البدع والخرافات وسيطرة اليهود على شؤونها، فقام المغيلي بثورة ضد هذه الأوضاع السياسية والاجتماعية، كما كان له الأثر الكبير في ازدهار الحركة العلمية بالمنطقة من خلال ما ألفه من كتب أصبحت مدرسة روحية يستفيد منها العلماء والحكام ما أدى إلى تصحيح الكثير من المفاهيم لدى عامة الناس كما أسهمت حركته في انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي وتوطيد أواصر التسامح والتعايش بين بقية الأجناس والأديان.

الكلمات المفتاحية: محمد بن عبد الكريم المغيلي- تلمسان – إقليم توات – إقليم السودان الغربي – نازلة اليهود – الدور الفكري – الإصلاح – مملكة غانا –سنغاي.

RESUME :

Cette recherche s'impose dans le cadre d'étudier le rôle fondamental qu'a jouer Mohammed Ben AbdeLkrim El-M'ghili dans le domaine de la réforme religieuse dans les régions de Touates ainsi que le soudan de l'ouest.

Ce savant a été connu de la fidélité à l'islam et qu'a mené un mouvement de réhabilitation dans cette région tout en éliminant les légendes et mythes après avoir été gouvernée par les juifs. El-M'ghili donc , a déclaré une révolution contre cette situation politique et sociale délicate. Il avait aussi un impact direct sur la vie scientifique dans la région à travers œuvres qui sont devenus une école spirituelle pour tous les savants et juges. Cela a pu changer plusieurs concepts pour la plus part des gens. Son mouvement a aussi contribué à la propagande de l'islam dans le pays soudan ouest et par conséquent durcir les relations mutuelles et pacifiques entres les différents origines et religions.

Mots clefs :

Mohammed Ben Abdelkrim El-M'ghili – Tlemcen –la région de touates – la région de soudan ouest – la conquête des juifs – le rôle de réhabilitation

SUMMARY:

This search aims at seeding light on the fundamental role performed by Mohammed Ben Abdelkrim El-M'ghili in the fields of science and literature at the level of two regions that are: Touates and Soudan-west.

This Scientist has been known for his faithfulness to Islam and so he led a big movement of alteration as he put an end to those myth and legends caused by the false presence of the juish people in the region. El-M'ghili has made a great revolution against those critical political and social situations. He had also an impact on the scientific life of the region and that through his books that have become a real school for all other scientists and judges. This has led to the fact that many people have changes their concepts. His movement has also contributed in the propaganda of Islam in the country of Soudan west, and consequently tighten the relations between different origin and religion.

Key words:

Mohammed Ben Abdelkrim El-M'ghili – The Touates Region – Soudan west region – The presence of juish – The role of alteration and rehabilitation.